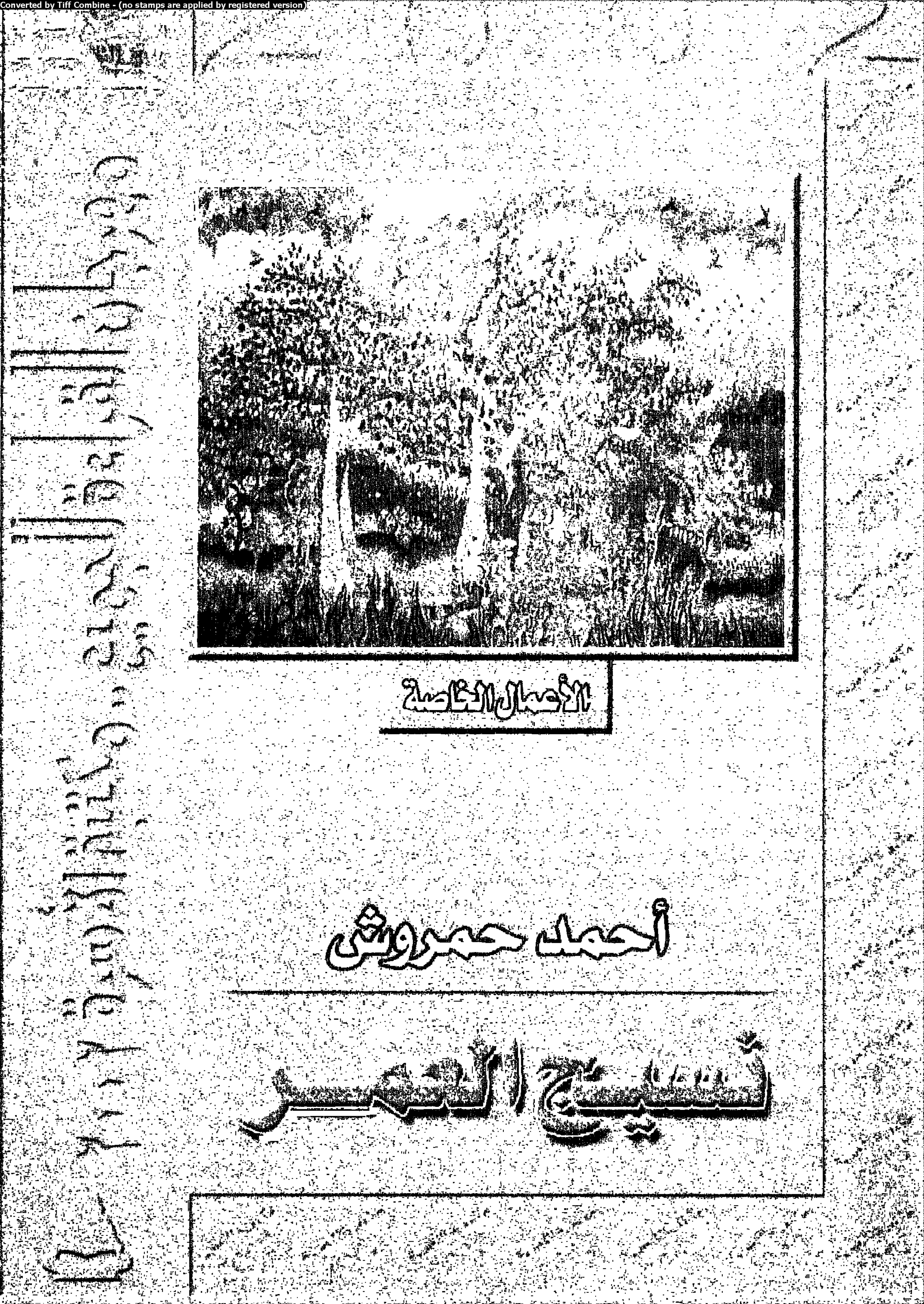

الأعمال الخاصة
أحمد حمروش
نسيج العمر



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نسيج العمر

لوحة الغلاف للفنان: رمسيس ويصا

ولد الفنان ويصا عام ١٩١١.

أول من نادى بالعودة إلى العمارة الريفية وإلى الأسس والجذور القديمة التى حافظ عليها سكان النوبة قبل التهجير بسبب السد العالى والعودة إلى خامات البيئة.

وقد حمل لواءها أيضًا المعمارى الشهير حسن فتحى.

اقتنع رمسيس بنظرية صهره وأقام مع صوفى حبيب جورجى ما عرف (ببيت الفن فى الحرانية) الذى نال شهرة عالمية من خلال المعارض التى أقيمت فى مختلف دول العالم لإنتاج الأطفال والفلاحين من السجاد والكليم المرسم ولما لهذه الرسوم من فطرية وشعبية وتلقائية واقتنيت هذه الأعمال فى مختلف متاحف العالم.

صبرى عبدالواحد

نسيج العمر

أحمد حمروش



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

سلسلة الأعمال الخاصة

نسيج العمر

أحمد حمروش

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الفنان : صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

علي سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة باصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيبًا فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصدارتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعًا على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى « **مكتبة الأسرة**» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان



• • • الفصل الأول • • •

- مات أبى وعمرى سنتان ولم أقل كلمة (بابا).
- صورة المشايخ حسن العطار ومحمد عبده كانت على جدران منزلنا إلى جانب صورة وادى.
- أمى لم تكن تعرف القراءة والكتابة ولكنها أصرت على تعليم أولادها.
- أول مشاهد العمر كانت فى شبرا فى مواجهة (عزبة الصعايدة).
- خطيب جامع الحاج محمود يهاجم عز الدين عبد القادر الذى حاول إغتيال.
- مصطفى النحاس أثناء إلقائه خطابا بشبرا.
- ابن عمى شيخ الأزهر إبراهيم حمروش يأمر بالإفراج عن سارق لأنه معدم وبلا عمل ويحل دماء جنود الإحتلال البريطانى بقناة السويس.

رفع الستار

بفتح ستار الذكريات عن مشهد غريب ومثير مازلت أسترجعه حتى بعد أن مضت من سنوات العمر أكثر من سبعين عاما.. كان ذلك فى قريتنا ميت الخولى مركز إيتاى البارود بمحافظة البحيرة عندما اجتمعت الأسرة فى مسجد القرية بعد أن تقرر نقل جثمان والده من القبر الذى دفن فمعه فى المسجد إلى قبر آخر فى مسجد جديد بعد أكثر من خمسة عشر عاما.

كانوا ينقلون الجثمان. لأنهم أقاموا مسجدا جديدا داخل القرية وفيه قبر له.

كنت أقف فى أحضان جدتى ووالدتى وأنا أرقب مشهدا إخراج الجثة من النعش الذى دفن فى داخله. وأريد أن أرتمى عليه. أرفع الغطاء عن وجهه.. ولكن ذلك كان مستحيلا فقد كانت بى رهبة، وقبضة جدتى لم تدفعنى للمحاولة.

هذا هو أبى أمامى شاهدته ملفوفا فى كفنه.. ولم أشاهده حيا أبدا.. ولم أقل فى حياتى كلمة (بابا) مثل بقية الأطفال... لم اسرع الخطى لأرتمى فى أحضان الأب... عيناى لم تكتحل برؤيته.

كان قد مات وعمرى عامان وبضعة شهور... وكل ماعرفته عند صورة كانت تزين المنزل، ويبدو فيها شخصا جليلا فى عمامته، له ذقن سوداء ليست مرسلة... وكثيرا ماوقفت أمام هذه الصورة الكبيرة التى كان يضمها اطار مذهب عريض... أتأمل الأب الغائب وأكاد أتحدث إليه.

ومضينا خلفه فى جنازة صامتة الى أن استقر فى قبره بالمسجد الجديد حيث مازال حتى اليوم.

فى هذه الليلة قرأت وحدى كثيرا من القرآن...

وخرجت إلى الحقول وحيدا فى المساء... كان القمر يضئ سنابل القمح التى تلعب بها نسمة الصيف... لم أشعر برغبة فى اللعب مع الأصدقاء أو الذهاب إلى الفراش وأخذت أتجول بين الحقول أفكر فى المشهد الذى هزنى من الأعماق.

وذهبت إلى المسجد الجديد أصلى الفجر.... وأقرأ الفاتحة على روح الوالد الذى استقر فى قبره على التراب وليس فى نعش مغلق... وخرجت استقبل شروق الشمس.

....

....

وعندما عدت إلى القاهرة بعد أيام عقب انتهاء أجازة الصيف تصادف أنى وقفت طويلا أمام صورة والدى، ومشهد انتقاله من مرقده يملك على نفسى، الأمر الذى لاحظه زوج شقيقتى وابن عمى أيضا والذى كان ولى أمرى وبمثابة والدى، فأقبل على وأخذنى بيديه محاولا تغيير انتباهى.

هل تعرف صور المشايخ الذين يجاورون صورة والدك على الحائط؟

وقلت له:

ـ نعم أعرف واحدا منهم هو الشيخ محمد عبده

والآخر

ـ لاأعرف

وقال لى (أنه الشيخ حسن العطار، أمام فاضل من أئمة المسلمين، كان شيخا للأزهر وكان أول من تولى الأشراف على «الوقائع المصرية» أول مجلة أصدرها محمد على... وكان أستاذا للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى وهو الذى رشحه فى بعثه

إلى فرنسا، ولما عاد أشرف على الوقائع بعد أن أصبح الشيخ حسن العطار شيخا للأزهر.

وواصل حديثه الذى كنت استمع إليه فى تشوق وانبهار.

كان والدك وفيا لأساتذته... ولذا أطلق اسم (محمد عبده) على أخيك الكبير... واسمك (أحمد أبو خطوة) كان أستاذا له فى الأزهر ومفتيا للديار المصرية... كما أطلق اسم الشيخ (محمود سعيد) أحد أساتذته أيضا على أخيك الصغير.

جميع الأسماء كانت مركبة... وهى لأساتذة الوالد من كبار رجال الأزهر الشريف.

ومنذ ذلك اليوم أحببت اسم الشيخ حسن العطار والشيخ محمد عبده والشيخ أحمد أبو خطوة، حاولت التعرف على دورهم فى حياة مصر...

وتحمست للشيخ محمد عبده ضد هؤلاء الذين كانوا يحاولون الأساءة إليه على اعتبار أنه كان على صلة طيبة بالأنجليز المستعمرين... مشيرا إلى كتاباته وآرائه التى كانت تفسر الدين تفسيرا مقنعا، وتربطه بحضارة العصر... ومشيدا بدوره مع جمال الدين الأفغانى ونفيه إلى تركيا، ثم ذهابه إلى باريس وأصدارهما معا مجلة (العروة والوثقى) التى صدرت ثم توقفت قبل عودته لمصر.

وهكذا نشأت فى أسرة دينية، وتحمست لآراء وأفكار الذين أحبهم والدى وأطلق أسماءهم على زينائه أو زين جدران المنزل بصورهم.

وكانت أمى لاتعرف القراءة والكتابة... وكنت أنصت مشوقا إلى حديث الأم والأقارب عن الأب الذى رحل عام ١٩٢٤ وترك والدتى ترعى الأبناء الأربعة... وهى قريبته، ابنة عمه، تزوجته صبية صغيرة، ومات وهى فى الخامسة والثلاثين... طافت معه وهو قاضى شرعى كثيرا من مدن مصر... قنا وأسيوط وبنى سويف حيث ولدت، ثم استقرت فى القاهرة بعد أن أصبح رئيسا لأحد المحاكم الشرعية.

واجهت الحياة وحولها أطفال أصغرهم عمره بضعة شهور... وكانت قد فقدت قبل ذلك ولدا وبنتا لحق بهما القدر وهما فى عمر الزهور.

كانت المسئولية كبيرة على الأم ولكنها لم تأخذ أولادها وتعود إلى (الخوالد) حيث تستقر الاسرة، وتوجد الأرض التى اشتراها الوالد من مرتبه... أصرت على البقاء فى القاهرة لتعليم الأولاد وهى لاتملك إلا معاشا محدودا، وريعا متقطعا من ايجار الأرض.. وأصرت أيضا على بناء جامع ومدرسة الزامية وكتاب بناء على وصية (المرحوم)... وهو الجامع الذى كان جثمانه قد استقر فيه...

وشاء القدر أن يساعد الأم بزواج شقيقتى الكبرى والوحيدة من ابن عمنا أيضا وكان قاضيا شرعيا مثل والدى... واستقرت الحياة إلى جانبه، وأصبح رغم معيشتنا فى مسكن مستقل يرعانا رعاية الوالد.

كانت القاهرة فى أواخر العشرينات مدينة تختلف تماما عن مدينة التسعينيات.. سكانها لايتجاوزون مليونان.. شوارعها المرصوفة محدودة ورجال الدين والأزهر أوكلياته فى الحلمية الجديدة... (كلية الشريعة واللغة العربية كانت فى شارع البرامونى القريب من سراى عابدين)... ولكننا كنا نعيش فى شبرا حيث كانت كلية أصول الدين بجوار جامع الخازندار فى شارع شبرا.. وهو حى قليلا ماكان يقبل عليه المشايخ من خريجى الأزهر

الشيوخ الذين عرفت أنهم سكنوا فى شبرا، كانوا الشيخ محمد الخفيف والشيخ عبد الوهاب خلاف والشيخ محمد أبو زهرة وهم من الذين عملوا بالتدريس فى جامعة الملك فؤاد (القاهرة فيما بعد)

....

....

أول مشاهد العمر تبدأ فى منزل من دورين تحيط به حديقة فى شارع منية الأمراء المتفرع من شارع الترعة البولاقية والذمى كانت تخترقه فى الماضى ترعة حفرت فى عهد محمد على من عند بولاق

كان المنزل يطل على أرض واسعة فيها عشش من الصفيح.. وكانت تعرف باسم (عزبة الصعايدة)... وتنتهى قريبا من مدرسة البون باستير) الفرنسية التى تطل على شارع شبرا.

كانت أمي تحذرني من الذهاب إلى عزبة الصعايدة أو اللعب مع أطفالهم خوفا من الكلاب الضالة والعقارب والثعابين... وكثيرا ماكنا نسمع عربة الاسعاف وهى تحضر إلى العزبة لتحمل من عقره كلب أو لدغة عقرب أو ثعبان فى ظلمة الليل.

كنت ألعب مع زملائى فى مدرسة شبرا الابتدائية فى شارع الترعة البولاقية وأطيع كلام والدتى فلا أذهب إلى عزبة الصعايدة رغم أنى كنت أجد منهم تشابها وقربا من أهلى فى القرية، والذين كنا نمضى معهم أربعة أشهر تقريبا كل عام هى أجازة الصيف.

وكثيرا ماجلست فى شرفة المنزل التى تطل عليها اتابع حياتهم اليومية وكأنى فى الخوالد... حتى المعازك التى كانت تنشب بينهم أحيانا كانت تذكرنى بمعارك القرية التى رأيتها تنشب فجأة بين بعض العائلات ويتصارع فيها الناس بالنبوت ويسقط بعضهم على الأرض تنزف منه الدماء، ونسمع فيما بعد أنه قد أجريت له عملية ترينة.

المكان الوحيد الذى كنت التقى فيه مع سكان عزبة الصعايدة هو جامع الحاج محمود الذى أقيم بجانب عدد من العمارات تحمل اسم الحاج محمود أيضا ويطل على شارع الترعة البولاقية أثناء صلاة الجمعة، التى كان يحرص زوج أختى أن يأخذنى معه إليها... وكنت أشعر بسعادة كبيرة وأنا أرى إمام الجامع يحييه فى احترام وله دائما مكان فى الصف الأول من المصلين الذى كان يتميز بينهم بأنه كان يلبس الجبه والقفطان.

كنا فى الخوالد نجتمع خلال صلاة الجمعة مع الأقارب والأصدقاء الذين كانوا يلبسون أفضل وأنظف ملابسهم كما يفعل جيراننا فى القاهرة من أبناء عزبة الصعايدة.

كانت خطبة الجمعة فى القرية تختلف عنها فى المدينة... اعتاد خالى الذى درس فى الأزهر ولم يكمل تعليمه أن يلقى الخطبة من كتاب أصفر الورق تتعدد فيه خطب الجمعة تبعا للمناسبات الدينية المختلفة... ولذا كان المتعلمون من أبناء القرية ينتظرون أحد الأقارب من خريجى الأزهر أو طلبته ليلقى خطبة الجمعة... التى كانت تتعرض للنقد همسا من خالى لأنها مرتجلة وتخرج عن طلب الدين الحنيف فى رأيه.

كان خطيب الجمعة فى مسجد الحاج محمود يخطب الجمعة مرتجلا ويتعرض غالبا لقضايا الحياة اليومية... وقد تعرض احيانا لمواقف وطنية عندما هاجم عز الدين عبد القادر الذى حاول اغتيال مصطفى باشا النحاس أثناء القائه خطابه فى سرادق غير بعيد عن جامع الحاج محمود... قائلا أن الدين لايقر القتل ولا الارهاب.

وأصبحت صلاة الجمعة عندى طبيعة لا أخرج عليها سواء فى القرية أو المدينة لأنه إلى جانب اللقاء مع الأقارب والأصدقاء كنت أشعر بين المصلين أنى أكبر عمرا... وكنت أعتز بمتابعة صوت المقرئ... لأننى أكملت قراءة القرآن سبع مرات فى كتاب القرية بتشجيع من الأسرة، وخاصة أمى التى كانت تنصت لى فى صمت وحنان.

....

....

وكان من أمتع الأوقات عندى هذه الجلسات التى أقبع فيها جالسا فى صمت على أحد المقاعد فى غرفة الاستقبال عند ابن عمى الكبير الشيخ ابراهيم حمروش الذى كان عميدا لكلية اللغة العربية وعضوا فى مجمع اللغة... وهو حوار ممتع كان يجمع بين اللغة والدين مع أسماء عرفتها وشعرت نحوها بالهيبة والاحترام... الشيخ فتح الله سليمان الذى كان رئيسا للمحكمة العليا الشرعية، والشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية والشيخ مأمون الشناوى عميد كلية الشريعة والذى أصبح أيضا شيخا بالأزهر فيما بعد، والشيخ محمود أبو العيون وغيرهم.

كان منزل الشيخ ابراهيم حمروش الذى كان يكبرنى بأربعين عاما فى شارع المدفر الذى يطل على جامعى السلطان حسين والرفاعى ومن خلفهما القلعة هو بمثابة صالون أدبى ودينى يلتقى فيه عدد من الشخصيات الدينية أساسا وتناقش فيه أحيانا القضايا الوطنية والاجتماعية... رأيت هناك الدكتور طه حسين والاستاذ أحمد أمين الذى كنت أتبع قراءة مجلته (الثقافة) ....

أذكر خلال زيارة قام بها الشيخ ابراهيم حمروش للخوالد... وكان يجلس على المصطبة أمام دوار منزله كما هو فى لغة الريف أن أقبل أحد الخفراء على أخى قابضا على رجل ومعه شيكارة مليئة بكيزان الذرة، وهمس فى أذن أخى الذى كان يشغل منصب العمدة فقال له أخى بصوت مرتفع (خذه إلى النقطة لعمل محضر).

وتساءل فضيلة الشيخ ابراهيم عن السبب... فقيل له أنه لص ضبط متلبسا بسرقة الذرة من حقل أحد الناس... ولما سألهم عن أسرته وكان يعرف أهل القرية جميعا، قيل له أنه لا أسرة له ولاسكن ولاعمل... فطلب من أخى الافراج عنه لأنه لايعتبر فى حكم الدين لصا، لأن ولى الأمر لم يهيئ له عملا يوفر له أحتياجات الأنسان الضرورية.

وبين دهشة الحاضرين، أصر الشيخ ابراهيم حمروش على الافراج عنه، ومطالبتهم بأن يبحثوا له عن عمل يقيه خطر الانزلاق إلى الجريمة.

عين الشيخ ابراهيم حمروش شيخا للأزهر فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٤٩ وحضر إلى الإسكندرية لمقابلة الملك فاروق فى قصر المنتزة... وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقابل فيها الملك.

دعوت الشيخ ابراهيم حمروش إلى منزلى فى سبورتنج للراحة قبل ذهابه لمقابلة الملك وكنت وقتها ضابطا فى الأنوار الكاشفة.

كان منشغلا بموضوع الحوار الذى يمكن أن يدور فى هذه الجلسة التى يتعرف فيها الملك على شيخ الأزهر الذى كان واحدا من المناصب التى تحرص السراى على أن تكون فى يدها، كما هو الحال فى الجيش أيضا.

كنت منفعلا بهذه الزيارة التى سيقوم فيها الشيخ ابراهيم حمروش بمقابلة الملك وانتظرت عودته فى ترقب فقد كنت مشوقا لمعرفة ماسوف يدور فيها.

وبعد عودته كان مستريحا لجو المقابلة وقال لى أنه وجد الملك شابا مهذبا.... وكان انطباعه طيبا عن الحديث الذى دار بينهما.

لاحظت وقتها أن الأصدقاء والزملاء فى الجيش والجيران فى السكن كانوا يقدمون لى التهنئة على مقابلة الملك للشيخ حمروش، بمناسبة تعيينه شيخا للأزهر الشريف.

وكان تعيين الشيخ ابراهيم حمروش فى وقت تصاعدت فيه حركة الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني فى منطقة قناة السويس، ووقفت حكومة الوفد من هذه الحركة موقفا وطنيا لا يعاديها.

وبعد اسابيع من تعيينه وعقب تصاعد الكفاح المسلح وسقوط عدد من الشهداء من أبناء الجامعة، أصدر تصريحا أحل فيه دماء جنود الاحتلال البريطانيين.. ونشرت جريدة التايمز وغيرها من الصحف البريطانية هذا التصريح فى صفحتها الأولى منبهة إلى خطر هذه الفتوى من شيخ الاسلام عن الاحتلال البريطانى.

وبعد حريق القاهرة، واقالة حكومة الوفد صدر أمر ملكى بإقالة الشيخ حمروش شيخ الأزهر الذى صرح وقتها قائلا (جئت بلا مقدمات، وخرجت بلا مقدمات).

....

....



●●● الفصل الثانى ●●●

- الرفت النهائى من مدرسة التوفيقية الثانوية عام ١٩٣٥ وأنا طالب فى السنة الثانية.. لماذا كان الرفت؟ ولماذا كانت العودة؟
- انتميت إلى (مصر الفتاة)... وأدخلنى أهلى (الكلية الحربية)!
- طرد طالبان من الكلية الحربية يثير غضبا صامتا بين الطلبة
- أول اجتماعات سياسية فى الجيش كانت مع البكباشى محمد كامل الرحمانى مدير الاذاعة وسفيرنا فى براغ بعد الثورة لتنظيم المقاومة ضد البريطانيين إذا حاولوا اغراق الدلتا بعد وصول رومل إلى العلمين
- كيف تعلمت البوكر... وكيف انقذت من تدخين الحشيش؟!

كنا نسكن بجوار جامع الخازندارة فى شارع شبرا والذى كانت تقع إلى جواره كلية أصول الدين وكثيرا ماصليت فيه الفجر حاضرا... ولم أتخلف عن صلاة الجمعة فيه أبدا.

تفتحت عيناى فى المدينة. ونحن نعتمد فى حياتنا على ماتدره الأرض الزراعية، وليس على ماتحصل عليه والدتى من معاش لم يتجاوز العشرة جنيهات.

لم تكن حياة سهلة... ولم يكن مصروف اليد كافيا للحصول على كل مايشتهيه صبى فى المدينة... وأذكر الأحاديث التى كانت تدور والأهل يرتبون مصاريف المدرسة التى كانت تصل إلى ضعف المعاش المقرر لحياتنا.

كنا نعتمد فى حياتنا على القرية... ونحرص على صلتنا الدائمة بها.

ولم تكن لى حتى هذا الوقت اهتمامات سياسية... سوى الأحاديث التى نتبادلها أحيانا فى المدرسة حول الأنباء التى تطالعنا بها الصحف.

ولكننى فوجئت يوما فى عام ١٩٣٥ وأنا بعد تلميذ فى السنة الثانية بمدرسة التوفيقية الثانوية وعمرى لم يكتمل ١٤ عاما أن مدرسا يمنعنى من الدخول إلى المدرسة، وهو يلفت نظرى إلى كشف وضع على الباب الخارجى وكان فيه اسمى ضمن ٣٤ اسما من التلاميذ تقرر رفتهم نهائيا من المدرسة... وكنت الوحيد من السنة الثانية والباقين فى معظمهم من تلاميذ السنة الرابعة والخامسة.

ولما سألت عن السبب اقترب منى البواب النوبى وهو يربت على كتفى فى أبوة حانية، ويقول (علشان المظاهرات)!

كنت قد خرجت مع تلاميذ المدرسة فى مظاهرة كانت تهتف (يسقط هور ابن الثور)... وهور هذا كان هو صمويل هور وزير الخارجية البريطانى الذى أدلى بتصريح قال فيه أن دستور ١٩٢٣ يجب ألا يعود.

خرجت فى المظاهرة سعيدا بالانطلاق بعيدا عن الفصل دون ادراك لشئ سوى أننا نهتف ضد الأنجليز المحتلين... ولم أكن أعرف وقتها شيئا عن الدستور والفرق بين دستور ١٩٢٣ والدستور الذى أصدره اسماعيل صدقى باشا عندما تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٠.

صدمت من قرار الرفت النهائى... ولم أعرف كيف أنقل الخبر إلى أمى أو إلى زوج أختى وولى أمرى... وشرعت أجوب الشوارع حتى تعبت فجلست على أحد المقاهى حتى حان موعد انتهاء الدراسة وعدت إلى البيت وكان شيئا لم يكن.

زارنى يومها بعض الزملاء، وأبلغونى أن الدراسة لم تكن هادئة وان التلاميذ خرجوا من الفصول ولكنهم لم يقتحموا البوابة للخروج إلى الشارع، فقد رفت زعماء المظاهرات وفى مقدمتهم ذكرى الذى أصبح ضابطا للبوليس فيما بعد.

لم أخبر أمى... لم أجرؤ على مفاتحتها فى هذا الموضوع... بقيت فى الأيام التالية أخرج فى موعد المدرسة وأعود بعد انتهاء الدراسة، إلى أن فوجئت بزوج أختى يسألنى على انفراد (أين كنت وأين أمضيت اليوم؟).

وأجبت فى لعثمة (كنت فى المدرسة).

ولكنه قال فى حسم لم أعهده منه فقد كان شديد العطف والحنو (لا تكذب وقل الحقيقة).

ولم أجد مفرا من الاعتراف قائلا (أصلى أترفت من المدرسة).

وكانت المفاجأة لى قوله (ولماذا تخفى الأمر وأنت لم ترفت لخطأ أو انحراف سلوكك الشخصى، وإنما رفت لسبب سياسى...).

سبب سياسى... كان وقع الكلمة عندى غريبا... فلم أكن أهتم بالسياسة حتى ذلك الوقت إلا على قدر مايهتم بها الزملاء الآخرين من التلاميذ... وهم يعلقون على ماتنشره الصحف... وخاصة استشهاد عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد موسى وغيرهما من طلبة الجامعة برصاص البوليس.

وعندما علمت أمى أصابها حزن شديد... فقد كانت رسالتها أن تهتم بتعليمى وتعليم أخوتى بعيدا عن الأهل.... هنا فى القاهرة... ولم تنفع محاولاتى فى أن أعيد البسمة إلى وجهها الطيب الحنون.

وبقيت مرفوتا ٣٥ يوما لاأذهب إلى المدرسة... ولاأشاهدها إلا من بعيد... وقاسينا الوحدة والحرمان من الأصدقاء إلى أن صدر قرار بعودة جميع التلاميذ إلى الدراسة بعد أن صدر قرار بعودة دستور ١٩٢٣ فى عهد توفيق نسيم باشا.

....

....

عرفت السياسة بعد ذلك.... عندما بدأ الزملاء فى المدرسة يتحدثون معى فى شئونها... ووجدت نفسى مندفعا إلى الأنتماء لجمعية مصر الفتاة دون أن أعرف مكانها، وإنما أقرأ جريدتها وأشيد بمبادئها العشرة، واقترب من التلاميذ الذين كانوا يدافعون عنها، وأذكر منهم لطفى واكد نائب أمين عام حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى... وأذكر مشاجرة نشبت بينه وبين شقيق زوجتى فيما بعد وزميلنا فى الدراسة وقتها حسن حافظ عضو مجلس الأمة والشعب لعدة مرات عندما وضع شارة مصر الفتاة فى حذائه لأنه كان وفديا... وكانت الشارة أهرامات ثلاث من نحاس أصفر!!

وبدأت الأسرة تراقب نشاطى... ويحذرنى زوج أختى من لعنة السياسة... ولذا فكروا وقرروا ادخالى الكلية الحربية بعد أن كان ١٧ تلميذا من مدرسة التوفيقية الثانوية قد دخلوا إليها بشهادة الثقافة فى العام السابق.

وكانت الكلية الحربية قد فتحت أبوابها لدفعات كبيرة بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وتوتر الموقف الدولى، وقيام ايطاليا بغزو الحبشة (أثيوبيا) وهرب الامبراطور هيلاسيلاسى إلى بريطانيا.

حصلت على التوجيهية عام ١٩٣٩ ودخلت الكلية الحربية فى نفس العام فى دفعة شهر ديسمبر وكانت تقع وقتها فى شارع الخليفة المأمون أمام القيادة العامة للقوات المسلحة وضريح جمال عبد الناصر بكوبرى القبة.

ولم يكن الدخول أمرا سهلا فقد كان الأمر يحتاج إلى وساطة وجدها زوج أختى فى عبد السلام باشا الشاذلى الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية وكان قد تعرف به عندما كان يعمل قاضيا شرعيا فى دمنهور أثناء عمل الشاذلى باشا مديراً للبحيرة.

دخلت الكلية الحربية رغم أن المصاريف كانت باهظة نسبيًا إذ كانت ٦٠ جنيها فى وقت كان سعر الفدان حوالى ١٠٠ جنيه، ومصاريف الجامعة حوالى ٣٠ جنيها.

ومنذ اليوم الأول شعرت أننى أدخل حياة جديدة... حلق الحلاق شعر راسى نمرة ٢ ، وأعطيت جزمة من الجلد قمت بصبغها باللون الأسود، وسمعت كلمة (اجرى يابايظ) لأول مرة، وعندما حاولت الاعتراض تكالبت الصيحات حولى، ودفعنى الشاويش بيده دفعة كادت توقعنى على الأرض.

لم يعد هناك من سبيل للمعارضة أو المقاومة... وأصبح طبيعيا أن نقف أمام طالب فى السنة النهائية يحمل رتبة (انباشى) أو (شاويش) ليلقنك مايسمى (داخلية) من كلام فيه بعض التعليمات وكثير من الشتائم

ومنذ اليوم الأول استيقظت فى الخامسة صباحا، لارتب السرير خلال خمس دقائق فقط ثم أقف إلى جانبه لأعطى مايسمى بالتمام، زى أذكر اسمى بصوت عال وأقول تمام ياأفندم لأنباشى العنبر الذى يتثاءب على راحته.

وهكذا بدأت الحياة فى الكلية الحربية تكاد تعزلنى عن فترة الدراسة الثانوية وماكان فيها من اهتمامات سياسية وحرية شخصية.

....

....

كانت دفعتنا فى الكلية الحربية التى دخلت فى سبتمبر ١٩٣٩ هى أول دفعة تمضى ثلاث سنوات كاملة منذ أن فتحت أبواب الكلية لدفعات جديدة بعد عقد معاهدة ١٩٣٦، حيث كانت تتخرج الدفعات أحيانا بعد دراسة لا تكاد تكمل العام نتيجة للتوسع فى عدد الجيش، الذى كان مقيدا بعدد محدود وأسلحة قديمة منذ عقدت معاهدة ١٨٩٩ للحكم الثنائى فى السودان.

ورغم أن السياسة كانت محظورة تماما على الطلبة، ولم يكن الوقت أو الظروف تسمح بأى نشاط سياسى، إلا أننا فوجئنا يوما بالبروجى يعزف (نوبة جمع للكلية) فى عصر أحد أيام شهر أكتوبر عام ١٩٤٠.

وأخذنا نتساءل عن سبب هذا الاجتماع المفاجئ الذى لم يحدث من قبل فى تاريخ الكلية وصاح البعض بأن ذلك ربما كان رغبة فى اعلان تخرج دفعتنا... وردد البعض الآخر بأنه ربما كانت هناك أخبار هامة.

وسرعان ماتبين أن الاجتماع كان لأعلان رفت طالبين من دفعتنا هما على عبد البارى ويوسف أدهم لأنهما كانا على صلة - حسب ماقيل - مع عزيز المصرى، الذى سقطت طائرته أثناء محاولة الهرب وكان يقودها الطياران حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرءوف، الذين اعتقلا وقدما للمحاكمة

غضب الطلبة لقرار الرفت ولكن أحدا لم يرفع صوته.. وبدأت الهمسات فى أروقة الكلية وقاعات محاضراتها تتساءل عن مبرر هذا القرار ومعروف عن عزيز المصرى أنه رجل وطنى معاد للبريطانيين

تحدث الطلبة كثيرا عن الاحتلال البريطانى وعن معارك الصحراء الغربية التى اندحرت فيها القوات البريطانية... ولكن حديثهم كان كدخان فى الهواء، وتنفيث عما تطويه الصدور، ولم يتحول إلى مظاهرات كما كنا نفعل فى مدرسة التوفيقية

الثانوية... وتمت محاكمة عزيز المصرى فى قاعة خاصة بمبنى الكلية الحربية بعيدا عن المحاكم العادية

....

....

وكثير من الطلبة كانت تجذبهم فى ذلك الوقت انتصارات هتلر ويبدون اعجابهم به، ويرون فى ذلك موقفا معاديا للأحتلال البريطانى.

كانت التنظيمات الفاشية والنازية موضع اعجاب شديد فى مصر... فمصر الفتاة اختارت لأعضائها لبس القميص الأخضر، وبادر الوفد رغم أنه كان حزب الأغلبية الشعبية الى تشكيل فرق القمصان الزرق، وذلك تشبها بأصحاب القمصان الرمادية فى المانيا والقمصان السود فى ايطاليا.

كانت تقع آمام منزلنا المجاور لجامع الخازندار فى شارع شبرا مدرسة ايطالية حديثة المعمار، يجتمع فيها التلاميذ صباح كل يوم فى طابور منظم ويهتفون (فيفا لادوتشى) أى (يحيا موسولينى).

كان منظر تلاميذ المدرسة الايطالية مثيرا لإعجاب السكان المجاورين للمدرسة، وللسائرين فى الشوارع ولكن تغيرت الأمور بعد أن قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ وتحولت المدرسة الى معتقل مؤقت للايطاليين... وأصبحت بعد ذلك كلية للآداب تابعة لجامعة عين شمس.

وخلال السنوات الأولى من اللحرب التى أمضيناها فى الكلية الحربية كانت تختلط عندنا المشاعر مرتبطة بالانتصارات فى ميادين القتال.

كان اجتياح هتلر لفرنسا خلال اسبوعين، وصورته وهو يرقص فى باريس أمر مثيرا للاعجاب والانبهار... وكان وصول القوات الايطالية بقيادة جرازيانى إلى سيدى برانى ثم عودتها بعد أن طعمت بقيادة وقوات المانية لتجتاح الصحراء الغربية وتقف على أبواب الأسكندرية عند العلمين فى عام ١٩٤٢ بقيادة الماريشال الألمانى روميل أمرا مثيرا للفزع عند البعض والاعجاب عند آخرين.

الكاتب الكبير عباس محمود العقاد سافر إلى الخرطوم لأنه كان يدافع عن الحلفاء في وضوح وصراحة.. عدد ملحوظ من اليهود المصريين سافروا فى القطار إلى القدس خوفا من وصول القوات النازية إلى الدلتا والقاهرة.. علاقة الملك فاروق الحميمة مع الايطاليين دفعت قوات الاحتلال البريطانى الى تقديم انذار له يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بضرورة تولية مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد لرئاسة الوزارة، بعد أن كانت الحالة الاقتصادية خلال وزارات الإقليمة قد وصلت إلى حد يهدد بانفجار شعبى.

....

....

أثار حادث ٤ فبراير موجات من النقد والاحتجاج فى صفوف الجيش، اذ أخذه البعض على أنه أعتداء وقح على رمز السيادة المصرية... ورغم همسات النقد التى كانت توجه للملك إلا أن كلمات الاعتراض التى وجهت لقوات الاحتلال البريطانى كانت أعلى صوتا.

فوجئت يوما بالبكباشى محمد كامل الرحمانى الذى كان مدرسا بالكلية الحربية يجتمع بعدد من طلبة القسم النهائى بالكلية مساء أحد الأيام ويتحدث اليهم فى صراحة مذهلة عما يجب أن نفعله إذا حاول البريطانيون اغراق الدلتا لمنع تقدم قوات المحور.

واستقر الرأى على ضرورة تنظيم صفوفنا فى الجيش لنحمى القناطر والكبارى والجسور فيما لو تطورت الحالة، وبدأ هجوم قوات المحور.

تسربت السياسة إلى الجيش، وعادت تجذبنا من جديد.

وتابعنا داخل الكلية الحربية ماكان يصلنا من أنباء ضباط الجيش... القائمقام محمد نجيب حاول تقديم استقالته احتجاجا على حادث ٤ فبراير... اليوزباشى أنور السادات أعتقل لصلته ببعض الجواسيس الألمان فى عوامة الراقصة حكمت فهمى... محاكمة عزيز المصرى.

ولم تتح الظروف لتجمعنا الصغير الذى التف حوله البكباشى محمد كامل الرحمانى الذى أصبح بعد ثورة يوليو مديرا للأذاعة ثم سفيرا فى تشيكوسلوفاكيا... لم تتح له الظروف أن يفعل شيئا، فقد تخرجت دفعتنا فى شهر يونيو ١٩٤٢، وكانت انتصارات المحور قد بدأت تنحسر... ويثير اعجابنا انتصارات الحلفاء، وخاصة فى الاتحاد السوفيتى حيث بدأنا نطالع فى اعجاب شديد بطولة الشعب هناك فى ولينجراد وسيتاسنبول وستالينجراد وموسكو وغيرها!

واختلطت الأمور... وتحول التقدير والاعجاب من المحور إلى الحلفاء، وبدأت تظهر علامات استفهام عن الأسرار التى تجسد بطولة الجيش الأحمر... وعلاقة ذلك بالشيوعية التى لم تكن قد أصبحت بعد كلمة هامة فى قاموس السياسة المصرية.

التحقت ضابطا صغيرا ملازم ثان فى المدفعية... ووجدت نفسى فى وحدة أنوار كاشفة فى الطالبية بالهرم بجوار ملهى الاريزونا، واشارك فى الدفاع عن القاهرة التى كانت تضم معسكرات الجيش البريطانى فى القلعة والهرم وقصر النيل والماظة... ومعسكرات للجيش الأمريكى فى هاكستيب... وتلاشت تدريجيا فكرة مقاومة الجيش البريطانى، وخاصة بعد أن استطاع الماريشال مونتجومرى أن ينتصر فى معركة العلمين، ويبعد خطر اجتياح قوات النازى للدلتا، بما قد يصيب ذلك من هدم للقناطر والكبارى والجسور.

اندمجت فى حياة الجيش... وتنقلت فى مواقع الأنوار الكاشفة من الطالبية بالهرم إلى منيل الروضة إلى كلية البوليس إلى قرية بيجام بعد شبرا البلد.. وكانت البعثة العسكرية البريطانية هى التى تسيطر سيطرة فعلية على تسليح وتنظيم وتدريب الجيش.

كان ضابط البعثية البريطانية (الميجور كوك) يزورنا فجأة فى مواقع رئاسات التروبات أحيانا أثناء الغارات الجوية الألمانية... وأحيانا أثناء التدريبات... ليشرف على سير العمل

لم يكن (الميجور كوك) يتدخل بطريقة فجة... ولكنه كان يوجهنا بطريقة غير مستفزة... وقد علمنا فيما بعد أنه كان يحمل رتبة شاويش فى الجيش البريطانى، ولكنه حصل على رتبة صاغ أو رائد أثناء عمله فى البعثة العسكرية.

....

....

كانت حياة شاقة فى الانوار الكاشفة... نقضى سته ليال كل اسبوع فى موقع العمل لانغادره.

لم تكن هناك تسلية سوى القراءة... وكنت قد اعتدت أن أصلى المغرب، وأجلس فى الخيمة إلى جوار فانوس تضيئه شمعة، وأقرأ جريدة (المقطم) المسائية وبعض الكتب والروايات

كانت الليالى تمضى رتيبة متشابهة لاتتناسب مع حيوية الشباب... لايخرجنا فيها عن الروتين اليومى سوى غارة جوية أو تدريب.

وكان معى فى بداية عملى قائد للتدريب برتبة ملازم أول... سألنى يوما:

- تعرف تلعب كوتشينة؟

- أيوه ياأفندم.

- تلعب ايه

- بصرة...

- بس

- والواد يقش

- بس

- ايوه ياافندم.

- ماتعرفش كونكان

- لا ياافندم

- ولابوكر

- لا ياأفندم

وظهرت الحسرة على وجه الملازم أول زكى غنيمة، وهو يتصعب ويمصمص

شفتيه ... فبادرت قائلا بجدية .

ـ أتعلم ياأفندم

وانفرجت أسارير زكي غنيمة ... وبدأ يعلمني طريقة اللعب، وفي إحدى الليالي دخل علينا (الميجور كوك) ... الذي يبتسم وهو يقول

ـ أعرف أن الوقت ممل

وشاركنا اللعب ... ولكنني لم أنجذب إلى الكوتشينة ولم أمارس اللعب بعد ذلك إلا نادرا .

وفي ليلة أخرى دعانا ضابط تروب المرج لزيارته بعد أن كانت قوات المحور قد انسحبت بعد معركة العلمين وانحسرت الغارات الجوية ... وفي خيمته وجدنا وكيل نيابة المرج ومأمور القسم وضابط الموقع ومعهم شاويش يرص لهم الجوزة وهم يدخنون .

كانت هذه هي تجربتي الأولى في تدخين الحشيش والأخيرة أيضا ... فقد شعرت أنني أختنق من الدخان وعندما خرجت من الخيمة للذهاب إلى الحمام وجدت أنها محاطة بالماء ... فرفعت رجلي حتى لاأبتل .... وإذا عسكري الدورية (الديدبان) يقترب مني فسالت

ـ اية الميه دي يادفعه؟

واندهش العسكري وقال ميه ايه .. ياافندم

لم يكن هناك ماء ... ولكن خيل إلي !!

وشعرت بمهانة شديدة لنفسي ... ولم أمارس التجربة مرة أخرى مطلقا .

أمضيت سنوات في الأنوار الكاشفة ... كانت في معظمها هي السنوات التي تولت فيها وزارة الوفد الحكم من ٤ فبراير ١٩٤٢ إلى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ حيث أقيلت في اليوم التالي مباشرة لتوقيع اتفاق انشاء جامعة الدول العربية في قصر انطونياديس بالاسكندرية .



●●● الفصل الثالث ●●●

- حضرت نهاية الحرب العالمية الثانية فى معسكر مدرسة المدفعية المضادة للطائرات البريطانية فى حيفا مع بعثة من الضباط المصريين
- عضو مجلس الشيوخ محمد بك خطاب يفتح لى الباب لأكون شيوعيا !
- القلعة أول تنظيم سياسى يسارى انتمى إليه
- دار الأبحاث العلمية المكان الذى التقيت فيه مع الشهيد شهدى عطيه الشافعى، والدكتور عبد المعبود الجبلى
- أقسم الضباط من الأخوان المسلمين ومن حدتو على عدم اطلاق الرصاص على طلبة جامعة الملك فؤاد الأول. القاهرة فيما بعد. أثناء تواجدهم فى حديقة الأورمان
- كنت فى ميدان الاسماعلية (التحرير) يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ عندما أطلق الجنود البريطانيون الرصاص على المتظاهرين
- شاركت فى حصار نادى ضباط البوليس فى حديقة الأزبكية أثناء تجمعهم للاضراب
- كيف احتفل الملك فاروق مع الضباط فى عيد المدفعية بألماظة بحضور فرقة الريحانى ورقص تحية كاريوكا وفرقة بالية أجنبية؟

بعد شهور من اقالة حكومة الوفد... وصلت الحرب العالمية الى نهايتها.

شاهدت نهاية الحرب العالمية الثانية فى معسكر لمدرسة الدفاع الجوى البريطانية فى حيفا، حيث ذهبت مع مجموعة من ضباط الدفاع الجوى لدراسة الرادار وكان منهم الزملاء مصطفى بهجت بدوى والسفير على خشبة، ووزير البحث العلمى فيما بعد صلاح هدايت وغيرهم

كنا نجلس فى قاعدة الاستقبال التى يقع فى أحد أركانها بار صغير، وتنشر فيها مقاعد وثيرة، عندما ارتفعت صيحة عالية من الضباط البريطانيين ومن عامل البار ماالخبر؟

أذيع فى لحظتها خبر القاء القنبلة الذرية على هيروشيما وتوقع انتهاء الحرب بين لحظة وأخرى

السعادة التى غمرت المعسكر البريطانى فى هذه الليلة حجبت التفكير فى ضحايا المدينة اليابانية البائسة... ولكنها كانت تعبيرا عن ابتهاج عام باقتراب اليوم الذى يعود فيه الجنود إلى أسرهم بعد عودة السلام

الجنود والضباط فى معسكر حيفا بدأوا يخرجون صور أولادهم وأسرهم ويتبادلون رؤيتها مع بعضهم البعض... والانخاب بينهم لم تتوقف حتى مطلع الفجر

وجدت نفسى أفكر فى أسرتى التى غادرتها منذ أيام بالقاهرة... زوجتى التى لم يكتمل عامان على زواجنا، وهى الآن لم تصل بعد إلى الثامنة عشرة... وابنتى نادية التى اضاءت حياتنا منذ بضعة شهور

تركت الزوجة الصغيرة وحدها مع اسرتى وكنت قد تزوجت بعد عام وبضعة شهور من تخرجى فى الكلية الحربية

لم يضغط على أحد، ولكننى وجدت نفسى حريصا على الزواج والاستقرار وعندما أعلنت اليابان التسليم لم يهدأ المعسكر لحظة واحدة... وترنح الكثيرون من الشراب

كانت الأسابيع التى قضيناها فى معسكر الجيش البريطانى القريب من قرية (الطيرة) الفلسطينية القريبة من حيفا قد اضاءت لنا مشكلة جديدة لم نكن قد اقتربنا منها كثيرا فى مصر فى غمار الاهتمام بالقضية الوطنية ومقاومة الاحتلال البريطانى

كانت هناك مستعمرات لليهود... وكانت لهم متاجر فى حيفا والقدس وتل ابيب... وكانت علاقتهم فى ذلك الوقت مع العرب بدأت تشكل واقعا يستحق الاهتمام... وسمعت صدفة مايستحق الرواية

كنا نركب القطار من القدس الى يافا.... وفى صالون الدرجة الأولى الذى يضم ٦ مقاعد جلست فتاتان من مجندات الجيش البريطانى... وكانت أحدهما رائعة الجمال، وتبادلنا التعليق على فتنتها باللغة العربية ونحن نشغل المقاعد الأربعة الأخرى... وفجأة وجدنا الفتاة تتفجر بالضحك وهى تقول لنا (أنا عربية) !!

غير معقول!!

وواصلت الفتاة حديثها (نعم عربية يهودية)... ونحن فى فلسطين لانفرق بير الأديان... وقد ولدت فى القدس وعشت فيها مع المسلمين والمسيحين... ولكن الانجليز يحاولون الأن الايقاع بين العرب واليهود... وحذرت الفتاة من مستقبل خطر إذا لم يتكاتف العقلاء على الوحدة الوطنية.

كان الحديث لنا مفاجأة... ولم تكن قضية شعب فلسطين قد تحولت عندنا بعد إلى مشكلة... ولم نكن نتصور أو نتوقع ظهور اسرائيل.

وغادرت فلسطين. وفى ذهنى صور لاحياء يهودية جديدة فى القدس وحيفا وتل ابيب... ومستعمرات يهودية تحيط بها اسلاك شائكة ومن خلفها جرارات... وعرب نلتقى بهم فى الحقول حول المعسكر يقدمون لنا البرتقال، وليس فى حديثهم مايشعر بخطر جدى من اليهود

....

....

ماكادت تنتهى الحرب العالمية الثانية حتى تصاعدت بشكل مثير مطالب الطوائف المختلفة التى عانت طويلا من القهر الاجتماعى

وارتبطت الحركة الوطنية المعادية للاستعمار والاحتلال بالحركة الاجتماعية التى لم تعرفها مصر من قبل

ولم تقف حياتى فى الجيش التى كنت قد اندمجت فيها اندماجا تاما... لم تقف حائلا بينى وبين متابعة القضايا العامة

وعندما قرأت خبرا فى الصحف أن عضوا فى مجلس الشيوخ قد قدم مشروعا لتحديد الملكية الزراعية، وجدت نفسى منجذبا إليه راغبا فى معرفة تفاصيله... فقد كان يثير اهتمامى ماأسمعه فى الخوالد عن تفاتيش الأسرة المالكة فى ايتاى البارود، وعن الأملاك التى تمتد لتصل بين محطات القطار... واسمع عن مظاهر الثراء الشاسع، وأقارن بين حال بعض أصدقائى من ابناء القرية الذين لايملكون ثمن الحذاء، ويجبرون على السير حفاة الاقدام، يضطرون إلى الرحيل بعيدا عن اهلهم فى لوارى عمال التراحيل

كنت أقارن بين الجامع والمدرسة والمستشفى التى اقامتها الأميرة سميحة حسين فى التوفيقية وأصبحت من معالمها... وبين عشرات القرى التى لم تكن تنعم بوجود طبيب أو رعاية صحية

كنت فى حيرة شديدة من هذه التناقضات... أشعر أن هناك ظلم لا أعرف مصدره

لم أتردد فى كتاب خطاب إلى (حضرة صاحب العزة محمد بك خطاب عضو مجلس الشيوخ) الذى قدّم مشروع القانون اطلب منه تفسيرا... وكنت وقتها قد تخرجت فى الكلية الحربية والتحقت بسلاح المدفعية

وفوجئت بخطاب أزرق يحمل اسم (مجلس الشيوخ) وعندما فتحته وجدته من محمد بك خطاب يدعونى إلى مقابلته عصر أحد الأيام من شهر مايو عام ١٩٤٥ فى منزله رقم ٢ شارع الطلمبات بجاردن سيتى، الحى الذى يضم السفارة البريطانية التى كانت تصل حديقتها إلى شاطئ النيل، ويسكنه أبناء الطبقة التى اعتدنا واعتادت الصحف وقتها ان تسميها الراقية أو الهايلايف

قرعت جرس الشقة التى كانت تقع فى الدور الرابع، وفتح لى الباب خادم نوبى، كان يتوقع حضورى فيما يبدو، فقد قال لى (تفضل). ودخلت شقة تبعث على الراحة والدفء وصاحب المنزل يقف مرحبا يمد يده بالتحية ويشير إلى أحد المقاعد الوثيرة، بعد أن قدمنى إلى شاب قصير القامة، كان يجلس صامتا وعلى شفتيه ترتسم ابتسامة لم تغب

وبدأ محمد بك خطاب حديثه موضحا أهمية قانون تحديد الملكية الزراعية، بعد أن تفاوتت الثروات، وأصبح الفارق واضحا بين قلة قليلة من الأثرياء يملكون المئات والألوف من الأفدنة وأغلبية ساحقة لا تملك شيئا من الأرض، ولاتجد فرصا دائمة للعمل

انبهرت بحديث محمد بك خطاب الذى لم يكن مشروعه يتعرض لمصادرة أو تأميم أية اراضى زراعية، وانما كان يحرم على من يملك خمسين فدانا شراء مزيد من الأرض، ويترك الأمر للقدر والوراثة حتى يصل الحد الأعلى إلى خمسين فدانا فقط

وتعجبت من موقف ذلك الرجل عضو مجلس الشيوخ الذى يعيش فى هذه الشقة الفاخرة ومع ذلك ينادى بتحديد الملكية الزراعية

....

....

وزاد عجبى عندما دعانا صاحب المنزل الى غرفة مكتبه العامرة بالكتب وقدم لنا ابنه الصغير طارق... صبى فى الرابعة عشرة من عمره تقريبا... وسأله اسئلة متلاحقة كان يجيب عليها الصبى بسرعة فائقة لماذا قامت ثورة ١٩١٩ ومن هم زعماؤها؟

ماهى ثورة ١٩١٧؟

ومتى توفى سعد زغلول... ومتى توفى لينين؟

وبعد اجابات الصبى التى لم أكن أعرف بعضها، قدم لي صاحب المنزل كتابا باللغة الانجليزية بعنوان (بعثة إلى موسكو) كتبه سفير الولايات المتحدة السابق فى الاتحاد السوفيتى (افريل هاريمان)

كتاب... وباللغة الانجليزية... هذا كثير

وبعد جلسة امتدت مايزيد عن الساعة... لم يعرف فيها صاحب المنزل اننى كنت ضابطا فى الجيش، فقد ترددت في اعلان ذلك بعد أن أخذنى الحديث الشيق، والجو الرشيق، والوعد على لقاء جديد في (دار الأبحاث العلمية) حيث كان محددا لمحمد بك خطاب القاء محاضرة هناك بعد يومين

وعندما خرجت من الشقة الفاخرة، صحبنى ذلك الشاب الذى بقى طوال الجلسة صامتا تقريبا... وقال لى ونحن ننزل السلم وأنا فى دوامة من الحيرة

مارأيك؟

وقلت دون تردد

ـ بصراحة... أنا شعرت أنى جاهل، فمعظم اجابات ابنه لم أكن اعرفها ولم اهتم بها... ثم ماهى دار الأبحاث العلمية هذه التى سوف نلتقى معه فيها

وابتسم الشاب قائلا

إلى هذه الدرجة... غدا يمكن أن تتضح لك الأمور إذا واظبت على الحضور إلى دار الأبحاث العلمية التى يجتمع فيها عدد من المفكرين والمثقفين للأستماع والحوار والتى تقع فى شارع نوبار بالسيدة زينب وقطعت الطريق معه سيرا على الاقدام من جاردن سيتى إلى ميدان العتبة الخضراء حيث ودعنى إلى موعد فى منزلى، وسمعت منه فى هذه الليلة مالم اسمعه من قبل عن كلمة (الاشتراكية)... وشعرت ليلتها برغبة شديدة فى التعرف على معالم هذا العالم الجديد الذى فتح بابه لى هذا الشاب الذى تخرج فى كلية التجارة، وكان اسمه مصطفى هيكل... والذى يقيم اليوم منذ أكثر من ثلاثين عاما فى المانيا الديموقراطية (سابقا)

....

....

ذهبت إلى مصطفى هيكل فى منزله بدرب اللبانه بالقلعة الذى يستقر على هضبة عالية على سفح جبل المقطم قريبا من جامعى الرفاعى والسلطان حسن... وقريبا ايضا من شارع المدفر حيث كان يسكن ابن عمى الشيخ ابراهيم حمروش الذى كان وقتها شيخا لكلية اللغة العربية قبل أن يصبح شيخا للجامع الأزهر

جذبنى درب اللبانه بعراقته التاريخية ومباينة القديمة... وعلمت من مصطفى هيكل ان عددا من الفنانين يقيمون ببيت مجاور له كان فى الأصل قصرا مملوكيا وكل فنان له ستوديو خاص يمارس فيه هوايته وأحيانا يقيم فيه أيضا

وعلمت فيما بعد أن درب اللبانه كان يضم عددا من الاسماء التى أصبحت لامعه فى حياة الفن المصرى... المهندس حسن فتحى وكنعان وحسن فؤاد وزهدى وجمال كامل وعبد الغنى أبو العينين وغيرهم

المنزل قديم... يعود بك إلى الماضى السحيق... ولكن أحاديث مصطفى كانت تفتح أمامى أفاقا رحيبة لمستقبل جديد...

وتعددت الاجتماعات مع مصطفى مرة كل اسبوع... أحصل فيها على كتاب نناقشه معا فى الاسبوع التالى، وهكذا قرآت (المادية الجدلية)، (المادية التاريخية)، (والمبادئ اللينينية)، (المسألة القومية) لستالين، (والديموقراطية الجديدة) لما وتسى تونج، (والبيان الشيوعى) لماركس وانجلز (ماالعمل) للينين

عدد كبير من الكتب... لا أذكرها كلها الآن بالتحديد... ولكنى فى كل أسبوع كنت أجرى حولها حوارا عميقا.... وفى ذهنى دائما المشاعر التى استولت على وأنا استمع إلى محمد بك خطاب يوجه أسئلة لابنه طارق لاأكاد أعرف من اجابتها شيئا

ولم تكن المقابلات مع مصطفى تتم مرتين فى مكان واحد... وتدريجيا عرفت عنه أنه ينتمى إلى تنظيم يسمى (القلعة) يلتزم السرية المطلقة، ويهدف إلى اقامة مجتمع جديد مطهر من الفساد والانحراف والقسوة التى نعيش فيها

كانت أفكارى تتفتح على أحلام وردية، وانسانية غامرة... واستولى على الاهتمام بالسياسة من جديد... ولم يكن فى هذه المرة اهتمام الهواه، وإنما اهتام الملتزمين بتنظيم ندفع له اشتراكات شهرية

بدأت أتردد فى حرص على (دار الابحاث العلمية) أستمع إلى المثقفين المصرين الذين كانوا يحاضرون مرة فى الاسبوع... والذين كنت أجد فى احاديثهم وجبة ثقافية شهية تشعرنى بالفرق الكبير بين ماوقفت عنده فى دراستى العسكرية وبين الآفاق التى كان يفتحها لى هؤلاء المحاضرين

تعرفت على الدكتور عبد المعبود الجبيلى الذى تتلمذ على جوليو كورى فيما بعد، وأصبح مديرا لهيئة الطاقة الذرية ثم وزيرا للبحث العلمى فى وزارة ممدوح سالم عام ١٩٧٥، وشهدى عطية الشافعى أول مفتش مصرى للغة الانجليزية والذى استشهد أثناء فترة اعتقاله عام ١٩٦١ ... وتعرفت على كثير من الشباب المتوقد حماسا للربط بين القضية الوطنية والقضية الاجتماعية.

لم يكن أحد يعرف أننى ضابط فى الجيش... أو هكذا تصورت وكانت المفارقة الغريبة أننى كنت أخرج ضمن قوات الطوارئ التى كانت تتحرك من مدرسة ومركز تدريب المدفعية بالماظة فجرا لكى تصل يوما بعد يوم إلى حديقة الأورمان المواجهة لجامعة الملك فؤاد (القاهرة فيما بعد) قبل السابعة صباحا

وكانت عند كبار الضباط أوامر صريحة بأطلاق النار على مظاهرات الطلبه، وذلك ارهابا للطلبة بعد حادث ٩ فبراير ١٩٤٦ فى كوبرى عباس الذى حبست فيه قوات البوليس الطلبه على الكوبرى وانهالت عليهم ضربا بالعصى حتى اجبرت بعضهم على القاء أنفسهم فى النيل

عدت إلى المنزل فى ذلك اليوم ٩ فبراير ١٩٤٦ فوجدت أخى الصغير (سعيد) الطالب فى كلية التجارة جريحا وراسة مربوطا بالشاش بعد أن لحقته عصا عسكرى من عساكر البوليس، وانقذه بعض الأهالى الذين فتحوا له بابا شقتهم وضمدوا جرحه... وثار الدم فى عروقى وتأملت حالتى الخاصة، حيث كان على فى الأيام التالية أن أكون ضمن قوات الطوارئ التى يفترض فيها أن تطلق الرصاص على الطلبه

عرفت هذه الحادثة يومئذ باسم مذبحة كوبرى عباس الذى قدر عدد المصابين فيها ستين طالبا، واعتقل ١٥٠ طالبا

عمت المظاهرات انحاء مصر احتجاجا على المذبحة وامتلأت الصحف ببيانات الاحتجاج وصادرت الحكومة بعض الصحف التى نشرت صور المظاهرات يوم ١١ فبراير (عيد ميلاد الملك فاروق) وحطم الطلبه زينات الحكومة التى اقامتها احتفالا بالعيد، وداسوا صور الملك بالأقدام واشعلوا فيها النار وهتفوا ضد الاستعمار والسراى وخرجت فى اليوم التالى ١٢ فبراير جنازة صامته واقام طلبه الأزهر صلاة الغائب

كان حادث كوبرى عباس دليل عجز فاضح أدى إلى استقالة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء، وتعيين اسماعيل صدقى باشا بدلا منه، وكان له تاريخ مشهود بالقسوة عندما تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٣٠ والغى دستور ١٩٢٣ ليحل

محله دستور جديد، هو الذى تظاهرنا من أجل الغائه فى المدارس الثانوية، ورفت وقتها من الدراسة نهائيا بمدرسة التوفيقية الثانوية كما سبق ان ذكرت

كانت ميولنا السياسية داخل الجيش فى هذه الفترة قد بدأت تتضح ونعلن عنها دون وجل... فلم يكن هناك رعب يمنع الانسان من التعبير عن وجهة نظره الوطنية

ورغم انتمائى إلى تنظيم سرى إلا أننى لم أستطع منع نفسى من الحديث عن الأفكار الجديدة التى بدأت اتشربها واقتنع بها... وكذلك كان معنا ضمن قوات الطوارئ بعض الذين عرفوا بانتمائهم لجماعة الاخوان المسلمين ومنهم الزميل كمال الدين حسين الذى كان وقتها مدرسا فى مدرسة المدفعية جناح مدفعية الميدان، والذى أصبح عضوا فى مجلس قيادة الثورة... وكان يتميز بالوطنية والاستقامة

لم نجد سبيلا لمواجهة الموقف الذى قد يدفعنا الى ارتكاب مالا نحب من اعتداء على أخواتنا الطلبة إلا الحوار الذى انتهى بقسم مشترك من مجموعة الضباط الذين كنا نتحرك معا يوما بعد يوم الى حديقة الأورمان... قسم بالا نطلق رصاصة واحدة على اية مظاهرة للطلبه مهما كانت العواقب... واستراح عندئذ ضميرنا وبدأنا نمضى وقتا طيبا معا بين زهور الحديقة وأشجارها... نتبادل الأحاديث التى تحاول تفسير الموقف الذى يحيط بنا

حاول الزملاء من الأخوان المسلمين أن انضم إليهم، كما حاولت أن أجذب عددا منهم... وكان ذلك يتم فى إطار من المودة الخالصة

حضر إلى منزلى فى شبرا بعض الزملاء من سلاح المدفعية ومعهم محمود لبيب الضابط المصرى السابق الذى كان قد عاش فى المانيا خلال فترة الحرب العالمية الثانية، وعاد ليقود تنظيم الضباط فى الأخوان المسلمين... وعندما رأى محمود لبيب صورة والدى الكبيرة التى حملتها إلى منزلى بعد الزواج، طلب أن يؤدى فريضة المغرب، فاديناها جميعا وهو يدعو ويترحم

ولكن الحوار المشترك بيننا أم يصل إلى نتيجة أكثر من التفاهم والتعاون دون الاندماج معا

....

....

وقد بدا صدقى وزارته بأسلوب ناعم... اقنع السعديين والأحرار بخطر عودة الوفد فضمن تأييد البرلمان له... وصرح بقيام المظاهرات لأيام محدودة، وصرح للطلبة باستعداده ورغبته فى التعاون مع النحاس، ولكن النحاس باشا صرح بأنه لايقبل أى نوع من أنواع التعاون إلا على أساس انتخابات برلمانية جديدة وهو الأمر الذى يعنى انتهاء التحالف القائم بين أحزاب الأقلية التى ارتضت الاشتراك فى الوزارة عدا حزب الكتلة الوفدية

ولم تتوقف المظاهرات الشعبية لوعيها بطبيعة وتاريخ اسماعيل صدقى، وتشككها وحذرها من تصريحات عن التحالف مع بريطانيا، وأصدرت لجنة الطلبة التنفيذية بيانا قالت فيه أن الأسباب التى دعت إلى الجهاد مازالت قائمة ... وفى ١٨ فبراير تجمع بميدان عابدين نحو ٤٠ الف متظاهر، كما تجمع نحو ١٥ ألفا بفناء الجامعة بالجيزة.

وخلال هذه الايام العامرة بالنضال التقى مندوبو الطلبة والعمال وانبثقت (اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) لتودى دورا تاريخيا بدأته باعلانها أن نقابات العمال وطلبه الجامعات والأزهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية قررت أن يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء ويوم الاضراب العام لجميع هيئات الشعب وطوائفه، ونادت أيضا بتعطيل المرافق العامة ووسائل النقل والمحلات العامة والتجارية.

وأخذت اجازة من الجيش فى هذا اليوم حرصا على متابعة ورؤية الأحداث التى كانت تغلى فى القاهرة.. وتجولت فى الشوارع وحيدا بشغف كبير.

وتعطلت الحياة العامة فى القاهرة، وعقد مؤتمر شعبى فى ميدان الأوبرا قرر مقاطعة المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٨٩٩ وعرض القضية على مجلس

الأمن، ثم تحركت المظاهرات الى ميدان قصر النيل (التحرير بعد ذلك) حيث ظهرت عربات بريطانية مسلحة اخترقت الجموع ودهمتهم فألقى المتظاهرون الحجارة على الثكنات، فردت القوات البريطانية بأطلاق الرصاص من خلف الأسوار... وتساقط عدد من الشهداء قدروا بعشرين شهيدا وثارت ثائرة الجماهير فانقضوا على بعض المحلات الأجنبية ومعسكر للجنود الافريقيين خلف المحكمة المختلطة ونادى الطيران البريطانى واعتدوا عليهم واستمرث المظاهرات تطوف شوارع القاهرة وتلوح بالمناديل المخضبة بدماء القتلى أمام قصر عابدين حتى منتصف الليل.

تجسدت لى صورة الاحتلال البريطانى كما لم تتجسد من قبل... وشعرت يومها بنوع من الخجل فى كونى ضابطا لايستخدم سلاحه فى مقاومة المستعمرين

وكانت نتيجة ذلك اليوم الفريد ٢١ فبراير ١٩٤٦ الذى أصبح عيدا عالميا للطلبة فيما بعد أن التهبت مشاعر الشعب وتجاوزت حدود الجامعة، ولعبت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال دورا قياديا بين الجماهير.

....

....

كنا مانزال نخرج فى قوات الطوارئ... ولكن الى أماكن تختلف تبعا لنوع المظاهرات.

حرص اسماعيل صدقى على استخدام الجيش كوسيلته الرئيسية للأرهاب والتهديد لم يكن مسايرا للتطور الذى أحدثته معاهدة ١٩٣٦ فى صفوف الجيش... اذ لم يعد الجيش محدود العدد أو خاضعا تمام الخضوع لنوعية خاصة من الضباط تمتد من أعلى الرتب إلى أصغرها، وبالتالى لم يعد اداة طيعة فى يد السلطة كما كان فى عهد وزارة صدقى فى بداية الثلاثينيات عندما استخدمه لتزييف الانتخابات.

تطورت كثيرة كانت قد حدثت فى مصر وفى الجيش لم يدركها ذكاء اسماعيل صدقى المعروف... وظهر رفض ضباط الجيش لأداء هذه المهمة البوليسية التى

أوكلت اليهم - الى جانب التقارب وتوحيد آرائهم - فى صورة منشورات كثيرة وزعت خلال هذه الفترة من الضباط المنضمين للأخوان، أو التنظيمات اليسارية.

وتولد شعور طبقى ناشئ وغير منظور عند صغار ضباط الجيش وعند عدد من صف الضباط الواعين.... بأنهم يعملون فى خدمة طبقة اقطاعية لاينتمون إليها... ومن هنا كان اقتناعهم بألا يكونوا أدوات تطلق النار على جماهير الطلبة والعمال.

....

....

تعددت اضرابات الطوائف وتصاعدت موجتها حتى وصلت غايتها عندما اضرب ضباط البوليس انفسهم مطالبين بمساواة العسكريين منهم برجال الجيش ومساواة الاداريين منهم برجال القضاء، وقدموا بذلك عدة مذكرات لم يحصلوا منها على جواب فاجتمعوا بناديهم فى حديقة الأزبكية يوم ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ وقرروا الامتناع عن العمل يوم ١٥ أكتوبر حتى تجاب مطالبهم وقرروا تسجيل اسمائهم فى قصر عابدين حتى لايتهمون بالتمرد السياسى

كنت ضمن قوة الجيش التى حاصرت نادى ضباط البوليس فى حديقة الأزبكية

ولم يكن لاضراب ضباط البوليس سابقة فى مصر.

وفى صباح ذلك اليوم اعلنت الحكومة حالة الطوارئ كمحاولة منها لمنع الاضراب ولكن ضباط القاهرة تركوا مكاتبهم وغادروا اقسام البوليس واجتمع ٥٠٠ منهم بالنادى ووصلتهم برقيات تأييد من ١٧٧٢ ضابطاً بالأقاليم... وقرر ضباط الاسكندرية النوم فى ناديهم.

وبعد مقابلة الملك لعدد من مندوبى الضباط عدل الضباط عن الاضراب ولكن الحكومة شتت قادتهم ونقلتهم إلى الأقاليم وأحالت بعضهم إلى الاستيداع.

لم يؤثر ذلك على استمرار حركة ضباط البوليس اذ اجتمعوا مرة أخرى بناديهم فى مارس ١٩٤٨ وقرروا أن يكون ١٥ أبريل موعدا لنهاية مدة الانتظار لأجابة مطالبهم مع المطالبة بإعادة المنقولين والمحالين إلى الاستيداع.

وفى اليوم المحدد للاضراب احتشد ضباط البوليس فى ناديهم يحاصرهم ضباط الجيش الذين كان مجلس الوزراء قد قرر أن يحتلوا اقسام البوليس ويقوموا بحفظ النظام.

وكان هذه الاضراب فى صورته التى تم بها تعبيرا عن التفسخ الذى وصلت اليه حالة وعجز الحكومة فى مجابهة الأمور.

وكانت الطلقات التى خرجت من بنادق الجيش ضد جنود البوليس أو مظاهرات الشعب دليلا على أن الخطر قد وصل فعلا إلى حد تهديد النظام نفسه اجتماعيا وسياسيا.

ولم يكن الجيش نفسه بعيدا عن التأثر بهذه الحركات السياسية مشروع صدقى بيفن - فشل القضية فى مجلس الأمن - عجز الحكومة عن مجابهة الموقف - تصاعد الاضرابات والمظاهرات.

وكان أمرا خطيرا أن يصل انفعال الجيش بحركات الجماهير إلى الذروة لأنه يعنى فى مضمونه احتمال انفجار ثورة شعبية لا تخمدها قوة مسلحة خاضعة للسلطة الحاكمة.

كانت هذه الفترة من أمجد فترات نضال الشعب المصرى فى حركة سياسية واجتماعية مشتركة... وفى تناسق ناشئ بين الشعب والجيش.

ومن الغريب أن حاشية الملك لم تكن تدرك الانفعالات الحقيقية لضباط الجيش أصحاب الرتب الصغيرة... فقد تقرر الاحتفال بعيد المدافعية فى هذا الجو المشحون بالاضرابات والمظاهرات بصورة قد تبدو براقة فى نظر المسئولين... ولكنها كانت مستفزة لمشاعر الضباط.

وأعلن أن الملك فاروق سوف (يشرف) احتفال المدفعية بعيدها... وفوجئنا بأن الأشغال العسكرية تقيم مسرحا بجوار ميس المدفعية بالماظة والمجاور لمدرسة المدفعية حيث كنت مدرسا بجناح الأنوار الكاشفة.

أقيم المسرح... وأعدت حلبة للرقص... وكانت المفاجأة هى البرنامج الذى أعد للحفل، فقد ارتفعت الستار بعد السلام الملكى عن فصل من إحدى مسرحيات نجيب الريحانى، ثم رقصت تحية كاريوكا وكانت هناك اشاعات تلاحقها بأنها على علاقة شخصية مع الملك... وبعد ذلك انتقل الملك إلى جوار الحلبة وجلس يرقب الرقص الذى لم يشترك فيه إلا تحية كاريوكا مع أحد شباب الضباط وعدد محدود من الضباط كانت قد وجهت الدعوة لهم ولزوجاتهم،

وكان هذا الجو غريبا على معظم الحاضرين من الضباط... الذين طال بهم الانتظار إلى درجة الملل... فقد كان المشرفون على الحفل قد أعدوا مفاجأة للملك... فرقة للرقص كانت لم تقدم عروضها بعد فى مصر... وكانت تصل إلى القاهرة فى نفس الليلة لتقدم عروضها بعد ذلك فى ملهى الاوبرج بشارع الهرم... ولكن الطائرة تأخرت وارتفع الستار عنها فى منتصف الليل.

وتلبد الجو خلال الحفلة عندما طلب أحد أمناء القصر الملكى من البكباشى أو المقدم عبد المنعم رياض (الفريق الشهيد فيما بعد) أن يلبس الطربوش لأنه فى حضرة الملك... ولكن عبد المنعم رياض لم يقبل أن يوجه له أحد المدنيين ملاحظة من هذا القبيل فاحتج عليه وارتفعت الأصوات وهرع كبار الضباط تحاشيا لحدوث كارثة يمكن أن تفسد جو الحفل... وتم الاتفاق على أن يذهب البكباشى عبد المنعم رياض مع قائد المدفعية فى اليوم التالى إلى سراى عابدين لتسوية الأمر.

كان انعكاس هذه الحفلة عند الضباط سلبيا تماما.... فقد شاهدوا جانبا من الحياة الشخصية للملك كان يؤكد الشائعات التى تلاحقه... وكانت مواجهة عبد المنعم رياض لأمين القصر محل تقدير واثارة واحاديث متبادلة بيننا نحن صغار الضباط.

وهكذا يمكن القول أن السراى كانت فى واد... وان صغار الضباط كانوا فى واد آخر.



••• الفصل الرابع •••

- بعد وحدة التنظيمات الشيوعية أصبحت عضوا فى اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .حدتو ممثلا لقسم الجيش.
- حدتو تقف مع تقسيم فلسطين
- أول كتاب لى كان (حرب العصابات) اهديته الى (المضطهدين فى أوطانهم)..والكتاب الثانى (خواطر عن الحرب) أهديته الى (زملائى تحت ثرى فلسطين).
- محمد زكى عبدالقادر يفتح لى باب الصحافة بالكتابة فى مجلة (الفصول) و(الأهرام).
- مواجهة وحوار مع سلامة موسى فى جمعية الشبان المسيحيين
- تنظيم الجيش فى حدتو يصل الى ضابط فى السرب الملكى
- يوسف صديق د. خالد محى الدين وعبدالمجيد نعمان وأمال المرصفى وأحمد قدرى كانوا اعضاء فى قسم الجيش حدتو.

فوجئت بعد أكثر من عام واظبت فيه على قراءة الكتب الخضراء، ومناقشتها، دون القيام بعمل سياسي حقيقي سوى التبشير بما أحمل من أفكار جديدة ... فوجئت بأن تنظيم القلعة لم يكن يضم عددا كبيرا من الأفراد كما تخيلت، وانما كان يضم عشرات كان عليهم ان يقرروا موقفهم من الوحدة بين التنظيمات اليسارية التى بدأت تلح على الجميع.

كانت هناك عدة تنظيمات يسارية نبتت في ظروف مختلفة... الحركة المصرية للتحرر الوطنى، اسكرا - اى الشرارة - تحرير الشعب، دار الثقافة، الفجر الجديد، والعصبة الماركسية.

كان تنظيم القلعة هو التنظيم الوحيد الذى يضم مصريين فقط ... بقية التنظيمات كان يشترك فى قيادتها خلال هذه السنوات عدد من اليهود... وعقدنا اجتماعا ضم حوالى عشرة أشخاص من تنظيم القلعة فى بيت مصطفى هيكل بدرب اللبانة... وكان اختيارنا الأول فى الوحدة هو الاندماج مع منظمة اسكرا... ربما لان الاهتمام بالتثقيف فى التنظيمين كان أكثر من الاهتمام بالعمل الجماهيرى كما كان الحال فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى.

هذه الكتب الخضراء التى كان يتعين على قراءة كتاب منها كل اسبوع قد احدثت زلزالا فى أفكارى المستقرة فى عقلى منذ كنت صبيا... كانت تضىء لى طريقا جديدا نحو التعامل مع الواقع الذى نعيشه والمستقبل الذى نطمح اليه... ولكنها فى النهاية كانت عندى مثل دروس اتلقاها فى مدرسة دون أن تربطنى بحركة الحياة.

ولكن الوحدة فرضت ظروفا جديدة... خرجت من الروتين الذى عشت فيه مشهورا والذى لا يتعدى اللقاء فى اجتماعات ثنائية مغلقة الى مقابلات حضرت

واحدا منها فى الهرم، وضم مجموعة كبيرة من الشباب، لم أكن أعرف احدا منهم سوى الفنانة انجى افلاطون التى كنت قد تعرفت عليها فى المعهد البريطانى الذى كان يقع وقتها فى شارع فؤاد (٢٦ يوليو) ... والتى كانت تحاول تجنيدى لتنظيم اسكرا، وكنت أحاول تجنيدها لتنظيم (القلعة).

لم أحضر اجتماعا آخر من هذا القبيل، كنت اعترض على مثل هذه الاجتماعات العلنية التى تتعارض مع السرية... خاصة بعد أن فوجئت بشاب يقول لى (يا كابتن!).

الوحدة التى تمت مع (اسكرا) كانت تشكل نقلة فى طبيعة العمل... ولكنها لم تكن مقنعة لى... اذ أنها كانت محصورة فى اتصالات محدودة ... الى أن تمت الوحدة الشاملة بين التنظيمات فيما عرف باسم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدتو) وبدأت تجمعنا خلايا تضم عددا من صف الضباط الميكانيكيين العاملين فى سلاح الطيران والذين كانوا منتمين للحركة المصرية للتحرر الوطنى التى أسسها هنرى كورييل.

أصبح لنا مجال عمل مشترك... ولغة حوار حول مشاكل داخلية فى الجيش الى جانب القضية الوطنية... وكان الالتزام بالسرية مقترنا بالنشاط والتجنيد داخل الوحدات متأثرين فى ذلك بالمد الثورى الذى اجتاح مصر.

كانت منظمة (اسكرا) قد بدأت تصدر مجلة الجماهير التى كان مسئولا عنها محمود النبوى ابن أحد الوزراء محمود بك عبداللطيف وزير التموين ويرأس تحريرها شهدى عطية الشافعى... والتى ازداد توزيعها مع قرار عرض قضية مصر على مجلس الامن عام ١٩٤٧.

وفوجئت يوما بأحد الزملاء فى قسم الجيش يقدم لى (هنرى كورييل) الذى كانت (اخبار اليوم) قد نشرت صورته بالبنطلون الشورت والصندل فى طريقه للتحقيق... ويقول (الزميل يونس).

كان (يونس) هو اسمه الحركى... وكنت قد حملت اسم (مجاهد) كما ان مصطفى هيكل كان يعرف باسم (باشا)... وكان كل زميل فى التنظيم يحمل اسما حركيا يتخاطب به مع زملائه ويستخدمه فى أحاديثه التليفونية... وهكذا كان هنرى كورييل أول يهودى التقى به فى عمل وطنى...

اللقاء مع هنرى كورييل فتح لى آفاقا جديدة فى رؤية المجتمع والتعامل معه، واسلوب العمل الهادى البسيط داخل الجيش.

كان شخصية فريدة جذابة لا يعلو له صوت، ولا تكاد الابتسامة تغيب عن وجهه... جذبنى اليه قدرته الخارقة على الوصول الى قلب المشاكل وتبسيطها.

وخلال الفترة الاولى للوحدة وظهور (حدتو) اخترت عضوا فى اللجنة المركزية بها ممثلا للقسم الجيش الذى كان عدد أفراده قد بدأ يزيد بشكل ملحوظ، ويضم ضباطا وصف ضباط فى الجيش والطيران وكان قسم الجيش فى (حدتو) قد بدأ يؤدى دورا نشطا مؤثرا... ويمكن القول أنه كان التنظيم الوحيد الى جانب الاخوان المسلمين الذى كان يعمل بالجيش الى جانب مجموعات محدودة... وان كان الاخوان المسلمين يتفوقون فى العدد وفى القدرة الاوفر على التعبير العلنى.

كانت اللجنة المركزية تضم اثنين من اليهود فقط هنرى كورييل مؤسس (الحركة المصرية للتحرر الوطنى - حدتو) وهيليل شفارتز مؤسس (اسكرا)... وفى الاجتماع الاول تحدث هنرى كورييل عن ضرورة تمصير الحركة بعد أن اتسعت مجالات عملها من الأزهر الى الجيش الى المصانع والريف والجامعات، وتوفر الكادر المثقف القادر على قيادة العمل.

كان هنرى كورييل يدافع بحماس عن رأيه، مؤكدا أن حمل الأفكار الاشتراكية خلال بعض الأجانب كان يعبر عن ظروف مرحلة انتهت.

كانت الوحدة انتقالا من الحلقات الدراسية الى العمل الجماهيرى ... انتقالا من السرية المطلقة الى عمل شبه علنى... انتقالا من العلاقات الشخصية القديمة الى علاقات أخرى جديدة.

تعرفت لاول مرة مع عبدالخالق محجوب سكرتير عام الحزب الشيوعى السودانى فيما بعد عندما جمعنا تنظيم اللجنة القيادية لمنطقة القاهرة فى حدتو.

واذكر أن الشهيد شهدى عطيه الشافعى كان قد رفع تقريرا الى اللجنة المركزية يقدم استقالته وكان أمينا مع نفسه وضميره عندما قال أنه لم يستطع أن يساير التطور الجديد.

واستجاب الى هذه الاستقالة بعض الرفاق الذى التفوا حوله وشكلوا ما سمى بالتكتل الثورى الذى يعتبر أول انقسام فى الحركة اليسارية بعد الوحدة... والذى كان تداعيا لانقسامات اخرى متتالية اعتبرت مأساة من مأسى الحركة التقدمية فى مصر.

وكثيرا ما كنت اتصل بهنرى كورييل الذى كان يجذبنى حديثه البسيط الذى لا تشعر به بحصار النظرية أو بالقفز فوق الواقع، أو دخول أمر ما فى دائرة المستحيل... ويهرنى انه كان على صلة وثيقة ببعض أبناء الأزهر الشريف وعمال شبرا الخيمة وميكانيكية سلاح الطيران... ولكن الظروف قضت بألا تمتد علاقتى مع هنرى كورييل أكثر من عامين... عندما دخل المعتقل مع قيام حرب فلسطين، واعلان الاحكام العرفية التى وضعت معظم الزملاء خلف القضبانن...

لجأ بعضهم الى الهرب واذكر أن الزميل محمد الجندى قد أمضى أياما فى منزلى بشبرا لا يخرج حتى أستقر له مكان أمين.

كانت الأحكام العرفية قد وجهت ضربة شديدة للمد الثورى المتصاعد...

كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) قد ناقشت القضية الفلسطينية، واتخذت قرارا بتأييد قرار الأمم المتحدة ١٨١ القاضى بتقسيم فلسطين... وذلك تقديرا منها للظروف التى كانت قائمة فى ذلك الوقت، حيث بادرت الدول العظمى جميعا بما فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وهما الدولتان لم تكن لهما قرات احتلال فى المنطقة... بادرت الى تأييد التقسيم... وجميع الأنظمة العربية القائمة فى ذلك الوقت كانت على تناقض شديد مع مصالح الجماهير، وظهر ذلك واضحا فى المد الثورى الذى ساد مصر بعد الحرب العالمية الثانية ووصل ذروته خلال الشهور الأولى من عام ١٩٤٨.

وفى قسم الجيش بحدتو لم نقتنع مطلقا بأن حربا وطنية يمكن أن تقوم فوق أرض فلسطين ومن خلف ظهورنا الجنود البريطانيون يحتلون قناة السويس... ووصلنا الى موقف عبرت عنه (حدتو) بقولها:

«أننا لا نريد ان ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليعود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود، ولا نوافق على التقسيم الا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية واليهودية».

وقد عارضت حدتو الدعوة المحمومة لدخول حرب دينية موضحة أنه لن يفيد منها سوى المستعمر منادية كما جاء فى مجلتها الجماهير «لنوجه السلاح الى الاستعمار فى فايد وقنال السويس والسودان فلن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو».

وجاء فى بيان للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» أن الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من الألفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية، وأنه إذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فإن طريق توحيد الدولتين هو طرد الاستعمار، وعلق البيان على موقف الحكومات العربية قائلا أنها تهدف الى وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وأنه يرمي الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح فى سبيل مستوى معيشتها الى أمر خارجى ينسيها هذا الكفاح».

ولكن هذا الموقف لم يجد استجابة لدى الجماهير أمام تيار الدعاية الذى شنته تنظيمات الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وساندتهم فيه الجامعه العربية، وموقف الوفد المتحفظ عن القضية وخاصة بعد اقرار الأمم المتحدة لمشروع التقسيم.

قامت حرب فلسطين وأنا ضابط مدرس فى جناح الأنوار الكاشفة بمدرسة المدفعية بالماظة... وكنت داعية من دعاة تجنب الحرب وقبول التقسيم... ولكننى فى نفس الوقت كنت متعاطفا الى أبعد الحدود مع أبناء شعب فلسطين الذين يتعرضون لهجوم العصابات اليهودية... أقرأ فى أسى شديد ما قاساه البسطاء فى دير سنيد وغيرها.

وكثيرا ما ناقشت بعض الزملاء الذين تطوعوا للقتال فى فلسطين، محاولا تصوير الأمر بالصورة التى كنت مقتنعا بها... ولكن بعضهم أصر على موقفه... وفقدت استاذا غزيزا درس لى فيى الكلية الحربية هو القائمقام أحمد عبدالعزيز، وصديقا مرحا كان له عدة أولاد هو اليوزباشى محمد سالم عبدالسلام... وعاد لنا سالما من هذه الحرب كلا من صلاح سالم وكمال الدين حسين زملائى فى المدفعية.

لم تكن دعوتى لقبول التقسيم مع حدتو من خوف أو انهزامية... وانما كانت نابعة من ادراك عميق بتوازنات القرى فى هذه المرحلة ... وبأنه لا يمكن لنا أن نخوض حربا وطنيا ووراء ظهورنا جنود الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة.

وبادرت بدخول المعركة... ولكن بطريقتى الخاصة.. ترجمت كتابا بأسم (حرب العصابات) أهديته (الى المضطهدين فى أوطانهم) وطبعته على نفقتى ووزعته على المكاتب بنفسى... وكانت دهشة صاحب مطبعة (دار الفكر الحديث) بشارع خيرت التى طبعت الكتاب كبيرة فقد نفذت الألف نسخة التى طبعتها منه.... وظهرت له بعد ذلك طبعه ثانية رسم غلافها الصديق الفنان (زهدى).

صدر (حرب العصابات) مع بداية حرب فلسطين... ولحقه كتاب آخر اسمه (خواطر عن الحرب) كتبته أثناء عملى نوبتجيا ليلة بعد أخرى كضابط عظيم فى رئاسة المدفعية... وكنت أحمل رتبة اليوزباشى أى النقيب... وأهديت الكتاب (الى زملائى تحت ثرى فلسطين).

كانت الأيام التى قضيتها ضابط عظيم مدفعية من اتعس أيام حياتى... فقد كنت أتلقى تمام كل ليلة من جبهة القتال، وأسمع أخبار الأصدقاء والزملاء الذين قتلوا فى هذه الحرب.

ولم تكن كتابة هذه الكتب هى تجربتى الأولى فى ميدان الكتاب... فقد بدأت أمارس الكتابة الصحفية، تحت ضغط ظروف اقتصادية.

كان مرتبى ١٨ جنيها وعندى بنتان نادية وسامية... وضاقت بى شقة الأسرة فى شارع شبرا، وكان قد صدر حكم باخلائى لشقة من شقق شركة مصر الجديدة كنت قد استأجرتها من الباطن من الفنان حلمى حليم وتزوجت فيها وأمضيت بها ما يقرب من العام... ولم أجد إلا شقة فى شبرا بإيجار قدرة ١٠ جنيهات... وكان مفروضا أن نعيش بالجنيهات الثمانية فقط مضافا اليها ما يصلنى من ايراد متقطع من أرض الخوالد.

بدا اتجاهى للكتابة نتيجة الاتصال بزملاء المدرسة التوفيقية الذين تخرجوا فى الجامعة وخاصة صلاح التهامى كبير مخرجى الأفلام التسجيلية فيما بعد، والذى كان يترجم قصصا لبعض المجلات.

ولم تكن لغتى الانجليزية تسمح لى وقتها بالترجمة الجيدة... والتحقت بالمعهد البريطانى وبدأت أمارس الدراسة والترجمة معا منذ عام ١٩٤٥.

كانت تجربتى الأولى فى النشر مع الأستاذ محمد زكى عبدالقادر الذى كان يصدر مجلة (الفصول) من شقة فى الدور الأرضى بإحدى عمارات شارع شريف.

دخلت عليه فى مكتبة بملابسى المدنية، وسألت عما إذا كان ممكنا لى نشر مواضيع مترجمة، وعندما أبدى قبوله، أخرجت له موضوعا قدمته له، وكان قد استهوانى فى إحدى المجلات البريطانية... وكان فى مضمونه عبارة عن مثقف بريطانى يقدم الجمهور من اللوردات البريطانيين قصة رجل هندى ينام على أرض المسرح، وهو جلد على عظم كما يقول الممثل.

كان المثقف البريطانى يقدم أسلوب الاستعمار ومأساة شعب الهند .

وأخذ الاستاذ زكى عبدالقادر المقال، وطلب منى المرور عليه بعد أيام... وعندما ذهبت اليه وجدته ينظر الى مليا ثم سألنى (ماذا تعمل؟) ولما قلت له أننى ضابط فى الجيش، ظهرت الدهشة عليه، وقال لى (ما الذى جعلك تترجم هذا الموضوع؟)... وأوضحت له اننى وجدت فى حديث المثقف البريطانى ما ينطبق على شعبنا.

نشر الاستاذ زكى عبدالقادر المقال فى مجلة الفصول الشهرية... وأعطانى جنيهان ثمنا للترجمة وكنت سعيدا بهذا الإيراد الجديد الذى دفعنى الى مزيد من الاهتمام بالترجمة والكتابة الصحفية... وقد نشرت قصصا مترجمة فى مجلة (القصة) الشهرية أيضا، حصلت منها على خمسين قرشا فقط!.

وعندما قام الاستاذ زكى عبدالقادر برئاسة تحرير الاهرام، اتاح لى فيه فرصة نشر مقالات سياسية، وكانت صلتى به قد توطدت، وثقته فى قد رسخت... وكان قد تعرض لحملة الاعتقالات التى شنها اسماعيل صدقى باشا واعتقله فيها مع الاستاذ سلامه موسى والدكتور محمد مندور وأعضاء لجنة نشر الثقافة الحديثة...عبدالرحمن الشرقاوى وسعيد خيال وسعد لبيب وغيرهم.

وشاءت الظروف أن التقى بهم فيما بعد وأن يصبح البعض منهم أصدقاء اعزاء.

كنت معجبا بما يكتبه الاستاذ سلامة موسى فى الصحف... ولم تفتنى قراءة كتاب من الكتب التى أصدرها والتى أثرت تأثيرا عميقا فى ثقافة جيلنا لما حوته من أفكار عميقة وثقافة عصرية وبساطة ساحرة.

أرسلت له خطابيا استفسر فيه عن بعض ما ورد فى مقال له، فتلقيت منه جوابا يدعونى الى لقاء فى جمعية الشبان المسيحيين.. ولما ذهبت اليه فى الموعد وجدته يجلس فى الحديقة محاطا بعدد من الشباب.

وبعد أن جلست قال لى متسائلا عن الاسباب التى تجعل أسرة مرضى الامراض النفسية فى أمريكا أكثر من أسرة مرضى الأمراض الجسمانية.. ولما قلت له ربما يعود ذلك الى التكالب الشديد على الأموال وسط المزاحمة الشرسة فى المجتمع الرأسمالى... وهنا اقترب منى قائلا (احترس... فنحن لا نعرف طبيعة الجالسين)... ولزمت الصمت .. ولم اتوقف مطلقا عن قراءة كل كلمة كتبها هذا الكاتب المستنير العظيم.

واقتربت من الدكتور محمد مندور الذى كان يشكل مع الدكتور عزيز فهمى ثنائيا متقدما ومضيئا فى صحافة الوفد... اقتربت منه كثيرا بعد اعجاب واحترام لما كان يكتب، بعد الثورة.. وقد تزاملنا فى جريدة الجمهورية وفى المسرح القومى.

هؤلاء المثقفون الكبار وضعهم اسماعيل صدقى خلف قضبان السجون بتهمة الشيوعية.

وهكذا دخلت الكتابة حياتى، ورغم انى تخرجت من القسم العلمى بمدرسة التوفيقية الثانوية ولم آتوقف عنها حتى اليوم..

كانت فترة حرب فلسطين قاسية علينا فى تنظيم قسم الجيش بحدتو.. اذ فاجأتنا الاعتقالات التى قطعت صلتنا التنظيمية بالجهاز الفنى الذى كان يطبع لنا المنشورات التى نكتبها ونوقعها بإسم (رجال الجيش)... وكانت هى المنشورات الوحيدة التى توزع الى جانب منشورات الضباط المنتمين للإخوان المسلمين.

اجبرتنا الظروف على كتابة المنشورات بخط اليد والكربون... وكان البكباشى يوسف صديق عضو قسم الجيش يفتح لنا بيته فى ثكنات العباسية، لاعداد هذه المنشورات.

اذكر أننى حملت المنشورات فى حقيبة يد لتوزيعها على صناديق البريد قرب انتصاف الليل... وكنا نتعمد الا نضعها جميعا فى صندوق واحد حتى لا تصادرها الرقابة... وكنت أهم بوضع عدد منها فى صندوق بريد بشارع الخليج المصرى قريبا

من الحلمية الجديدة... عندما ظهرت داورية من البوليس متجهة نحوى... ولكنى تماسكت وبادرتهم بالتحية فقد كنت بملابسى الرسمية... ولكن ضابط البوليس مع ذلك سألنى قائلا - خير)... فقلت له ببساطة (اننى مسافر غدا الى فلسطين وأريد ابلاغ أهلى فى الريف)... قال ضابط البوليس (ترجع بالسلامة).

ومن باب الأمان لم أواصل توزيع المنشورات على صناديق البريد... وسلمتها الى أحد الزملاء من ضابط صف الطيران فى منزله بالسيدة زينب.

بقينا نعمل فى ظروف بدائية غير منظمة، منقطعين تقريبا عن قيادة (حدتو)... ولكننا لم نتوقف أبدا عن مواصلة العمل فى قسم الجيش... والذى حافظنا فيه على الامان الى درجة هائلة...

وشكلنا لجنة قيادية ثلاثية... من أحمد فؤاد الذى كان وقتها وكيلا للنائب العام وأصبح فيما بعد رئيسا لمجلس ادارة بنك مصر مسئولا للدعاية، وصول الطيران شوقى فهمى حسين مسئولا تنظيميا، وكنت فيها المسئول السياسى... وتحملت هذه اللجنة مسئولية قسم الجيش طوال هذه السنوات التى فرضت فيها الاحكام العرفية التى أجهضت المد الثورى المتصاعد خلال الاعوام السابقة ليوم ١٥ مايو ١٩٤٨، ولم يتعرض أحد من الزملاء الذين قد تجاوزوا الخمسين عددا الى تحقيق أو اعتقال.

وخمسون كادرا فى الجيش خلال هذه الفترة لم يكن عددا قليلا ... فقد كان الجيش محدود العدد وكنا نعرف اسماء حملة رتبة اللواء فى جميع الاسلحة الذين كانوا ١١ لواء بالتحديد... وكنا نعرف موعد احالتهم الى المعاش، واسم الذى عليه الدور فى الترقية.

وما أن انتهت حرب فلسطين حتى بلغنا أن تنظيما جديدا قد بدأ يتشكل فى الجيش الضباط المنتمين للإخوان المسلمين.

وأعود الى تنظيم الجيش فى حدتو الذى لم تعرف أسراره كاملة حتى كتابة هذه السطور، فقد اعتمد على سرية مطلقة.... أود اليوم بعد هذه السنوات التى تجاوزت الأربعين أن أشير الى بعض الشخصيات التى كانت لى صلة تنظيمية بها.

على سبيل المثال لا الحصر أذكر عبدالمجيد نعمان الذى كان وقتها فى سلاح الطيران يعمل مسئولا عن الاتصالات في السرب الملكي... وكان يحمل معه رسائل

الى الزمـلاء الذين فـرضت عليهم الظروف ان يغادروا مصـر.. ومـا أظن أنه كـانت هناك وسيلة أكثر أمنا من استخدام السرب الملكى!!.

واذكر يوسف صـديق الذى كان أقدم منى رتبة وكنت مفتونا ببساطته ووطنيته وجـرأته... وكانت له روح فنان يكتب الشعـر... ولا تقيده قواعـد الأمان التى كنا نطبقها بدقة الأمر الذى عرضه بعد حديث مع ضابط من ضباط الحرس الحديدى الى النقل مباشرة الى السودان... وكثيرا ما التقينا فى منزله بثكنات العباسية نكتب المنشورات التى كنا نوقعها بإسم (رجال الجيش) بخط اليد وكانت تشترك معنا فى ذلك زوجته لأنه حسب قوله كان مؤمنا بأهمية أن تكون زوجته على اقتناع بما يؤديه زوجها.

وأذكر خالد محيى الدين الذى عرفته عندما كان فى التدريب الجامعى وتوثقت بيننا صلة فريدة لشخصيته الهادئة، ووطنيته وسعه أفقه... وأذكر أننى عرضت عليه ميثاق ستوكهولم للسلام فلم يتردد فى التوقيع عليه هو وزوجته... وكان وجوده معنا فى قسم الجيش سببا رئيسيا فى هذا اللقاء الذى انتمينا معه الى حركة الضباط الاحرار التى كان عضوا فى لجنتها التأسيسية مع جمال عبدالناصر وزملائه...

وأذكر آمال المرصفى الضابط بسلاح الفرسان الذى يتميز بالقدوة وحسن السلوك مع اهتمام شديد بالثقافة، والذى رشحته سكرتيرا لدار الاوبرا بعد أن كان يعمل فى الجمعية التعاونية للبترول بعد أن فصل من الجيش بعد أزمة السوارى عام ١٩٥٤ وقبل أن يشتغل عاملا فى محطة بنزين كوبرى الجلاء الى أن شضاهده صدفه المقدم توفيق عبدالفتاح مدير مكتب المشير عبدالحكيم عامر.

وأذكر على لطيف ضابط المدفعية المثقف الذى خطفه القدر وهو فى عمر الشباب.

كثير هم الضباط وصف الضباط الذين كانوا أعضاء فى قسم الجيش بحدتو... وعزيزة هى الذكريات التى تربطنى بهم... و

وإذا كان البعض قد شاء الحظ أن تسلط الأضواء عليه فيما بعد كشخصية عامة مثل طلعت خيرى الذى أصبح وزير للشباب، وأحمد قدرى مدير هيئة الاثار السابق، والمهندس جمال علام.. واتطلع الى يوم يسجل فيه تاريخهم الذى ظل سرا حتى الآن... فإن الكثيرون منهم مازالت لهم فى القلب أعز الذكريات.



• • • الفصل الخامس • • •

- الاحتلال البريطانى لا يسمح للجيش المصرى باستخدام سلاحه منذ اتفاقية ١٨٩٩ الا عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين !
- خالد محى الدين يبلغ قسم الجيش بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) عن بداية تشكيل الضباط الأحرار.
- أول لقاء شخصى مع جمال عبدالناصر.
- احمد فؤاد كان مندوب قسم الجيش بحدتو للاتصال والعمل مع عبدالناصر فى وقت كان يشغل فيه منصب القضاء !
- جمال عبدالناصر يدافع عن حكومة الوفد أمام لجنة الاسكندرية للضباط الأحرار.
- النيابة والبوليس السياسى والبوليس الحربى يهاجمون شقتى فى الاسكندرية بعد منتصف الليل... ووكيل النيابة مصطفى سليم الذي أصبح محافظا ورئيسا لمحكمة النقض فيما بعد يقول لى بالأنجليزية (Keep Sheering).
- محمد شطا أحد القيادات العمال العمالية كتب خطابا لى بيده اليسرى فنجا ونجوت !
- ذهبت مع جمال عبدالناصر فى عربته الأوستن السوداء الصغيرة لاحضار ذخيرة للفدائيين من سلاح خدمة الجيش فى كوبرى القبة.
- القاهرة تحترق وأنا على موعد مع أحمد فؤاد على قهوة رويال فى شارع توفيق وقد وجدناها أنقاضا.

كانت حرب فلسطين ذات أثر كبير على ضباط الجيش الذين صدموا بعدم القدرة على هزيمة العصابات الصهيونية... وبقيام دولة اسرائيل.

اكتشف الضباط أن المأساة لم تكن في ميدان القتال... ولكنها كانت في القاهرة حيث فساد النظام، الذي دفعهم الى القتال بصورة مرتجلة وعلى غير استعداد.

وكانت هذه هي المعركة الأولى التي يخوضها الجيش المصري بعد اتفاقية ١٨٩٩ للحكم الثنائي المصري البريطاني للسودان... وخلال هذه الفترة التي امتدت خمسين عاما لم يختبر الجيش في أي قتال ولم يسمح له طوال الاحتلال البريطاني بأن يستخدم سلاحه سوى في الحرب العالمية الثانية التي كان يدافع فيها عن الحلفاء تحت قيادتهم المباشرة خلال البعثة العسكرية البريطانية.

أثمرت حرب فلسطين شعورا وطنيا وقوميا جارفا تبلور في تنظيم جديد عرفنا بتشكيله من خالد محيي الدين الذي كان ضابطا في سلاح الفرسان ومنتدبا في التدريب الجامعي بجامعة فؤاد الاول (القاهرة الان) ومنتميا في نفس الوقت الى قسم الجيش في حدتو...

تداولنا الامر في قسم الجيش بحدتو، ووجدنا أنه من الضروري أن نلتقي ونتعاون في هذا التنظيم الوطني الجديد... وكلفنا القاضي أحمد فؤاد بأن يتصل عن طريق خالد محيي الدين بالبكباشي أركان حرب جمال عبدالناصر الذي علمنا أنه كان رئيسا منتخبا للجمعية التأسيسية للضباط الأحرار... وانعقدت بينهما صلة وثيقة، فقد كان جمال عبدالناصر حريصا على استيعاب كافة قوى الجيش الوطنية في التنظيم الجديد الذي أطلق عليه اسم (الضباط الأحرار)... وكان أحمد فؤاد مثقفا يتميز بحضور البديهة والروح الاجتماعية.

كان أحمد فؤاد وقتها يسكن فى شقة بمنشية البكرى قريبا من جمال عبدالناصر الذى كان يسكن فى شقة بكوبرى القبة قريبة من المستشفى العسكرى العام، ومن قيادة الجيش، ومن المسجد الذى يستقر فيه جثمانه اليوم.

توطدت الصلة بين الرجلين... واكتسب أحمد فؤاد ثقة جمال عبدالناصر ... واكتسب جمال عبدالناصر احترام أحمد فؤاد ومعه قسم الجيش فى حدتو.

وبدأ التعاون بينهما يأخذ مظهرا عمليا... كنا نطبع منشورات الضباط الأحرار، التى كثيرا ما كنا نكتبها ونقدمها لجمال عبدالناصر للموافقة عليها.

كنت أعلم تفاصيل الصلة القائمة بين الرجلين... ولكنى لم التق مع جمال عبدالناصر الا بعدما حضرته مدرسا فى مدرسة الشئون الادارية... وأنا جالس وسط الضباط فى مقاعد الطلبة.

كانت شخصية جمال عبدالناصر تتجسد فى قدرته على التعبير عن نفسه ببساطة شديدة تنفذ الى عقول المستمعين.

ورأينا أن الوقت قد نضج للتعرف عليه فى إطار تنظيم الضباط الاحرار... ودعانا أحمد فؤاد الى منزله... حيث التقيت معه لقاء خاصا لاول مرة.

وبعد حوار حول ظروف مصر التقت فيه أفكارنا تماما... أخرج لى من جيبه منشورا كان مفروضا أن يوزعه الضباط الاحرار... ومن المصادفات اننى كنت كاتب هذا المنشور وأنى أعطيته فى اليوم السابق لاحمد فؤاد.

شعرت منذ ذلك اليوم أن قسم الجيش فى حدتو لم يعد قاصرا على الضباط وضباط الصف الذين ينتمون اليه، وانه اتسع ليشمل جبهة وطنية من الضباط، يقودها ضابط توفرت له مواصفات الزعامة الشخصية. والرؤية الفكرية الناضجة، والروح الوطنية الصالبة.

كان جمال عبدالناصر خلال هذه المرحلة التى كان يتصاعد فيها الكفاح المسلح فى منطقة القناة عامى ١٩٥٠، ١٩٥١ مقدرا لدور حكومة الوفد التى كانت تؤيد الكفاح المسلح تأييدا غير مباشر.

أذكر أنه التقى فى منزلى بشارع طيبة فى سبورتنج بالأسكندرية بلجنة الاسكندرية القيادية للضباط الاحرار، وكانت تضم الشهيد الصاغ صلاح مصطفى ضابط المدفعية المضادة للطائرات وأول دفعته فى الكلية الحربية، والذى استشهد فى عمان بالأردن وهو ملحق عسكرى بعد الثورة نتيجة ارسال المخابرات الاسرائيلية (الموساد) لطرد من المتفجرات انفجر فيه... والصاغ عبدالحليم الاعسر شقيق الشهيد عباس الاعسر الذى استشهد فى معارك القناة، وقمنا بتشجيع جنازته عام ١٩٥١ من أمام كلية التجارة التى كانت تجاور رئاسة الالاى الثانى أنوار كاشفة الذى كنت أعمل فيه بحى سوتر بالاسكندرية، وكانت الجنازة شعبية يحمل فيها بعض الطلبة تمثالا لحمامة السلام حيث كان الشهيد عضوا فى انصار السلام، ويسير فيها عدد من الضباط الوطنيين بملابسهم الرسمية فى طابور منظم.

كانت الجنازة مظهرا رائعا وجديدا من مظاهر الوحدة الوطنية التى تجمع بين جماهير الشعب والقوات المسلحة فى اعلان واضح عن موقف واحد معاد للاحتلال والاستعمار.

أذكر فى هذا اللقاء الذى امتد الى ما بعد منتصف الليل ان جمال عبدالناصر كان يدافع عن حكومة الوفد ويصفها بأنها حكومة وطنية، فى وقت كان فيه الاتجاه العام عند الضباط هو ادانة الوفد نتيجة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢.

لم يكن جمال عبدالناصر مثل عدد كبير من الضباط تؤثر فى عقولهم أفكار مسبقة لا يحاولون إعادة صياغتها برؤية متفتحة... وانه كان يتحرك دائما بمؤشر ذهنى يوجهه نحو الوحدة والجبهة الوطنية.

كنت قد نقلت الى الاسكندرية بعد أن انتهت مدة خدمتى فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات وعملت فى رئاسة الالاى الثانى أنوار كاشفة.

وبعد أن وصلت بأيام... فوجئت فى احدى ليالى ديسمبر ١٩٤٩ بطرقات على الباب وقامت زوجتى لتفتح ونحن بعد منتصف الليل بساعتين ... وعادت لى توقظنى.

وفوجئت بأن سبعة رجال يقفون فى صالة المنزل، تقدم أحدهم ليبلغنى ان معهم أمر بالتفتيش.. وشعرت ان صاعقة قد انقضت على شلت تفكيرى... فلم أكن قد اتخذت بعد اجراءات الامان... حيث كنت قد وصلت من القاهرة منقولا منذ أيام.

وبدأت عملية التفتيش التى قادها وكيل النيابة مصطفى سليم الذى أصبح محافظا بعد الثورة ونائبا لرئيس محكمة النقض ومعه ضباط ومخبرون من البولس السياسى والبوليس الحربى.

كانت هناك ألة كاتبة نكتب عليها منشورات الضباط الاحرار... فلم يقترب منها ولم يسألنى غنها.

كانت هناك بيانات للتوقيع من مجلس السلام العالمى لم يسألنى عنها أيضا.

كانت هناك خطابات أخذ واحدا منها وسألنى.

من هى نادية؟

- ابنتى.

ومن هى سامية ؟

- ابنتى .

ومن هو علاء ؟

- ابنى .

وفتح غرفة فوجد الثلاثة يغطون فى النوم دون أن يشعروا بما يدور حولهم.

حمل وكيل النيابة مصطفى سليم عددا من الكتب الانجليزية الماركسية... ولم يحمل كتابا عربيا واحدا.

وبعد انهاء التفتيش الذى اشتركت فيه النيابة والبوليس السياسى والبوليس الحربى والذى انقضى وأنا فى شبه ذهول لا استطيع التركيز ولا أعرف حقيقة السبب الذى دفع الى هذه المفاجأة طلب منى وكيل النيابة أن أذهب اليه فى مكتبة بالمنشية صباح اليوم التالى فى التاسعة صباحا... وخرج بعد أن قال لى بالانجليزية Keep Sheer-ing.

وعندما جلست أمامه فى مكتبة، وجدت شخصا يدخل المكتب وهو يصيح بصوت عال.

- أيوه.. عاوزين تعملوا لى قضية مع بتوع الجيش.

ونظر الى مصطفى سليم متسائلا

- هل تعرف هذا الشخص؟

قلت.

- لا.

ولكننى كنت أعرفه تماما... فهو محمد شطا أحد قيادات الحركة العمالية فى مصر، وكان زميلا لى فى اللجنة المركزية لحدتو.

وبدأ وكيل النيابة يملى كاتب الجلسة الاسئلة ويجيب هو عليها... الى أن انتهى ثم طلب منى التوقيع والانصراف.

وقال لى وهو يودعنى.

- خد بالك من نفسك.

عدت الى المنزل مندهشا من تصرفات وكيل النائب العام... ولكنى أدركت بعد ذلك أن ما كان يدور فى المجتمع خلال هذه المرحلة من نضال ضد الاستعمار والسراى كان يجد قبولا عند جميع المصريين حتى ولو كانوا فى مركز من يوجهون الاتهام.

وبيانات السلام العالمى كانت وحدها كفيلة بادانة ضابط فى القوات المسلحة.

وعملت بعد أن قامت الثورة، ان البوليس السياسى اعتقل محمد شطا الذى جالسا فى حديقة الشلالات يكتب لى خطابا هو الذى ضبط معه.

كان البوليس السياسى يراقب شطا، ولكنه كان حذرا فكتب الخطاب بيده اليسرى التى لم يتعود الكتابة بها.. ولذا فإن وكيل النيابة عندما استكتبه وجد الفارق واضحا بين خطه وخط الخطاب.

وراجعت موقفى بعد هذه المفاجأة.. وأدركت ان البوليس السياسى سوف يضاعف من رقابته على... وأن مخابرات الجيش سوف تضعنى فى قائمتها السوداء.

ولذا قررت أن أضاعف آجراءات السرية والامان... فقد كان هذا هو سلاحى الوحيد وواصلت العمل السرى فى قسم الجيش وفى الضباط الاحرار... بحذر شديد.

لم تكن اجراءات الأمن مثلها اليوم... ومخابرات الجيش كانت مشكلة من عدد محدود من الضباط... ولم يكن اهتمامها الرئيسى ولا قدراتها الذاتية بقادرة على استيعاب النشاط السرى للتنظيمات المختلفة للضباط.

كانت العلاقة قد توطدت مع جمال عبدالناصر... وعندما علم أن هناك بعض الفدائيين من حدتو يمارسون دورهم فى منطقة القناة... عرض علينا أن يمدنا بالسلاح والذهيرة لتقديمها اليهم.

كنت أحضر من الاسكندرية الى القاهرة خصيصا لحضور اجتماع قيادة قسم الجيش فى حدتو، والذهاب الى منطقة القناة لمقابلة الزملاء من الفدائيين.

لم أكن أفكر وقتها لحظة واحدة فى أنى قد تركت زوجة وثلاثة أولاد (نادية وسامية وعلاء) وانى قد أتعرض الى ما قد لا يعيدنى اليهم مرة أخرى.. لم أكن أفكر فى ذلك مطلقا... كنت مثل الشخص المسلوب الارادة الذى لا يرى فقط سوى الهدف الذى يتحرك من أجله.

كان كل ذلك يتم خلال عطلة الاسبوع... اغادر الاسكندرية ظهر الخميس، وأعود اليها ليل الجمعة.

فى احدى المرات التى حضرت فيها الى القاهرة التقيت مع جمال عبدالناصر وأحمد فؤاد فى كازينو أوبرا... وتم الاتفاق على تزويدى بصناديق من الذخيرة والقنابل اليدوية لانقلها الى الفدائيين فى قرية القرين.. وذهبنا فى عربته الاوستن السوداء حتى كوبرى القبة حيث انتظرت أنا وأحمد فؤاد فى الخارج ودخل هو الى مبنى سلاح خدمة الجيش... وعاد لنا ووجهه يشرق بابتسامة هادئة... وقال لنا بعد

أن ركبنا ان العربة محملة بذخيرة ومتفجرات تكفى للاطاحة بنا وبعدد كبير من الناس لو تفجرت... وعلمت فيما بعد أن الذى قدم له هذه الصناديق هو الصاغ مجدى حسنين الضابط بسلاح خدمة الجيش.

وذهبنا الى منزل الصاغ عثمان فوزى أحد ضباط سلاح الفرسان وعضو قسم الجيش فى حدتو حيث نقلنا الصناديق الى عربته الرينو الصغيرة ... وانصرف جمال عبدالناصر وأحمد فؤاد.

أمضيت الليلة عند الصديق عثمان فوزى.

تحركنا فى الفجر متجهين الى القرين... وتصادف اننا وقفنا فى الطريق الزراعى عند محطة بنزين لتملأ العربة... واذا بنا نشاهد حولنا نظرات زائغة... وتجمع من الناس... وكلمات هامسة.... واقترب منا فى جرأة أحد الأشخاص يسألنا عن وجهتنا.

كان الصاغ عثمان فوزى ينحدر من أصول تركية له شعر اشقر وعيون زرقاء... واشتبه فيه البعض انه ضابط بريطانى... وخرجت من العربة مندفعا وشكلى لا يخطئه انسان بأنى مصرى وقلت لهم وانا اخرج بطاقتى اننا ضباط فى الجيش، ونحمل ذخيرة للفدائيين... وطلبت منهم أن ينصرفوا حتى لا يسببوا لنا متاعب مع البوليس أو الانجليز ... وفى لمح البصر تفرق الناس مقدرين حرج الموقف... وواصلت الرحلة مع عثمان فوزى ونحن نتداول الحديث عن مصر التى امتص تاريخها كل الغزاة فاحتواهم شعب مصر بأصالته وعراقته.

وبعد شهور كنت على موعد مع أحمد فؤاد فى قهوة رويال بشارع توفيق... ونزلت من منزلى بشبرا متجها الى الموعد ولكنى فوجئت بأن القاهرة تحترق... وسرت فى الشوارع منذهلا من المنظر الكئيب، ومتوقعا حدوث تغيرات حاسمة... لم أقابل أحمد فؤاد... كان المقهى قد احترق.

كان الكفاح المسلح فى القناة يتصاعد ويجذب كل يوم قوات جديدة من الطلبة والعمال وداخل الجيش.

وكانت سنوات الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى هى القناة عامى ١٩٥٠، ١٩٥١ فرصة فريدة لمواصلة التجديد والنشاط.

•••الفصل السادس •••

● كان مفروضا أن اسافر إلى فرنسا بالدرجة الثالثة على الباخرة الايطالية (استوريا) يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ..ولكن !

● عز العرب عبدالناصر يحضر الى شقتى فى سبورتنج بالاسكندرية ويطلب منى سرعة السفر للقاهرة لمقابلة شقيقة جمال عبدالناصر... وشقيقهما شوقى ينتظر بالشارع للمراقبة.

● جمال عبدالناصر يخطرنى فى الشارع امام منزله اخطر كلمات سمعتها فى حياتى... وفى عربته الصغيرة كان ينتظر كمال الدين حسين وصلاح نصر واحمد شوقى.

● رسالة عبدالناصر كانت تطلب عدم تحريك قوات الاسكندرية ومحاولة الحفاظ على الهدوء لوجود الملك والحكومة وقيادة البحرية الملكية والحرس الملكى وخفر السواحل.

● ابلغت قيادة حدتو بموعد قيام الثورة.

● التأثير السحرى لبيان الثورة الأول على ضباط الاسكندرية صباح يوم ٢٣ يوليو.

● اول اتصال تليفونى بين محمد نجيب وجمال عبدالناصر معى بعد ظهر يوم ٢٣ يوليو.

● الاميرالاى زهران رشدى رئيس البوليس السياسى بالاسكندرية يقنع ضابطا صغيرا باعتقال أحد كبار الضباط المتعاونين مع الثورة وحمله إلى سجن الاجانب.. بينما كان الأمر هو اعتقال زهران رشدى نفسه.

● اعتقلت حيدر باشا الذى أمضى يومين فى معتقل نادى الضباط.. وافرجت عن البكباشى محمد صادق ضابط الحرس الملكى الذى أصبح قائدا عاما للثورات المسلحة.

تغيرت القاهرة بين يوم وليلة... دمرت الحرائق وسط المدينة... فندق شبرد العريق، وفندق الكونتننتال الذى يطل على حدائق الأزبكية وميدان الاوبرا... ومحلات شيكوريل وشملا وبنزايون وجاتينيو والصالون الاخضر وغيرها ومعظم المقاهي والحانات... انقاض ودخان ولون رمادى كئيب واطلال ومنع للتجول.

لم تحترق القاهرة فقط... ولكن احترقت أيضا حركة الكفاح المسلح ضد جنود الاحتلال فى القناة... فتحت المعتقلات فور اعلان الاحكام العرفية... على ماهر لا يستمر فى رئاسة الوزراء إلا شهرا واحدا ويأتى بعده نجيب الهلالى عضو الوزارة الوفدية سابقا... ليرفع شعار التطهير الى جانب التحرير ويحدد اقامة سراج الدين سكرتير عام الوفد، ويعتقل أحمد حسين رئيس مصر الفتاة... ويفرض الرقابة على الصحف ... ثم يستقبل بعد أربعة شهور.

كثير من الزملاء اعتقلوا ليلة ٢٦ يناير ١٩٥٢... توقفت حركة الكفاح النسلح تدريجيا لان البوليس تحول لحماية جنود الاحتلال من حركة الفدائيين.

وتلقيت فى هذه الفترة خطابا من هنرى كورييل الذى كان يقيم فى باريس عبر أحد الزملاء الذين ذهبوا الى فرنسا... يطلب منى السفر الى هناك إذا سمح لى الوقت والظروف بذلك.

كان قد صدر قرار غير مكتوب بطرد هنرى كورييل من مصر فى يوليو ١٩٥٠ رغم حصوله على الجنسية المصرية وعندما لجأ الى مجلس الدولة لم يجد القضاة قرارا مكتوبا بالطرد لمناقشته... طرد هنرى من مصر يوم ٢٦ اغسطس دون سند أو قرار قانونى من ميناء بورسعيد... رغم ان الحكومة كانت وفدية وهناك مجال للحرية

الشخصية، الا انه يبدو أن البوليس السياسى كان أقوى من الوزرات الحزبية التى تتبدل بينما السراى قائمة لا تتبدل ومن خلقها الاستعمار البريطانى يأمر ويوجه.

عندما تلقيت دعوة هنرى كورييل بالسفر الى فرنسا رجعت الى الزملاء فى قسم الجيش الذين وافقوا على سفرى على أن يكون محاطا بسرية كاملة... وقطعت تذكرة سفر بالدرجة الثالثة الى مارسليا على مركب ايطالية كانت تسمى (استوريا) وتحدد يوم السفر فعلا ٢٤ يوليو ١٩٥٢.

ولكنى لم أسافر الى فرنسا.

زارنى مساء يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢ على غير موعد عز العرب عبدالناصر وابلغنى ان شقيقة جمال عبدالناصر ينتظرنى فى القاهرة دون ان يحدد لى السبب.

ولما حاولت الاستفسار منه كان كل ما حصلت عليه من اجابة هو انه شاهد عددا من الضباط يترددون على شقة أخيه جمال.

روى لى عز العرب عبدالناصر فيما بعد انه عندما أخرج ورقة ليكتب عنوان منزلى ١٣٤ شارع طيبة نهره جمال وطلب منه أن يحفظه لدواعى الامان.. وأنه عندما صعد إلى شقتى ليبلغنى بطلب جمال عبدالناصر ترك أخاه شوقى فى الشارع ليرقب المنزل.

سافرت الى القاهرة وانا احمل فى ذهنى كثيرا من التوقعات حول سبب هذه الدعوة المفاجئة... وذهبت مباشرة من محطة مصر الى منزل جمال عبدالناصر فى كوبرى القبة وكانت الساعة حوالى الرابعة من مساء يوم ٢٢ يوليو... ولكنه لم يكن موجودا.

تفضلت الاسرة بدعوتى للدخول.. ولكنى بخجل الريفى فضلت ان انتظره فى الشارع على ناصية كوبرى القبة المواجه للمستشفى العسكرى العام... وبعد فترة قصيرة وصل جمال عبدالناصر بعربته الاوستن السوداء وشاهدنى واقفا وعينى على مدخل الشارع.. وكان يلبس قميصا ابيض قصير الكم... وكنت فى ملابسى المدنية التى اعتدت الحضور بها دائما الى القاهرة

نزل جمال عبد الناصر من العربة التى كان معه فيها كمال الدين حسين والقائمقام احمد شوقى والصاغ صلاح نصر واقترب منى مبتسما وهو يقول (كنت انتظر

انتظر حضورك) وسار معى فى الشارع بضع خطوات سمعت فيها أخطر كلمات سمعتها فى حياتى.

قال لى فى هدوء جاد (أرجو الا تأخذك المفاجأة... ستتحرك الليلة... اعددنا خطتنا لذلك... ستتقدم للسراى بعدد من المطالب.. وعليك فى الاسكندرية ان تحافظ مع الزملاء على الهدوء... فلا تتحرك القوات ولا تصطدم ببعضها... حتى لا يكون هناك تنافر بين ما نقوم به فى القاهرة وما قد يقع فى الاسكندرية... محمد نجيب انضم الينا).

كانت رسالته قد انتهت عند هذه الكلمات المحددة التى فاجأتنى فعلا بطريقة مثيرة فسألت (وماذا لو رفض الملك المطالب التى ستقدم له ؟).

ورد جمال عبدالناصر فى هدوء... (نشوف بعد كده يحصل ايه).

حركة عسكرية إذن.

واختلطت الأفكار فى رأسى... عما إذا كان هذا هو ما نسعى اليه... تحرك الجيش وحده... أم تحركه كفصيلة من فضائل الشعب.. وماذا عن الزملاء فى قسم الجيش، وهل يعرفون؟ وكيف ابلغهم فى هذا الوقت الضيق حيث يجب أن أعود الليلة الى الاسكندرية.

لم يكن هناك وقت لمزيد من الحوار... فقد كنا نقف فى الشارع، والزملاء ينتظرون فى العربه.. وعلى أن أعود الى الاسكندرية خلال ساعات صافحت جمال عبدالناصر مودعا ومتمنيا التوفيق على أمل بأن نلتقى تحت علم الانتصار.

غادرت المكان مسرعا الى منزل احمد فؤاد الذى كان قريبا على قيد خطوات.

لم يكن يعلم شيئا عن الحركة المنتظرة الليلة... وخرجنا مسرعين لمقابلة خالد محيى الدين ويوسف صديق.

خالد محيى الدين كان عند طبيب الاسنان فتوجهنا اليه.. كان يعلم وينتظر واتفقنا على انه فى حالة فشل الحركة سوف نذهب الى منزل أحمد فؤاد فى طنطا لنختفى فيه، حيث كان وقتها يعمل قاضيا هناك.

يوسف صديق لم يكن فى منزله... علمنا من زوجته انه يعلم... وانه يعانى من نزيف فى صدره.

أوصلنى أحمد فؤاد بعربته الى محطة مصر للسكة الحديد وطلبت منه ان يتصل بسيد سليمان رفاعى سكرتير عام حدتو فى نفس اليلة... وقد حدث ذلك فعلا ولذا صدر أول منشور فى القاهرة صباح يوم ٢٣د يوليو من حدتو تأييدا لحركة الجيش.

سافرت الى الاسكندرية... وكثير من الاسئلة تدور فى ذهنى كدوامة لا تتوقف.

ما هى المبررات التى دفعت الى التحرك بهذه الصورة السريعة المفاجئة؟

هل يوحى ذلك بأن اعداد الخطة كا سليما... وجميع المحطات الخارجية تعلم بها؟

وماذا ينتظر لو حدث صدام مسلح؟

وكيف سأتصرف فى الاسكندرية وهناك حيدر باشا وقوات الحرس الملكى وخفر السواحل والبحرية وليس فى هذه الأسلحة جميعا واحد من الضباط الاحرار؟

وهل ستوفقنى الظروف لمقابلة الزملاء من الضباط الاحرار فى هذا الوقت القصير؟

وصلت المنزل فى العاشرة مساء.

فوجئت زوجتى عندما رآتنى أعود على غير انتظار... واستبدل فى سرعة ملابسى المدنية بملابسى العسكرية وقالت لى انهم قد طلبونى من المعسكر... واتصلت بتليفون الالاى الثانى أنوار كاشفة ليبلغنى عامل التليفون بإن البكباشى جمال سلطان قائد الالاى يبحث عنى... فأبلغته اننى سأحضر فورا الى الالاى.

ذهبت فى هدوء الى رئاسة الالاى الثانى انوار كاشفة فى (سوتر) حيث كنت اعمل أركان حرب للالاى وحدث الكباشى جمال سلطان فى خيمة مكتبه جالسا وحده... وعندما شاهدنى بادرنى متسائلا... (انت مش كنت اجازة).

وقلت له فى هدوء (نعم... ولكن عامل التليفون اتصل بى يدعونى للحضور).

- الم تسافر الى مصر؟

وقلت له... (كيف وانا هنا الان... اننى انوى السفر للخارج بعد غد).

وتساءلت فى دهشة مصطنعة.

ولكن... ايه الحكاية... ولماذا هذا الاستدعاء... هل حدث شيء؟

وقال البكباشى جمال سلطان.

ـ لا أعرف... ولكن يبدو ان هناك حركة فى القاهرة.

وقلت (حركة ايه ؟).

وقال جمال سلطان (لا أعرف).

وأستأذنت منه خارجا من مكتبه لاتصل بزملائى من الضباط الاحرار، أو المتعاطفين معهم الذين تربطنى بهم صداقة خاصة.

كان صلاح مصطفى فى المنصورة يحضر زواج شقيقه... وعبدالحليم الأعسر فى اجازة سنوية... ولكنى وجدت محمد عبدالهادى حسونه، وعبدالمنعم خضر ورشدى حسان... الذين حضروا فور حديثى معهم.

وعدت الى جمال سلطان فى مكتبه... وكانت لى به ثقة خاصة.. وبعد فترة من الحديث المليء بالتساؤلات... قلت له أن علينا ان نقف مع ابه حركة يقوم بها الجيش فى مصر وخاصة إذا كان على رأسها محمد نجيب.

وبعد قليل سمعنا البيان الأول من إذاعة القاهرة... وكان الضباط قد بدأوا يتدفقون على المعسكر.

كانت إذاعة البيان الأول انتقالا من حالة الى حالة.

أيد الضباط الحركة بمشاعر فياضة... ولكن قلبى كان ثقيلا باحتمالات اندفاع هذه المشاعر الى حركة خاطئة قد تتعارض مع تلقين جمال عبدالناصر.

لم يكن مطلوبا من وحدات الاسكندرية ان تتحرك للاستيلاء على القيادة كما فى القاهرة.

وبدأنا نعد أنفسنا بتوضيح ذلك للضباط... ونعد أنفسنا ايضا بمراقبة ما يدور.

وساعدتنا الظروف ... فقد دعا حيدر باشا الضباط قادة الوحدات الى اجتماع فى القيادة بمصطفى فى العاشرة صباحا للتداول فيما يجب ان يقوموا به حيال ما حدث

من تحركات فى القاهرة... وانتهزنا هذه الفرصة للتحدث علنا مع الضباط حول ما يدور فى القاهرة... وقررنا ان نطلب من قادة الوحدات بعد عودتهم ان يذهبوا الى منازلهم حتى يتم استدعاءهم حرصا على عدم تعرضهم للايقاف أو الاعتقال.

وكان الضباط الأحرار... عبدالحليم الأعسر وغيره قد عادوا الى الوحدات فور سماعهم البيان الأول.

ودعونا الى الاجتماع فى خيمة ميس الالاى الثانى انوار كاشفة حضره ضباط من مختلف الاسلحة... أوضحت فيه احتياجنا بعد نجاح الحركة فى القاهرة الى اختيار ضباط يتولون المسئولية فى منطقة الاسكندرية... ورشحنا لذلك عبدالحليم الأعسر اركانا لحرب المنطقة ... وعاطف نصار قائدا لها... وحرصت على توضيح ان هذا الاختيار لم يتم على أساس الاقدمية، وإنما على أساس الثقة والارتباط بالحركة الثورية.

وعقب اجتماع قادة الوحدات مع حيدر باشا، ابلغوا بقرار ذهابهم الى منازلهم، فاستجابوا لذلك فى هدوء.

وللتاريخ... فإن موقف حيدر باشا لم يكن متهورا ولا معاديا... فقد كان قد عرف خلال اتصالاته مع القاهرة حقيقة ما تم هناك وسقوط القيادة فى أيدى الضباط الأحرار.

وبمساعدة من ضباط الإشارة بالمنطقة أمكن الاتصال بعد الظهر مع القيادة فى كوبرب القبة... حيث رد على محمد نجيب طالبا البحث عن جسين سرى عامر قائد سلاح الحدود واعتقاله إذا سلك طريق مرسى مطروح ... أما جمال عبدالناصر فقد اطلعته على حقيقة الموقف... والهدوء الذى يسود المنطقة، وابلغنى أن قوات من القاهرة سوف تكون فى طريقها الى الاسكندرية... وان علينا خلال الايام القادمة ان نكون على حذر وان نواصل تنفيذ التعليمات السابقة.

امضيت ليلة ٢٣ يوليو فى رئاسة الالاى الثانى انوار كاشفة... وكان حيدر باشا قد غادر القيادة فى مصطفى باشا دون محاولة للمقاومة.

أشرق صباح ٢٤ يوليو واقدام الحركة أصبحت ثابته فى الاسكندرية ... وذهب الضباط الذين اخترناهم عاطف نصار وعبدالحليم الاعسر الى رئاسة المنطقة.

وكانت هناك احداث هامشية.

حاول البكباشي امين حلمى الثانى قائد الاى المدفعية المضادة للطائرات والسفير بالخارجية فيما بعد بدافع من الحماس الوطنى ان يستثير للهجوم على قوات خفير السواحل بدعوى تحركها ضد الجيش لأنها كانت تحت قيادة اللواء وحيد شوقى ابن اخت مصطفى النحاس باشا... ولكنى وقفت ضد ذلك تماما فلم تكن التعليمات تقضى بذلك ولم يثبت انه كانت هناك حركة مضادة.

وحاول قائد لواء المدفعية المضادة للطائرات ان يبقى فى مكتبه ولا يذهب الى منزله... ولكننا نصحناه فى حزم ان يغادر فغادر.

وفى اليوم التالى وقبل ان يكتمل وصول القوات من القاهرة، فوجئت بمجموعة من الضباط تدخل مكتبى غاضبة ومتسائلة

ماذا ... هل أيدنا الحركة لنعتقل بعضنا؟!

وتساءلت

ماذا حدث... فليس هناك أمر بإعتقال أحد؟

ولكن الضباط الغاضبين قالوا لى ان ضابطا اقتحم مكتب البكباشي صلاح قنصوه أركان حرب اللواء المضاد للطائرات، وانه اصطحبه معه الى سجن الأجانب.

وغادرت مكتبى الى رئاسة المنطقة فورا، حيث تساءلت عن سر هذا الاعتقال... ووجدت ان عبدالحليم الاعسر فى دهشة مثلى... وان احدا لم يعتقل سوى الامير الاى زهران رشدى رئيس البوليس السياسى بالاسكندرية الذى اصطحبه احد الضباط الى سجن الأجانب.

كانت الأوامر عند الضباط تقضى بإيداع الاميرالاى زهران رشدى فى معتقل نادى الضباط المجاور لرئاسة اللواء المضاد للطائرات والذى كان البكباشي صلاح قنصوه أركان حرب اللواء مسئولا عنه... فإذا لم يجد فيه مكاناً فعليه ان يذهب به الى سجن الأجانب.

وغادرت القيادة مسرعا الى سجن الاجانب، فوجدت البكباشى صلاح قنصوة جالسا وعلى وجهه علامات الجزع والضيق، وقد أخرج كل ما فى جيوبه ليسجلها ضابط السجن قبل ادخاله الى غزفته.

وتساءلت فى غضب ودهشة.

- ايه الحكاية؟

وتهلل وجه صلاح قنصوة وهو يسمعنى أطلب منه اعادة حاجياته الى جيبه، وهو يقول لى أن هذا الضابط قد حضر له مع الاميرالاى زهران رشدى وحملوه الى السجن.

وفوجئت بالضباط يقول لى ان زهران رشدى قد أفهمه وهما فى طريقهما من القيادة أنهما ذاهبان لاعتقال صلاح قنصوة واقتياده الى سجن الاجانب!!

براعة ومهارة... اليس كذلك؟

واتصلت بزهران رشدى فى مكتبه بالمحافظة... وطلبت منه ان يحضر الى سجن الاجانب بعد عشر دقائق... وحدث ذلك فعلا... ولكن علمت فيما بعد أنه قد أحرق بعض الآوراق أثناء الفترة البسيطة التى قضاها فى مكتبه بالمحافظة.

دخل زهران رشدى سجن الاجانب وعاد صلاح قنصوة الى مكتبه... وهدأ الضباط.

استقرت الامور تماما فى الاسكندرية بعد وصول قوات من مصر مع محمد نجيب ويوسف صديق وجمال سالم وزكريا محيى الدين وانور السادات... وخرج الملك على اليخت المحروسة فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٦ يوليو.

لم اكن ضمن القوات التى حاصرت سراى رأس التين... ولكننى كنت فى موكب محمد نجيب الذى وصل الى رأس التين متأخر بضع دقائق، وانتظرت فيها مع المنتظرين خارج سراى التين الى أن تم توديع الملك وعدنا الى مصطفى باشا وسط مظاهرات حافلة.

ولكن يوم ٢٧ يوليو كان عندى يوما حافلا.

فى الصباح كنت أودع اللواء محمد نجيب وزملاءه فى مطار النزهة وهم يغادرون الاسكندرية ومعهم أنطون بوللى السكرتير الخاص للملك فاروق الذى أثيرت حول سلوكه شائعات كثيرة... ووجدته فى دهشة مما يحيط به.

وبعد وداع اللواء محمد نجيب عدت الى القيادة فى مصطفى باشا، فوجدت البكباشى محمد أحمد صادق محجوزا فى احدى الغرف مع عدد من ضباط الحرس الملكى... وكنت على علاقة به ندرس معا استعداد للالتحاق بالدفعة الثالثة عشر لكلية أركان الحرب... ووفقت أنا ولكنه لم يوفق..

ورأيت أن من الواجب الأفراج عنهم لأنهم كانوا يؤدون واجبهم التزاما بالقسم الذى اقسموا عليه ولم تكن لهم علاقة بالحركة... وكان هذا تماما هو رأى زكريا محيى الدين الذى عرضت عليه الأمر فوافق عليه وافرج عنهم.

وفى عصر نفس اليوم كنت أدخل سراى المنتزه مع اليوزباشى أمين شاكر الذى حضر من الولايات المتحدة حيث كان فى فرقة للإشارة فوز سماعه بخبر الحركة العسكرية... وكان أمين طالبا فى الجماعة التى كنت أقودها فى الكلية الحربية.. ذهبنا لتأمين الاتصالات التليفونية... وتجولنا داخل القصر... فأخذتنى الدهشة الغامرة بما شاهدت من أثاث وتحف وحدائق يانعة ترعى فيها الغزلان... وكنت بذلك أول ضابط فى الجيش يدخل سراى المنتزة من غير اذن الملك.

وفى المساء ذهبت مع الملازم أول ابراهيم بغدادى الى فندق سان ستيفانو حيث وجدنا حيدر باشا جالسا فى ردهة الفندق فطلبنا منه أن يصحبنا الى نادى الضباط حيث اعتقل... بعد أن طلب منا زكريا محيى الدين أن ننفذ ذلك... ولكنه لم يبق فى المعتقل الا يومين افرج عنه بعدهما ادوره قبل وأثناء الحركة.

وبعد ذلك هدأت الاسكندرية وبدأت فيها حياة جديدة.

●●● الفصل السابع ●●●

- سافرت مع أحمد ابو الفتوح وابراهيم طلعت من الاسكندرية إلى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر وهما مرشحان لدخول الوزارة الجديدة بعد استقالة على ماهر!
- لقاء جمال عبد الناصر مع سيد سليمان رفاعى (بدر) سكرتير عام حدتو فى منزل أحمد فؤاد
- سافرت مع الدكتور راشد البراوى إلى القاهرة لمقابلة اعضاء مجلس الثورة تمهيداً لوضع قانون الاصلاح الزراعى
- غادرت الاسكندرية للعمل فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة بالقاهرة حيث أصدرت مجلة التحرير فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٢
- أميل زيدان يقدم تسهيلات من دار الهلال لفريق الذى اصدر مجلة التحرير التى سجلت أعلى رقم للتوزيع
- نحن نحمى الدستور... شعار رفقته ادارة الشئون العامة للقوات المسلة وأثار مشكلة.
- زيادة أنور السادات لمجلة التحرير وحوار معه
- قرأت خبر أقالتى من رئاسة تحرير مجلة التحرير وتعيين البكباشى ثروت عكاشة فى جريدة المصرى!
- ٥٠ يوما فى حبس انفرادى يسجن الاجانب مع الوصى على العرش رشاد مهنا وفؤاد سراج الدين والنبيل عباس حليم وضباط من المدفعية.

عرف النوم طريقه إلى عينى بعد أن استقرت الأمور فى الاسكندرية عقب خروج الملك، وتعيين على ماهر رئيسا للوزراء، وعودة الحكومة إلى العاصمة.

تغيرت الاسكندرية خلال أيام... أصبحت هناك قيادة عسكرية جديدة... لم يثب صغار الضباط الذين قاموا بالحركة إلى المراكز القيادية... استعانوا ببعض أصحاب الرتب الكبيرة (لواء وأميرالاى وقائمقام) لشغل المناصب الرئيسية... وكان اللواء محمد إبراهيم قد عين رئيسا لأركان حرب الجيش، واللواء مصطفى الجنيدى قائدا لمنطقة الاسكندرية.

خلال الأيام الأولى التى أعقبت انتصار الحركة كان الحماس شديدا بين الجماهير التى أسعدها الإطاحة بالملك فاروق، والتى وجدت فى بيان وتصريحات حركة الجيش أملا فى مستقبل أفضل ظهر ذلك واضحاً خلال الاستقبالات التلقائية الحافلة التى انت الجماهير تستقبل بها محمد نجيب خلال وجوه فى الأسكندرية... وبعد سفره يضا كانت الجماهير تستقبل ضباط الجيش فى عرباتهم العسكرية بترحيب واضح.

لم أكن قد توليت مسئولية قيادية فى الأسكندرية... وبقيت فى موقعى برئاسة الالاى الثانى أنوار كاشفة.. وقد أتاح لى ذلك فرصة عقد اتصالات مع بعض القوى السياسية والفكرية.

أول من التقيت كان إبراهيم طلعت المحامى الوفدى الشاب الذى عرفته عضوا بارزا فى حركة السلام وصديقا حميما لأحمد فؤاد... وقابلت فى منزله حفنى باشا محمود الذى كان عضوا أيضا فى مجلس السلام... وتعرفت خلال إبراهيم على أحمد

أبو الفتح الشخصية السياسية المرموقة ورئيس تحرير المصرى فى ذلك الوقت، الذى عرفت أنه زوج لشقيقة زميلنا البكباشى ثروت عكاشة أحد الضباط الأحرار القياديين فى سلاح الفرسان... وأنعقدت صلة بينى وبين إبراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح الذى كثيرا ما ذهبت إليه فى شقته بعمارة عريضة التى تطل على البحر فى الابراهيمية.

أذكر أننى سافرت مع إبراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح الى القاهرة، حيث التقينا مع جمال عبدالناصر على غداء فى منزل أحمد فؤاد، حضره أيضا سيد سليمان رفاعى الميكانيكى السابق فى سلاح الطيران عضو قيادة حركة (حدتو) والذى يحمل الأسم الحركى (بدر)... وكان جمال عبدالناصر على موعد مع فؤاد سراج الدين فى منزل قريبه عيسى سراج الدين لمناقشة الأفكار الرئيسية لقانون الإصلاح الزراعى الذى كان مشروعا لم يصدر بعد.

كان الحديث يدور وقتها حول احتمالات تغيير وزارى بعد تصريحات كان قد أدلى بها رئيس الوزراء على ماهر حول موعد الانتخابات تناقضت مع تصريحات سابقة لمجلس القيادة... وكان ابراهيم طلعت وأحمد أبو الفتح كلاهما مرشحان لدخول الوزارة الجديدة المنتظرة.

لم يكن على ماهر يريد الانتخابات المبكرة... وكانت دهشتى كبيرة أيضا عندما التقيت مع بعض أساتذة جامعة الاسكندرية دكتور رشوان فهمى ودكتور محمد الغراب ودكتور محيى الدين الخرادلى وكانوا أول من أرسل برقية تأييد لمجلس القيادة فى وقت لم يكن الملك قد خرج فيه بعد من مصر... وسمعتهم يطلبون عدم تخلى الجيش عن مواقعه ليتركها تعود إلى أيدى الاحزاب والسياسيين المحترفين.

قابلت بعض الشخصيات من احزاب الأقلية وهم يتوجهون الى مقر قيادة منطقة الاسكندرية فى مصطفى باشا ليسجلوا اسماءهم، كما اعتادوا ذلك فى سجل التشريفات الملكية الذى كان يوجد دائما فى سواى عابدين بالقاهرة ورأس التين بالاسكندرية.

وتلقيت مكالمة تليفونية من أحمد فؤاد يطلب منى فيها احضار الدكتور راشد البراوى الذى كان استاذا بكلية التجارة بجامعة الملك فؤاد (القاهرة) ومترجما لعدد هام

من الكتب السياسية التى شملت رأس المال لكارل ماركس، والاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية للينين... وغيرها من الكتب السياسية اتى أثارت انتباه شباب ذلك الجيل... والتى كان بعضها يعتبر مرجعا أساسيا فى مادة الشرق الأوسط للضباط الذين يتقدمون لدخول كلية أركان الحرب.

ذهبت إلى الدكتور راشد البراوى فى مكتبة فى جريدة الزمان التى كان يصدرها ادجار باشا جلاد ووجدته يجلس على مكتب صغير... وعندما تقدمت إليه فى ملابسى الرسمية على غير معرفة لاحظت الارتباك عليه... ولكن سرعان مااستعاد الهدوء عمدا علم أنه مطلوب لاستشارته كعالم ومفكر من بعض قادة الحركة، وسافرنا معا في قطار صباح اليوم التالى إلى القاهرة حيث وجدنا الصاغ كمال الدين حسين فى انتظارنا فى عربة (استيشن واجن) وهو يعتذر لنا بأنه قد حضر بها خصيصا حتى لا يجهد الدكتور راشد البراوى بركوب العربة الجيب.

التقى راشد البراوى مع أعضاء مجلس القيادة، حيث دار حوار حول قانون الاصلاح الزراعى كان يديره البكباشى جمال سالم الذى عكف بعد ذلك مع أحمد فؤاد وراشد البراوى على اعداد المشروع الذى صدر بعد ذلك عقب تغيير وزارة على ماهر.

كانت الاسكندرية بالنسبة لى مدينة ساحرة... احببتها عن القاهرة... كنت أسكن فى سبورتنج التى كانت تتميز بمياه البحر وخضرة النادى... ولكن ظروف ما بعد الحركة جعل بقائى فيها أمرا صعبا... وقد طلب جمال عبدالناصر منى خلال احدى المقابلات معه فى القاهرة أن أرتب نفسى للحضور إليها... ولما حاولت الاعتذار والقول بأنى سعيد فى الأسكندرية، قال لى ولكن القاهرة أكثر احتياجا للضباط الأحرار.

وبعد أيام اتصل بى أحمد فؤاد يبلغنى ماقاله له جمال عبد الناصر من أنهم فى سبيل اعداد نشرة تنقلات وأن على اختار المكان الذى أريد العمل فيه.

وبعد تفكير اخترت ادارة الشئون العامة التى كانت تجذبنى إليها هواية الكتابة والصحافة التى مارستها منذ ٦ سنوات فى الفصول والاهرام والقصة... وصدر قرار بذلك خلال شهر أغسطس الذى عدت فيه إلى القاهرة.

كنت أحمل فكرة اصدار مجلة تعبر عن رأى الحركة، وحملت ذلك إلى جمال عبدالناصر الذى وافق على الفكرة التى ناقشتها مع أحمد أبو الفتح فى جريدة المصرى، حيث تعرفت بعدد من الكتابة والفنانين والصحفيين الذين أصبحوا لى أصدقاء خلال رحلة العمر... عبد المنعم الصاوى، وحسن فؤاد، وعبدالرحمن الشرقاوى، وعبدالرحمن الخميسى، ويوسف دريس، وعبدالرحمن صادق وغيرهم.

كانت جريدة المصرى هى صحيفة الوفد الأكثر انتشارا وحيوية.

وكانت ادارة الشئون العامة فى ذلك الوقت تحت قيادة قائد الجناح وجيه أباظة الذى كان مهمتها بالاعلام عن الحركة وخاصة فى الاذاعة... وكان من ضباطها قبل الحركة الصديق الشاعر مصطفى بهجت بدوى، وانضم الينا كمال الحناوى أحد الضباط الاحرار.

وانتقلت من مرحلة التفكير فى اصدار المجلة إلى مرحلة التنفيذ وتشكل فريق عمل كان محوره الصديق الفنان حسن فؤاد، وانضم إلينا غير مجموعة المصرى عدد من الزملاء الأصدقاء صلاح حافظ وزهدى وعبدالغنى أبو العنين وسعد التائه وغيرهم.

ولم تكن للمجلة ميزانية.. ولم يكن فى ادارة الشئون العامة من وسائل تسمح باصدارها.

ذهبنا إلى دار الهلال حيث التقينا مع الاستاذ أميل زيدان الذى رحب باصدار المجلة من دار الهلال على أن يتم الحساب بعد التوزيع... وأرسل لنا أحمد أبو الفتح رجل الاعلان الأول فى المصرى ليكون مشرفا ومسئولا عن اعلانات المجلة التى لم تكن قد اخترنا أسمها بعد وهو الأستاذ عبدالله عبدالبارى.

استقر رأينا على أن تكون المجلة باسم (التحرير) وذلك قبل شهور من تشكيل هيئة التحرير... وبدأنا العمل ليل نهار فريقا متجانسا، لانكاد نغادر دار الهلال الا إلى منازلنا للنوم فقط... وفى يوم ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ كان العدد الأول يخرج من المطبعة.

حملت العدد إلى جمال عبدالناصر فى مبنى القيادة بكوبرى القبة... وبعد أن تصفحه طلب منى أن أعرضه على زملائه الموجودين من مجلس القيادة... وسمعت منهم آراء متباينة يؤسفنى القول بأن بعضها كان سطحيا وغير موضوعى... فعدت إلى جمال عبدالناصور قائلا له (أرجو ان تنقذنى من زملائك).. وابقسم ابتسامة عريضة وهو يقول إذاً غدا نشتريها من باعة الجرائد).

وذهبت إلى الأصدقاء الذين كانوا ينتظرون فى دار الهلال، وابلغتهم بالقرار فهللوا فى فرح حقيقى... وخرجت المجلة للتوزيع، وخرجنا نأكل الكباب فى أبو شقرة.

كان ظهور المجلة حدثا صحفيا فريدا... فهى أول مجلة تصدر معبرة عن الحركة وفيها تحقيقات ومقالات من المعتقلين السياسيين الذى كانوا قد صدر قرار اعتقالهم يوم ٩ سبتمبر مع تغيير وزارة على ماهر وتعيين اللواء محمد نجيب رئيسا للوزراء، وصدور قانون الاصلاح الزراعى.

حطمت مجلة (التحرير) الأرقام القياسية لتوزيع المجلات فى ذلك الوقت... وطبعنا العدد الأول عدة مرات فتجاوز توزيعه المائة ألف... وكان مفروضا أن تصدر المجلة التى رأست تحريرها مرة كل ١٥ يوما.

اتفق الزملاء على أ تصدر المجلة أسبوعيا حتى تكون هناك فرصة لاخراجها بطريقة فريدة مميزة... ومع ذلك كانت تسلب المجلة منا كل الوقت والجهد.

ولم يكن صدور مجلة (التحرير) بصورتها التى صدرت بها مريحة لعدد من أعضاء مجلس القيادة... كما أنها لم تكن مريحة كما علمنا فيما بعد لبعض السفارات الاجنبية وخاصة البريطانية والامريكية.

فوجئت يوما بزيارة أنور السادات ومعه اليوزباشى جمال الليثى فى عصر أحد الأيام.. وهو يقول مخفيا حديثه بضحكة (يقولون أن المجلة حمراء)... وأشار إلى لوجة اختارها الفنان حسن فؤاد وقال ضاحكاأيضا (وهل هذه هى حملمة السلام؟)... وقلت لانور السادات ان حمامة السلام رسمها بيكاسو... ،ولكن الحمامة التى نشرناها هى حمامة زغلول... وهو نوع من الحمام المصرى المعروف!!

لم تكن زيادة أنور السادات مريحة.. ولكنى لم أعلق عليها كثيرا... ولم أهتم بالحديث عنها مع جمال عبدالناصر.

ولم يقف نشاطنا فى ادارة الشئون العامة عند حد اصدار مجلة (التحرير) ولكننا اصدرنا أيضا لوحتان قام باعداهما الفنان حسن فؤاد.. الأولى تحمل صورة فلاح وتحتها هذه الكلمات (حددنا الملكية من أجل رفاهية الفلاح)... ولوحة أخرى تحمل صورة البرلمان وتحته شعار يقول (نحن نحمى الدستور) وهى من نص الكلمات التى وردت فى البيان الأول للثورة.

أصدرنا هذه اللوحات بوحى من ضمائرنا وتطلعنا إى مستقبلنا وكان لها تأثير كبير عند الرأى العام.

وخلال هذه الفترة الخصبة المزدحمة بالعمل... كانت قد ظهرت نتيجة امتحانات الدورة الثالثة عشرة لكلية أركان الحرب... وكنت من بين الناجحين.

وفى صباح يوم من أيام شهر نوفمبر ١٩٥٢ فوجئت وأنا أقرأ جريدة المصرى بخبر تعيين البكباشى أركان حرب ثروت عكاشة رئيسا لتحرير مجلة (التحرير).

كان الخبر مفاجأة تامة لى... ولم أحاول الاتصال بأحد من الزملاء فى مجلس القيادة.

انفعل بعض الزملاء العاملين فى المجلة وحاولوا أن يقدموا استقالتهم ولكننى وقفت ضد ذلك فى اصرار فلم يكن الجو مناسبا لذلك... والقضية ليست شخصية... وثروت عكاشة رجل وطنى.

ولم تكد تمضى عدة أسابيع شغلنا فيها العمل فى كلية أإكان الحرب... حتى فوجئت يوما بإشاره فى الصباح يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ تطلب منى الذهاب إى القيادة.. وعندما ذهبت وجدت كلا من خالد محيى الدين ومجدى حسنين فى ردهة القيادة وعلى وجهيهما ترتسم علامات الاضطراب والاشفاق... وقال لى الاثنان (لقد صدر أمر مجلس القيادة أمس باعتقالك)!.

لم أصدق فى البداية... ورفعت صوتى محتجا ومتسائلا عن السبب الذى يدفع إلى هذا الاجراء.

وعندما علا صوتى بين دهشة الحاضرين من الضباط والجنود خرج أكان حرب الادارى للقيادة اليوزباشى فؤاد نصر من مكتبة، وطلب منى أصحبه فى هدوء... واستجبت له فقد كان من دفعتى ولم أجد مجالا لاتخاذ موقف غير مثمر.

ذهبت مع اليوزباشى فؤاد نصر إلى سجن الاجانب الذى كان قد امتلأ عن آخره بالمعتقلين من الضباط الذين جلبوا إليه من منازلهم فى ظلام الليل... ولم تكن هناك سوى خمس غرف خالية مخصصة لسجن النساء!! وكانت ميزتها أن أرضها من الخشب، وأن الشبابيك عادية لها قضبان من حديد، وليس مثل الزنزانات الأخرى التى لا يستطيع الجالس فيها رؤية الشارع.

نزلت فى غرفة منها وإلى جانبى كما علمت من الحراس فيما بعد كان الوصى السابق على العرش وضابط المدفعية رشاد مهنا... والدكتور عبدالعزيز الشال.

كان معنافى سجن الاجانب خلال هذه الفترة النبيل عباس حليم الذى كان يتصرف بروح مرحة... يداعب الحراس والمعتقلين... وفؤاد باشا سراج الدين الذى أحضروا له من الخارج سريرا ومقاعد خاصة وضعت له فى زنزانته...

أمضيت فى سجن الأجانب أياما كئيبة فى حبس انفرادى... قطعت عنا فيه الصحف والكتب بعد أن قرأنا آخر ما نشيت لجريدة المصرى والذى كان يقول (اعدام حسنى الدمنهورى)... ولم يكن لى من تسليه سوى القراءة فى كتاب عن الأدب الشعبى لحيرم الغمراوى تصادف وجوده معى.

أخذت أقلب الأفكار متسائلا عن سبب هذا الاعتقال.

هل يكون امتدادا للموقف السابق الذى دفع بى بعيدا عن رئاسة تحرير مجلة (التحرير)؟

هل يكون نتيجة لدسيسة أو وقيعة قام بها بعض الزملاء؟

وراجعت نفسى فى هدوء.

لم أرتكب شيئاً ضد الحركة... ولم أصدر منشوراً معاديا... ولذا لم يتسرب إلى قلبى أى شعور بالقلق أو الخوف.

كانت تصرفات بعض ضباط القيادة توحى أحيانا بالاندفاع نحو الديكتاتورية العسكرية... ولكنى كنت على ثقة من أن الاستقبال والتأييد الشعبى للثورة لابد وأن يرسيها على أرض الديمقراطية.

ولكن حملت لنا صحف اليوم التالى أخبارا بالغاء الدستور وحل الاحزاب.

وأمضيت مدة الحبس الانفرادى ٥٠ يوما دون تحقيق مطلقا... إلى أن استدعيت إلى مقر للقيادة كان ق أقيم فى ثكنات قصر النيل... وهناك وجدت زكريا محيى الدين الذى قال لى فى هدوء.

كان مفروض أنك تخرج من زمان... ولكن قلنا يمكن حد يجيب سيرتك فى التحقيق.

وقلت له مازحا.

- يا سلام... يعنى محبوس من غير سبب.

ووجه لى عدة أسئلة حول ما كان يدبره بعض المعتقلين معنا من ضباط المدفعية ضد تصرفات شخصية لبعض أعضاء مجلس القيادة مثل عبدالمنعم أمين وأنور السادات... ومطالبتهم بوجود نوع من الديمقراطية.

أفرج عنى زكريا محيى الدين فور تحقيق لم يستغرق ١٥ دقيقة.

وذهبت إلى منزلى فى ميدان طوسون بالزمالك... وما أن غادرت العربة التى كانت تقلنى حتى وجدت ابنتى الصغيرة سامية، وهى تشهق وتندفع نحوى بعد أن سقط من يدها كيس كانت فيه أشياء اشترتها من البقال القريب.

عدت إلى منزلى بعد أن أعتقلتنى الحركة التى شاركت فيها... ودون أن يوجه لى اتهام.

وفى صباح اليوم التالى... وفى كلية أركان الحرب وجدت أشارة تطالبنى بالذهاب إلى القيادة... وقال الزملاء من ابناء الدفعة ١٣.

(تانى... عاوزينك ليه).

كان جمال عبدالناصر هو الذى طلب مقابلتى... وعندما دخلت عليه فى مكتبه قال لى (طبعا.. أنت زعلان... لكن أبقى أسأل زكريا شوف أسباب اعتقالك أيه).

وقلت له (اللى حصل .. حصل).

ولكنه أصرقائلا (لازم تسأله... ولازم ترجع تكتب تانى فى مجلة التحرير.

ودخل علينا اللواء عبدالحكيم عامر مرحا كعادته، وبعد أن أخذنى فى أحضانه قال لى (أوعى تزعل).

بعد هذه المقابلة الودودة، رجعت إلى كلية أركان الحرب، ورجعت أيضا للكتابة فى مجلة (التحرير) وآثرت الا تحجب مرارة المعاملة غير المنتظرة سلامة الرؤية للمستقبل.

وأيقنت من يومها أن صراعات قد بدأت ليس بين القوى السياسية والاجتماعية وبعضها... ولكن داخل المؤسسة العسكرية أيضا.

●●●الفصل الثامن ●●●

- يوسف صديق أول من أستقال من مجلس قيادة الثورة احتجاجا على اعتقال ضباط المدفعية
- جمال عبدالناصر يقدم لى فى غرفة نومه منشور احتجاج من حدتو
- اللجنة المركزية لحدتو تصدر قرارا بحل قسم الجيش الذى كان مغلفا بسرية تامة.
- ابتعدت عن التنظيم السياسى لحدتو حرصا على عدم تعريض زملائى للخطر
- زرت أمريكا مع الدفعة ١٣ لكلية أركان الحرب.. وقدموا لنا فى اليوم الأول عرضا لموسيقى الجيش... وبعد احتجاجنا عرضوا علينا أول مدفع ذرى
- جمال عبدالناصر أوفد لى الشهيد صلاح مصطفى إلى الأسكندرية، خلال أزمة مارس ١٩٥٤
- عبدالحكيم عامر يتصل من القاهرة للبحث عن خالد محيى الدين بعد أختفائه عقب حضوره إلى الأسكندرية فى صحبة اللواء محمد نجيب والملك عبدالعزيز آل سعود
- مكالمة تليفونية انتقلت بعدها من منصب كبير معلمى المدفعية المضادة للطائرات إلى ضابط بالجيش المرابط!
- لقاء مع جمال عبدالناصر فى استراحة ستانلى صباح يوم محاولة الاعتداء عليه من الاخوان المسلمين فى ميدان المنشية... ثم لقاء معه فى رئاسة مجلس الوزراء بعد قراره بالسفر إلى باندونج.
- عبدالحكيم عامر يطلب نقلى من الجيش المرابط إلى أى مكان فى القوات المسلحة... واخترت آدارة التعبئة فى الدقى بالقاهرة...

- عملت مع الدكتور حسين فوزى فى لجنة التعبئة بوزارة الثقافة... واصدرت مجلة (الهدف) شهرية ثقافية... وكانت أول مجلة تنادى بتأميم قناة السويس فى مقال بعنوان (هذه القناة ملكنا)
- جمال عبدالناصر يوفد لى أحمد فؤاد لنستعد للعمل سرا عندما علم خبر الانذار الأمريكى الذى كان يحمله (جورج الين) وكيل الخارجية الأمريكية بعد إعلان صفقة الأسلحة التشكية.

آثرت حركة اعتقالات ضباط المدفعية فى يناير ١٩٥٣ ومحاكمتهم والحكم على بعضهم بالسجن خمسة عشر عاما على تنظيم الضباط الاحرارالذى كان قد وصل إلى نهايته تقريبا عندما توقفت الاجتماعات التنظيمية خشية تكرار ما حدث فى المدفعية عندما انبثقت منها حركة المعارضة التى انتهت بأعضائها الى سجن الاجانب والمحاكمة.

ولم تكن اعتقالات ضباط المدفعية وحدها هى التى آثرت على تنظيم الضباط الأحرار فقط... ولكن كان هناك الموقف الذى اتخذه القائمقام يوسف صديق الذى احتج على الاعقتالات وقدم استقالته من المجلس.

وأذكر أن الشاعر كمال عبد الحليم العضور البارز فى قيادة (حدتو) نشر قصيدة احتجاج على اعتقالى ضمن المعتقلين... وأن حدتو وزعت منشور احتجاج ايضا ولم أكن أعرف عنهما شيئاً... إلى أن كنت أعود جمال عبدالناصر فى منزله الحالى الذى كان قد أقام فيه بعد بداية الثورة مع حسين الشافعى وحمدى عاشور وعدد من الضباط الاحرار فى الدفعة ١٣ لكلية أركان الحرب وكانت غرفة نومه فى الدور الأول مكان غرفة مكتبة الآن فيما أتذكر،، وأخرج لى من تحت المخدة المنشور الذى يتضمن الاحتجاج والقصيدة وقال لى (إيه رأيك... يعنى احنا مش وطنيين ولا ايه ؟)... وتأكد وقتها أنى لم أكن أعلم شيئاً

وصدر قرار مناللجنة المركزية لحدتو بحل قسم الجيش حتى لا تتعرض لاخطار الاتهام بانها تعمل داخل صفوف الجيش

ولكن قسم الجيش كان قد التزم بسرية مطلقة جعلت من الصعب على أجهزه الأمن والمخابرات اختراقه ومعرفة افراده، الذين ظل بعضهم فى الجيش سنوات طويلة بعد ذلك.

ومع ذلك فقد أصبح صعبا علي.. بل مستحيلا أن أواصل اتصالاتى السابقة مع أعضاء القسم دون أن أعرضهم للخطر بعد أن لاحظت مراقبتى فى المنزل وفى كلية أركان الحرب.

وكنت قد علمت أن ضابطا فى الطيران اسمه عصام خليل كان قد كلف بمراقبتى قبل الاعتقال فى منزلى رقم ٨ بميدان طوسون بالجزيرة بالزمالك، وتصادف ملاحظته لاشخاص يخرجون من المنزل بعد منتصف الليل ومنهم ضباط.. ولم يبحث فى هويتهم وانما تصور انهم لابد وأن يكونوا فى شقتى فى الوقت الذى كانوا يجتمعون للسهرت فى شقة ضابط مهندس أعزب كان يسكن فى الدور الأول بينما كنت أقيم فى الدور الخامس.

ولاحظت استمرار المراقبة... وآثرت الابتعاد عن الاتصالات السياسية مؤقتا..

وانتهت كلية أركان الحرب... وتخرجت فى شهر يونيو ١٩٥٣... وعدت إلى الأسكندرية فى مدرسة المدفعية المضادة لطائرات.

وكانت كلية أركان الحرب قد أعدت رحلة لخريجى دفعتنا إلى الولايات المتحدة الامريكية فى وقت كانت العلاقات فيه تتحسن بين الدولتين... وكنا نسعى وقتها للحصول على أسلحة من أمريكا لاختراق الحصار الذى تفرضه بريطانيا على تسليح الجيش المصرى... وكانت قد أرسلت بعثة ضمت على صبرى لمحاولة الوصول إلى اتفاق لتسليح مصر... وأرسلت بعثة أخرى ضمت عددا من الضباط فى هيئة التنظيم والتسليح.

وتصورت أننى ربما لن أحصل على فيزا بدخول أمريكا اذا كان هناك ملف لى فى أجهزة الامن... ولكن لم تحدث عقبات أو مشاكل...

ذهبنا فى طيارة حربية مصرية خاصة إلى مطار قاعدة هويلس فى طرابلس بليبيا، حيث أمضينا ليلة فى ميس ضباط القاعدة... وقد لاحظت أنه كان مليئاً بأجهزة اللعب والقمار... وأن دورات المياه فيه كانت بلا أبواب مطلقا!!

وعندما سألت خجلا عن سبب ذلك قيل لى أنه توفير!!

دهشت... لاننى لم أصدق أن أمريكا التى خاضت حربا كلفتها مليارات ومليارات الدولارات سوف تتمسك بالتقشف فى هذه المظاهر غير المريحة... ولكننى وجدت أنهم فى ميس الضباط الذى أقمنا به فى واشنطن كانوا يمارسون أيضا عمليات تقشف وانضباط فى مظاهر أخرى تصل باستخدام العربات بغير حساب المأموريات الرسمية، إلى غير ذلك.

أمضينا ليلة فى قاعدة هويلس.. لم نزر فيها طرابلس الا مرورا فى شوارعها... ولم نلتق باحد من الليبيين. .

وأمضينا ليلة ثانية فى جزر الازورس بالمحيط الاطلنطى، التى وصلنا اليها على طائرة حربية أمريكية وتجولنا فى شوارعها ذات الطابع الاسبانى، وشاهدنا مصارعة الثيران فى احدى الضواحى.

وأمضينا ليلة ثالثة فى جزيرة برمودا.

وأخيرا وصلنا إلى واشنطن فى مساء يوم من أيام أكتوبر ١٩٥٣... وتوجهنا فورا إلى ميس الضباط فى قاعدة عسكرية فى ضواحى واشنطن.

وفى اليوم الأول للوصول ذهبنا إلى استاذ لكرة القدم حيث قدموا لنا عرضا للموسيقات العسكرية مثل الذى نشاهده فى القاهرة... وقيل لنا أن هذا برنامج اليوم الأول!

تهامسنا واتفقنا على مصارحة المسئولين فى السفارة بأننا لم نقطع كل هذه المسافة من القاهرة لنشاهد عرضا للموسيقى العسكرية!

كان السفير هو أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية السابق فى وزارة نجيب الهلالى وكان الملحق العسكرى هو القائمقام عبد الحميد غالب سفير مصر فى لبنان بعد ذلك... وقدمنا لهما خلال استقبال أعدته السفارة فى اليوم الأول احتجاجا شديدا، يحمل معنى التهديد بأننا لن نواصل البرنامج اذا استمر على هذا المستوى.

وتغير البرنامج فعلا... وشاهدنا وحدات عسكرية، وأول مدفع ذرى، وقمنا بزيارة للبنتاجون... وعدنا إلى القاهرة بعد حوالى عشرة أيام زرنا فيها واشنطن ونيويورك، واستمعنا بمشاهدة مظاهرة الحياة الأمريكية التى بهرتنا بأبراجها العالية وتليفزيونها المتقدم ونظامها العصرى.

ولم تكد تمضى بضعة شهور حتى كانت الخلافات قد نشبت داخل مجلس القيادة وهو يتحمل مسئوليته التى قررها لنفسه باعداد فترة انتقال مدتها ثلاثة أعوام تنتهى عام ١٩٥٦ ... نشبت بين جمال عبدالناصر وأعضاء المجلس من جهة، وبين اللواء محمد نجيب وخالد محيى الدين الذى كان مازال يواصل عمله فى مجلس القيادة، الذى كان قد خرج منه يوسف صديق مبعدا، وعبدالمنعم أمين الذى عين سفيرا... وذلك خلال شهرى فبراير ومارس ١٩٥٤.

كنا نتابع من الأسكندرية حيث عينت كبيرا المعلمى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات التى كانت تقع فى المعمورة فى أحد القصور المصادرة، قريبا من الموقع الذى أقيمت فيه فيلا جمال عدبالناصر وعبدالحكيم عامر فيما بعد... كنا نتابع ما يدور فى القاهرة ونحن نشفق من تفجر الخلاف بين الأصدقاء...ولم تكن لى خلال هذه الفترة اتصالات سياسية.

وفوجئت يوما بأن البكباشى أركان حرب صلاح مصطفى الذى كان عضوا معى فى لجنة الضباط الاحرار بالاسكندرية والذى عين مديرا لمكتب اللواء عبدالحكيم عامر فى القاهرة حيث كان أول دفعة عبدالحكيم عامر فى الكلية الحربية.

فوجئت به يحضر لى فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات ويقول لى أنه موفد من جمال عبدالناصر ليسألنى رأيى عن المشكلة القائمة، بعد أو روى تفاصيل دقيقة

لطبيعة خلافات محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة... ورغم ثقتى المطلقة فى جمال عبدالناصر ودوره الوطنى... الا أننى لم أملك نفسى من القول بأننى رغم عدم مشاركتى حاليا فى أى اتصال سياسى الا أننى اختار الديموقراطية.

سافر البكباشى صلاح مصطفى إلى القاهرة يحمل الجواب فى نفس الوقت.

وانتهى الامر بتراجع مجلس القيادة عن قبول استقالة اللواء محمد نجيب... وأعلن قراراته الشهيرة التى أعلنت يوم ٢٧ فبراير ١٩٥٤ فيها (حفظا على وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء محمد رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك).

كان من أسباب التراجع... المظاهرات التى قامت لتأييد محمد نجيب فى القاهرة... والتى روى لى صلاح سالم فيما بعد انها واجهته بالهتاف لمحمد نجيب... ومظاهرات الخرطوم تأييد النجيب وموقف ضباط سلاح الفرسان الذى انحاز الى الديمقراطية وحدثت فيه مواجهة القيادة عن اتخاذ قرار امام تتابع الاحداث، والشعور بأن ضباط منطقة الاسكندرية يفضلون الديمقراطية.

عاد محمد نجيب إلى موقعه رئيسا للجمهورية.

وحضر محمد نجيب إلى الأسكندرية وفى رفقته خالد محيى الدين حيث كان يزور المدينة الملك عبدالعزيز آل سعود ضيف مصر فى ذلك الوقت.

وفتحت باب شقتى لاجد خالد محيى الدين... حضر على غير موعد ودون اتصال تليفونى، لمناقشة الموقف الذى يجب أن يتخذه لمواجهة الظروف المتغيرة بالقاهرة... ووجدنا عدم التعجل فى اتخاذ قرار، وأن علينا الانتظار لمواجهة الموقف.

نزل خالد محيى الدين من منزلى... والتقينا فى مساء نفس اليوم فى نادى الضباط حيث حرصت على مقابلته بترحاب شديد حتى لا يتصور أحد أنه كان لنا لقاء سابق... والتقينا أيضا فى صباح اليوم التالى، حيث كان خالد محيى الدين يميل إلى اتخاذ قراره فى اصرار بالا يعود إلى القاهرة ويختفى فى الاسكندرية.

وفى المساء حضر لى عبدالحليم الأعسر أركان حرب المنطقة إلى منزلى وطلب أن أدله على مكان خالد محيى الدين... وقلت له صادقا أنى لا أعرف مكانه... وخلال وجوده معى فى غرفة المكتب اتصل خالد تليفونيا من الخارج... واستطعت الا الفت نظر عبدالحليم الأعسر إلى شخصية المتكلم... كما أستطعت تنبيه خالد محيى الدين بأنهم يبحثون عنه.

وفى الصباح تلقيت مكالمة من لقاهرة من عبد الحكيم عامر يطلب منى فيها أن أساعد فى البحث عن مكان خالد حتى يعود إلى القاهرة قبل أن تتعقد الأمور... وأكدت له أنى لا أعرف مكانه ولكنه ألح على فى البحث عنه...ووجدت بعد ذلك ابراهيم بغدادى ضابط مخابرات الاسكندرية ومحافظ القاهرة فيما بعد يحضر لى ويقول أنه يضع نفسه تحت تصرفى بأمر عبدالحكيم عامر إلى أن نجد خالد.

لازمنى آبراهيم بغدادى يوما كاملا... ولم نجذ خالد محيى الدين.

وكان ابراهيم بغدادى وقتها ضمن مجموعة المخابرات والأمن فى الاسكندرية التى كانت تضم ممدوح سالم من مباحث أمن الدولة والذى أصبح رئيسا لوزراء مصر... والذى فوجئت به يحضر معى دروسا للغة الايطالية فى احدى المدارس الايطالية.. وكنت قد اشتركت فيها استكمالا لدروسى فى اللغة الايطالية كنت قد بدأتها قبل الثورة فى مدرسة (دانتى الليجرى) فى بولاق. ومحاولة لابعاد انظارهم عنى ليتأكدوا من أننى لا أساهم فى أى عمل سياسى.

ولكن بعد أيام... كنت أجلس فى مكتبى بمدرسة المدفعية المضادة للطائإات ومعى أركان حرب المدرسة الصاغ أحمد عبدالمجيد فؤاد عندما تلقى مكالمة نليفونية.. وجدت أنظاره فيها معلقة على فى جزع ودهشة، وهو يردد فقط (حاضر... حاضر يا أفندم).

فسألت (خير).

قال فى غضب (ولا خير ولاحاجة).

اية الحكاية؟

ـ حسن السنباوى اركان حرب المدفعية اتصل بى وقال أنك انتقلت للجيش المرابط ولازم تسيب المدرسة النهارده، وتسلم نفسك بكره لرئاسة الجيش المرابط فى مصر

قابلت الأمر فى برود... وطلبت منه أن يهدا، والا يبلغ أحدا من ضباط المدرسة، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه... وابلغته أنى سأغادر فورا دون أن يجهز لى عربة... بل سأركب الأتوبيس.

وعندما حاول أن يعترض طلبت منه أن يجنح إلى العقل حتى لا يؤدى نفسه ويؤذينى معه.

خرجت سيرا على قدمى نحو الطريق الزراعى القادم من أبو قير... وأنا أتلفت بين حين وآخر إلى مبنى المدرسة الذى عشت فيه أياما هادئة. وأنا أودعه الوداع الأخير.

وفجأة سمعت أصواتا مسرعة خلفى... تلفت فوجذت الزميلين أحمد فخر الضابط فى جناح المدفعية المضادة للطائرات، ورشدى حسان الضابط فى جناح الانوار الكاشفة وهما يسرعان نحوى.

لم أستطع كبت عواطفى ومشاعرى وأنا آخذ الصديقين بين أحضانى... وحبات الدموع فى عينى.

ودعنى الصديقان وأنا فى صمت عاجزعن التعبير عن عمق التقدير للوفاء.

ذهبت فى صباح اليوم التالى رئاسة الجيش المرابط التى كانت فى فيلا قريبة من روزاليوسف. حيث قابلت قائدة اللواء فريد عبدالله، الذى قابلنى بأدب وحيرة شديدة.

صاغ أركان حرب... ينقل إلى الجيش المرابط... عملية كانت تستحق عنده وقفة... ولكنى حرصت على تقبل الأمر فى هدوء... وهو يحدد لى مكان العمل فى قويسنا... وهى مدينة عشت فيها قبل أعوام كثيرة وأنا تلميذ فى المدرسة خلال أجازة الصيف ضيفا على زوج شقيقتى الذى كان يعمل هناك قاضيا شرعيا فى الثلاثينيات.

ذهبت إلى قويسنا حيث كان معسكر الجيش المرابط فى منطقة صحراوية تحيط بها المزارع.

كنت أعود كل يوم إلى القاهرة... بينما الزوجة والاولاد يقيمون فى الاسكندرية أذهب إليهم كلما سمحتالظروف.

ومن محاسن الصدف أنهم كانوا يعيدون تنظيم الجيش المرابط الذى أنشئ خلال الحرب العالمية الثانية تحت قيادة عبدالرحمن باشا عزام لفترة ما، حيث كان جنوده يلبسون الصادل ويحرسون المخابئ التى أقيمت للحماية من الغارات الجوية... وتقرر خلال عملية اعادة التنظيم تغيير اسمه إى قوات الأمن والحراسة والغاء محطة قويسنا وضمها إلى ماكان يسمى الكتيبة ١١٦ مشاة بالاسكندرية والتى شغلت منصب أركان حرب بها... والتى ضمت عددا من ضباط الفرسان المبعدين... كان منهم محب السمرة الذى أصبح سفيرا بالخارجية فيما بعد، وفؤاد المهداوى محافظ مرسى مطروح فيما بعد، وطلعت حسين الذى عمل سكرتيرا عاما لمحافظة الجيزة.

كانت فترة العمل فى كتيبة المرابط من أمتع الفترات التى قضيتها فى الجيش... حيث لم يكن هنا؛ عمل نقوم به سوى ممارسة الرياضة فى الصباح... ثم السهر معافى مشروع اعده أحد ضباط الاحتياط بالكتيبة (مصطفى عبدالحميد صقر) الذى كان زوجا للسيده سنيه قراعة فى احدى مراحل حياتها اسمه (لاباللما) على ترعة المحمودية.

وخلال هذهالفترة وفى شهر أكتبر ١٩٥٤ بالتحديد وبعد توقيع اتفاقية الجلاء، قام محمد عبداللطيف عضو الجهاز السرى فى الأخوان بمحاولة الاعتداء على جمال عبدالناصر فى ميدان المنشية.

كنت أسمع الخطبة فى منزلى... وما أن سمعت صوت الطلقات وكلمات جمال عبدالناصر حتى فاضت بى مشاعر الضيق والقلق من هذه المحاولة الإرهابية... وتبينت خلال أحاديث تليفزيونية مع الزملاء المسئولين فى المنطقة والبوليس الحربى أنه سوف يكون الذهاب إلى جمال عبدالناصر صعبا فى هذه الليلة... فلم يكن أحد منهم موجودا فى منزله.

وفى الصباح ذهبت إليه فى استراحة ستانلى باى التى مازالت موجودة حتى الآن... حيث تواجد عدد محدود من الضباط... وخرج الينا جمال عدبالناصر وعلى

وجهه تختلط معالم الارهاق بالابتسامة التى أرتسمت على وجهه وهو يتحدث لنا عن انفعالاته لحظة وقوع الحادث.

كان واضحا أن جمال عبدالناصر بعد هذه المحاولة قد بدا يخوض معركة شرسة ضد الاستعمار الذى كان يلتف حولنا فى محاولة لفرض الاحلاف العسكرية بعد قيام حلف بغداد.

وكانت غارة إسرائيل على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٩٥ قد أثارت فى القوات المسلحة موجات من الغضب والنقد الاستياء... وأعلن بعدها بأسابيع أن جمال عبدالناصر سوف يسافر إلى مؤتمر باندونج... وقد لاقى هذا القرار ترحيبا وتأييدا من جميع الوطنيين.

ذهبت على غير موعد لمقابلة جمال عبدالناصر وتهنئته على هذا القرار فى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء مع الصديق البكباشى عبدالحليم الأعسر... وما أن علم عبدالناصر بوجودنا قادمين من الاسكندرية حتى سمح لنا بالدخول فورا.

وأذكر أنه قال لى يومها وهو يبتسم (أنت جيت يعنى... رضيت علينا بقى).

وقلت له فى حماس صادق (العفو... البلد كلها راضية عليك).

وبعد أكثر من عام من انتقالى وبالتحديد فى يونيو ١٩٥٥ فوجئت بالقائمقام طلعت خيرى كاتم اسرار القوات المسلحة يدخل مكتبى بالكتيبة ١١٦ مشاة، ويبلغنى أنه كان يراجع أمس مع اللواء عبدالحكيم عامر أسماء قادة وأركان حرب الوحدات بالاسكندرية وأن اللواء عبدالحكيم عامر قد غضب عندما علم أنى أعمل أركان حرب كتيبة المرابط... طلب منى أن أختار أى مكان للعمل فيه.

حاولت الاعتذار بأننى مستقر فى الاسكندرية مع أسرتى... ولكن طلعت خيرى أبلغنى أن اللواء مستاء جدا من الوضع وأنه لابد من تصحيحه.

وأعطانى مهلة يوم واحد للتفكير واختيار المكان الذى أريد الانتقال اليه.

وفى اليوم التالى قابلت طلعت خيرى الذى أصبح وزيرا للشباب فيما بعد وأبلغته

أننى أريد الانتقال إلى أى مكان غرب النيل.

أخذت طلعت الدهشة وهو يسألنى.

- يعنى ايه غرب النيل.

وأجبت فى وضوح.

- لا أريد العودة إلى المدفعية... ولا إلى التشكيلات العسكرية رغبة منى فى البعد عن وحدات يمكن أن تقوم ضد الثورة بحركة مضادة.

اخترت ادارة التعبئة... التى كانت تشغل وقتها عمارة فى شارع التحرير بالدقى... وصدرت النشرة العسكرية متضمنة نقلى إليها.

كان انتقالى إلى إدارة التعبئة بداية مرحلة جديد فى حياتى غادرت فيه الأسكندرية نهائيا، وتفتحت لى فيها آفاق جديدة.

كنت عضوا فى ادارة تعبئة القوات المسلحة التى كان يقودها اللواء ماهر الرمالى ثم اللواء جمال عسكر الذى واصلقيادتها حتى أصبحت الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء... وعضوا أيضا فى لجان التعبئة الوزارية، حيث عملت فى لجنة تعبئة وزارة الداخلية مع اللواء محمود الباجورى وكيل الوزارة عندما كان زكريا محيى الدين وزيرا لها، ولجنة تعبئة وزارة الثقافة مع الدكتور حسين فوزى عندما كان فتحى رضوان وزيرا لها.

خلال العمل فى ادارة التعبئة فكرت فى اصدار مجلة تعبر عن حيوية الحركة داخل هذه الادارة الجديدة التى تشعبت مسئوليتها من الجيش الى مختلف الوزارات والتى تبنت مشروعا للحصر الصناعى... وعرضت الامر على اللواء أمين الشريف مدير الادارة فرافق مرحبا.

أصدرت مجلة (الهدف) شهرية... أعد تصميمها الفنان الصديق حسن فؤاد الذى سبق له أنأخرج مجلة (التحرير)... وتعاون معى فى أصدارها الأديب صالح مرسى الذى غادر العمل فى القوات المسلة البحرية والفنان يوسف فرنسيس إلى جانب الكتاب

والضباط الذين كانوا يعملون فى إدرة التعبية... وفى مقدمتهم الدكتور حسين فوزى، والدكتور عبدالرازق حسن والدكتور عادل ثابت،والدكتور عادل عز وزير البحث العلمى السابق.

كانت مجلة الهدف قد ظهرت بعد احتجاب مجلتى الثقافة لتى كان يصدرها الاستاذ أحمد أمين والرسالة التنى كان يصدرها الاستاذ محمد حسن الزيات... ولذا جذبت كثيرا من المثقفين والقراء وقال عنها سلامة مكوسى فى جريدة الاخبار أنها ملأت مكانا شاغرا، وأنها تصدر بمجموعة من الكتاب يفكرون بالنصف الايسر منأدمغتهم.

كانت مجلة (الهدف) هى أول مجلة أشارت إلى تأميم قناة السويس عندما نشرت عدة مقالات تحت عنوان (هذه القناة ملكنا)... وكان ذلك قبل شهور من تأميم القناة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦.

وكانت أيضا أول مجلة تنشر مقالات عن (الفولكلور) كتبها الدكتور حسين فوزى وكيل وزارة الثقافة.

وخلال شهر أكتوبر ١٩٥٥ حضر لى الصديق أحمد فؤاد وأبلغنى أن جمال عبدالناصر ينتظر انذارا من الامريكيين سوف يحمله له جورج الين وكيل وزارة الخارجية الامريكية وذلك بعد قرار مصر الحصول على السلاح من الاتحاد السوفيتى كوسيلة لكسر احتكار السلاح... وأنه قد أرسله ليكون على استعداد للعمل سرا خلال قنوات مقاومة شعبية.

فكرت طويلا فى صلابة هذا الرجل الذى وصل إلى قيادة الدولة ثم لا يتردد عن العمل سرا فى مقاومة شعبية من جديد اذا دفعته الظروف الى ذلك... وعلمت فيما بعد أنه خلال هذه الايام طلب جمال عدبالناصر من قيادة الجيش أن يزيد من توعية القوات المسلحة بابعاد هذه الصفقة وما توفره من قدرة على حماية النفس ضد اسرائيل ودعم الحياد الايجابى وعقدت من أجل ذلك ندوات عديدة.. وكما طلب ضباط

المخابرات المصريين المنبثين فى منطقة القناة أن يراقبوا تحركات القوات البريطانية التى لم تكن قد انسحبت بعد.

ولكن لم تصل الأمور إلى حد الصدام وتراجع المبعوث الامريكى عن تقديم انذاره بعد أن أبلغ عبدالناصر السفير الامريكى بايرود ورجل المخابرات المركزية كيرمت روزفلت بأن جورج الين لو جرؤ على تقديم الانذار المكتوب فأنه سوف يطرده من المكتب ويقطع العلاقات مع أمريكا... ولذا سارع السفير ورجل المخابرات الامريكى بالاتصال بجورج الين وهو فى طريقه لمصر وأبلغاه بعدم الادلاء بأية تصريحات عند نزوله من الطائرة... واقنعاه بعد مقابلته بعدم تقديم الانذار المكتوب، وتفاديا لاية مشاكل قد تنفجر بطريقة غير محسوبة!

وقدرت فى نفسى أن جمال عبد الناصر مازال يتذكرنى ويتذكر الضباط الاحرار فى وقت الشدة... وأنه رجل صلب فى القضية الوطنية لا يلين.

●●●الفصل التاسع ●●●

● تركت الجيش إلى الصحافة بعد أنتهاء فترة الانتقال فى يونيو ١٩٥٦

● لقاء مع أنور السادات لتحديد خطة عملى فى دار التحرير التى كان يرأس مجلس ادارتها

● الفجر صدر منها ثلاثة اعداد للتجربة ولكنها لم تظهر للقراء لوقوع العدوان الثلاثى

● يحيى حقى يختارنى للعمل مديرا للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى.. لماذا؟

● فتحت المسرح عصرا ومجانا للجماهير حتى يكون (المسرح فى المعركة) ضد العدوان الثلاثى

● ماذا قال لى زكريا محيى الدين عندما صدر قرار بالاعتراض على ترشيحى لمجلس الأمة عام ١٩٥٧

كان العمل فى ادارة التعبئة قد فتح لى مجالات جديدة للطلاع والتعرف على الحياة المدنية... وخاصة فى وزارتى الارشاد والداخلية حيث كنت مندوبا للتعبئة فى اللجان المشكلة بهذه الوزارات.. ولكن فرصة عملى فى هذه الادارة لم تدم طويلا... فمجلس قيادة الثورة كان قد قرر أن يختار الضباط الاحرار إما البقاء فى الجيش أو الخروج منه للعمل فى مجالات أخرى على أن يتم ذلك قبل انتهاء فترة الانتقال.

اخترت الحياة المدنية، والصحافة بالتحديد... وصدرت آخر نشرة نهاية فترة الانتقال فى يونيو ١٩٥٦ وهى تحمل اسمى بين الخارجين من الجيش... صدر قرار بتعيينى فى دار التحرير للطبع والنشر التى كان يرأس مجلس ادارتها أنور السادات والتى صدر عنها جريدة الجمهورية فى سبتمبر ١٩٥٣، والتى كانت مجلة (التحرير) تصدر عنها أيضا.

استقبلنى أنور السادات بترحيب... واتفق معى فى حضور محسن عبد الخالق أحد الضباط الاحرار فى المدفعية، والذى اعتقل ضمن حملة اعتقالات يناير ١٩٥٣ وصدر عليه حكم بالسجن خمسةعشر عاما ولكن أفرج عنه بعد عامين، وعين مديرا لدار التحرير... وهنا لابد من الاشارة إلى أن ثورة يوليو لم تحكم على ضابط الاعدام... وان الذين صدر عليهم الحكم بالاعدام مثل حسنى الدمنهورى قد خفض الحكم وافرج عن الجميع خلال سنوات محدودة.

اتفق معى أنور السادات على أن أصدر مجلة جديدة (تفرقع) على حد تعبيره الذى مازالت أذكره... وقال محسن عبدالخالق (مجلة تضرب أخر ساعة) وكان يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل... وهنا تدخل أنور السادات قائلا (آخر ساعة

ايه... احنا عاوزين مجلة ثورة... زى التحرير أول ما طلعت)... واستعدت المقابلة التى تمت بيننا فى دار الهلال ونحن نصدر مجلة التحرير... وقلت فى نفس سبحان الله مغير الاحوال.

بدأت الاستعداد لاصدار المجلة المنتظرة... التى خصص لها مكان فى دار التحرير.

ولم تتح لى الظروف فرصة تجميع المجموعةج التى أصدرت مجلة (التحرير)... كان حسن فؤاد قد انشغل فى اصدار مجلة (صباح الخير)... واستقر الباقون فى أعمال صحفية أخرى.

اخترت مجموعة جديدة للعمل ضمت محمود أمين العالم وسعد لبيب وراجى عنايت ومنير حافظ وجورج البهجورى وعبدالمنعم القصاص وبهيج نصار وصالح وسميرة الكيلانى وغيرهم... وبدأنا نعمل بنفس روح الفريق التى عملنا بها فى مجلة (التحرير)،

اخترنا للمجلة اسم (الفجر).

أصدرنا ثلاثة اعداد (زيرو) اى للتجربة... مازالت احتفظ بها.

ولكن المجلة لم تصدر أبدا... والفجر لم يشرق.

وقع العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر ١٩٥٦ ... وشعرنا أن ايقاع اخراج مجلة أسبوعية أصبح بطيئاً بما لا يتناسب مع طبيعة العدوان... وقررنا أن نصدر نشرة يومية تحمل اسم (المعركة)... وتعاون معنا فى اخراجها الفنان حسن فؤاد.

ظهرت بضعةأعداد من (المعركة) كانت تنشر أخبار المقاومة الشعبية فى بورسعيد التى ضمت فى ذلك الوقت رجالا من القوات المسلحة، ورجالا من التنظيمات اليسارية. إلى جانب جموع الشعب التى وقفت تردد ما قاله جمال عبدالناصر من على مئذنة الأزهر الشريف (سنحارب... سنحارب).

ولكن... صدرت تعليمات بوقف (المعركة) لم نستطع تبين مصدرها فى ذلك الوقت... وان كنت قد سمعت من محسن عبدالخالق اخيرا أن الأوامر كانت قد

صدرت من جمال عبدالناصر الذى يبدو أنه خشى تجمع شخصيات يسارية فى مجلة تلتهب مع مشاعر الشعب... وفى وقت كانت الثورة قد وزعت أسلحة على الجماهير استعدادا للمقاومة الشعبية، ثم أصدرت قرارا بتجميعها فور وقف النار،وهو الأر الذى اعترض عليه الكثيرون رغبة منهم فى بقاء السلاح بيد الشعب دفاعا عن الوطن وعن الثورة.

توقفت (المعركة)... وأسدل الظلام على (الفجر) فلم تشهد النور... وتوزع الصحفيون على مجالات عمل أخرى.

عينت كاتبا فى جريدة الجمهورية، ومديرا لتحرير (الرسالة الجديدة) التى كان يرأس تحريرها يوسف السباعى.

وذهب عدد من الزملاء إلى جريدة المساء التى كان يصدرها ويرأس تحريرها خالد محيى الدين.. والذى كلفه جمال عبدالناصر باصدارها بعد عودته من جنيف حيث كان مبعدا.

أذكر أنه اتصل بى فور عودته، وأبلغنى بتكليف جمال عبدالناصر له، فشجعته على قبول هذه المسئولية الهامة، ورشحت له عبدالمنعم الصاوى ليكون مديرا للتحرير ولكن لم يتحقق ذلك لأسباب لم يكن خالد محى الدين مسئولا عنها، اذ كانت هناك رؤية وحسابات خاصة لعبد المنعم الصاوى، دفعته إلى عدم قبول العمل مديرا لتحريرها المساء، واتفق خالد بعد ذلك مع الصحفى المتميز محمد عبدالقادر حمزة نجل عبدالقادر باشا حمزه الذى كان يصدر جريدة (البلاغ) قبل الثورة.

وخلال الفترة التى كنا نأخذ فيها الخطوات النهائية لاصدار (الفجر) وقبل وقوع العدوان الثلاثى، وقع فى حياتى شىء مفاجئ مثير.

اتصل بى سعد الدين عبدالحفيظ ضابط سلاح الفرسان وأبلغنى أن الاستاذ يحيى حقى مدير مصلحة الفنون يريد أن يلتقى بى... وكان سعد يعمل مديرا لمكتبة.

ولما تساءلت عن سبب المقابلة قال لى سعد أنه يريد أن يعرض عليك منصب (مدير الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى).

ياخبر... ضابط يصبح مديرا لفرقة تمثيلية... وضحكت غير مصدق.

وذهبت فى الموعد المحدد الى مكتب الاستاذ يحيى حقى، الذى كنت قد قرأت له (قنديل أم هاشم)... وفتنتنى شخصيته منذ اللحظة الأولى... فقد كان حديثه هادئا وجذابا.. وصارحنى بأن اختياره قد وقع على لأن الفرقة مهددة بالحل نتيجة الصراع بين جيلين... جيل حسين رياض وأحمد علام وفاخر فاخر وأمينة رزق وفردوس حسن وغيرهم من الذين عملوا مع يوسف وهبى... وجيل الشباب من الذين تخرجوا من المعهد العالى للفنون المسرحية وعملوا فى فرقة المسرح الحديث مع زكى طليمات مثل حمدى غيث ومحمد الطوخى وكمال حسين ونبيل الالفى وسناء جميل وسميحة أيوب وغيرهم.

كان الصراع بين الجيلين قد وصل بالفرقة حسب قوله - إلى حالة من الشلل وأن الأمر يتطلب أداريا كفئا ومثقفا فى نفس الوقت.

لم أستطع مقاومة جاذبية يحيى حقى... قلت له أنى أقبل من ناحية المبدأ... وسأجيب خلال يومين.

ذهبت إلى الصديق عبدالمنعم الصاوى استشيره فشجعنى تشجيعا شديدا... وذهبت معه لمقابلة الاستاذ يوسف وهبى المدير السابق للفرقة فى فيللته بشارع الهرم... حيث أمضينا معه وقتا ممتعا أسمع تشجيعه لى، وملاحظاته الساخرة على فترة عمله، وتمنياته الطيبة.

وذهبت أيضا إلى الدكتور حسين فوزى وكيل وزارة الارشاد، والذى سبق أن عملت معه فى لجنة التعبئة بوزارة الارشاد، والذى كان ألمع كتاب مجلة (الهدف)... فشجعنى بلا حدود، وزودنى بنصائحه، وهو يؤكد ثقته من نجاحى فى عملى الجديد.

استشرت مجموعة الاصدقاء الذين كانوا يستعيدون معى الصدار (الفجر)... ولم أجد اعاضا مقدما يحول بينى وبين قبول هذا التحدى الجديد.

وذهبت إلى الاستاذ يحيى حقى الذى أصدر قرارا وزاريا من الاستاذ فتحى رضوان لتعيينى مديرا للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ أى قبل ٥ أيام من العدوان الثلاثى على مصر.

وذهبت فى صباح يوم ٢٥ أكتوبر إلى مقر الفرقة بمسرح الازبكية فى صحبة الاساتذة يحيى حقى ونجيب محفوظ وعلى أحمد باكثير، وسعد عبدالحفيظ وجان حبيب زميلى فى مدرسة التوفيقية الثانوية والذى اختاره الاستاذيحيى حقى ليعمل سكرتيرا للفرقة.

كنت متهيبا اللقاء مع هذه الاسماء اللامعة من الفنانين والفنانات.

أحمد علام الذى طالما تابعت خطواته وأنا صبى فى المدرسة الثانوية، وهو يسير بهامته الطويلة ممشوق القامة فى شارع شيكولانى ليصل إلى منزله فى شارع الخلفاء بشبرا.

حسين رياض الذى كان يسكن فى شارع خلوصى بشبرا.

أمينة رزق التى كنت أبهر بأدائها فى مسرحيات يوسف وهبى... والتى لم أشعر بالراحة عندما سمعتها تؤدى دورا اذاعيا فقد تصورت أنها خلقت للمسرح فقط... ذلك العالم الباهر اللمتألق.

دخلت على استحياء فى صحبة الاستاذ يحيى حقى، وجلسنا حول مائدة مستطيلة على خشبة مسرح الازبكية... وبدا يحيى حقى فى تقديمى لاعضاء الفرقة، الذين كنت أرقب نظراتهم الثاقبة لى من خلف نظارتى السوداء... وهم يحاولون النفاذ إلى اعماق شخصية المدير الجديد الذى كان فى الخامسة والثلاثين من العمر.

وصعدت بعد الاجتماع إلى مكتب مدير الفرقة، حيث أشار لى الاستاذ طلعت المقدم مدير مسرح الازبكية إلى أن طلعت باشا حرب كان يجلس على هذا المكتب المطعم بالصدف.

ودخلت تجربة جديدة فى حياتى لم أخطط لها... ولم أفكر فيها.

وما هى الا أيام حتى كانت المفاجأة الكبرى فى وقوع العدوان الثلاثى... والفرقة تستعد لتقديم مسرحية (ايزيس) للكاتب الكبير توفيق الحكيم... وكان يخرجها نبيل الالفى وتقوم ببطولتها أمينة رزق مع فاخر فاخر.

كانت المسرحية ناعمة على حد تعبير المسرحيين... وأبلغنى توفيق الحكيم خشيته من استقبال الجماهير للمسرحية فى جو مشحون بالغضب ضد العدوان الذى أحتل بورسعيد وكانت قنابله تتساقط فوق القاهرة.

وقررنا وقف تدريبات المسرحية... وتقديم مسرحيات وطنية تتفق مع الجو القائم... ولم يكن هناك سوى (دنشواى الحمراء) لمحمد خليل الرحيمى، (وكفاح الشعب) لانور فتح الله.

واستدعيت الممثلين لاجراء تدريبات على المسرحيتين... وتخلفت برلنتى عبدالحميد عن الحضور فكررت الاستدعاء ولكنها لم تحضر... فأصدرت قرارا بفصلها... وعندما جاءت بعد ذلك تعتذر بدعوى أنها تسكن فى مكان بعيد لم أتراجع عن قرار الفصل.

وكانت المشكلة أن هناك حالة من الاظلام التام على القاهرة فرضتها ظروف الحرب... وقررت أن تفتح أبواب المسرح مجانا للجماهير، وأن يكون العرض من الثانية إلى الخامسة مساء.

كنت أشعر بأنى لابد وأن أساهم فى معركة مقاومة العدوان... ولم يكن الحل هو التخلى عن موقعى الجديد فى المسرح، والذهاب إلى منطقة القناة كما فعل بعض الزملاء... ولكن الحل فى نظرى كان هو أن يدخل (المسرح فى المعركة).

ودخل المسرح بعض الذين لم يدخلوه من قبل.،.. أصحاب الجلاليب، ونساء يلبسن الملايات اللف، وطلبة من الازهر والمدارس والجامعات..وبعض أفراد المقاومة الشعبية الذين كانوا يلبسون الكاكى.

ولم يكن تقديم المسرحيات القديمة وحده كافيا لدخول المسرح فى المعركة... ولكن كان علينا أن نبحث عن مسرحيات جديدة للمقاومة... واتصلت ببعض الاصدقاء من الكتاب المسرحيين الذين لم تتح لهم الظروف فرصة عرض أعمالهم على مسرح الدولة... وتجاوب هؤلاء تجاوبا ملحوظا... فكتب نعمان عاشور الذى كان من أبرز الكتاب الشباب للمسرح فى ذلك الوقت، والذى كانت فرقة المسرح الحر قد قدمت له

(الناس اللى تحت)... نبيل الألفى، وكذلك قدم محمد عبدالرحمن خليل مسرحية (بورسعيد وآخرجها كتب نعمان عاشور (عفاريت الجبانة) من فصل واحد وأخرجها فتوح نشاطى، والفريد فرج مسرحية (صوت مصر) وأخراجها حمدى غيث.

فكرة فتح أبواب المسرح مجانا حشدت الجماهير فى مسرح الازبكية الأمر الذى لاقى ترحيبا من الفنانين والفنانات... وخلق دعاية هائلة للمسرح المصرى... وجذب جيلا آخر من الكتاب للمسرح.

كان يوسف ادريس يتابع العروض المسرحية من البلكون... وشاهدته منفعلا بجو المسرح... ولكنه لم يقدم مسرحية من فصل واحد... بل قدم مسرحية كاملة هى (اللحظة الحرجة) عن المقاومة فى بورسعيد كانت تجربته الأولى فى عالم المسرح.

انتهى العدوان... وانسحبت القوات البريطانية والفرنسية يوم ٢٣ ديسمبر... وبدأنا موسما جديدا، وظهر فيه الكاتب الفريد فرج بمسرحيته (سقوط فرعون) التى اخرجها حمدى غيث... وقدمنا كذلك (ايزيس) بعد أن كانت الانفاس قد هدأت.

كان يساندنى فى ادارة المسرح القومى مكتب فنى شكل من حسين رياض وأحمد علام وفتوح نشاطى وحسن البارودى وعبدالرحيم الزرقانى ونبيل الالفى.. لجنة قراءة متميزة تضم من النقاد كلا من الدكتور محمد مندور والدكتور محمد القصاص والدكتور على الراعى والدكتورر عبدالقادر القط ومن الفنانين المخرج فتوح نشاطى ونبيل الالفى.

جمعت بين العمل فى الصحافة، والعمل فى المسرح.

ولكنى لم أبتعد عن العمل السياسى والعسكرى.

أصدرت كتابا بعنوان (أسرار معركة بورسعيد) عن دار التحرير وهو واحد من سلسلة كتب للجميع... وكان هو ثالث كتاب يصدر لى بعد (حرب العصابات) الذى صدر خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨، (وخواطر عن الحرب) الذى صدر عام ١٩٤٩.

أصبحت كاتبا فى جريدة الجمهورية اكتب عمودا يوميا بعنوان (فى الليل) عن الفن والفنانين.. وأوكلت إلى رئاسة تحرير مجلة (كتب للجميع) التى جعلت منها مجلة وكتاب... نشرت عددا من الكتب لكتاب مرموقين... يحيى حقى (خليها على الله) ثروت عكاشة (اعصار من الشرق أو جانكيز خان).

جمعت بين العملين بأسلوب استعطت فيه التوفيق بين الكتابة والادارة... ولم يعد عند فراغ لمزيد من العمل.

ولكن شعلة العمل السياسى لم تكن خمدت تماما فى صدرى.

وعندما أعلن عن فتح باب الترشيح لمجلس الأمة فى انتخابات عام ١٩٥٧، قررت ترشيح نفسى فى دائاة (نكلا العنب) التى تضم قرية اسرتى (الخوالد)... وبذلت جهدا خارقا استعطت به كسب ثقةأهل المنطقة.

وكان قانون الاتحاد القومى وقتها يسمح بالاعتراض على المرشحين الذين وصلوا فى دائرتنا إلى تسعة مرشحين.

أذكر أن زوجتى قالت لى ليلة ظهور أسماء المرشحسن عن احتمالات اعتراضهم على فوجدت أن سؤالها غريبا... ففى الوقت الذى أتولى فيهمسئولية صحفية، وأدير المسرح الفومى، وتربطنى صلة عمل مع زكريا محيى الدين الذى كان مشرفا ماليا على دار التحرير وكنت التقى به فى فترات دورية... لم أجد فى هذا التساؤل مدعاة للقلق.

نمت فى هذه الليلة لاصحو على يد زوجتى وهى تقدم لى صحف الصباح... والتى تشير إلى أن اللجنة المشرفة على الانتخابات قد اعترضت على جميع المرشحين فى دائرتنا عدا الاستاذ فتحى الشرقاوى المحامى.

غير معقول.. ولم أجد ما أستطيع التنفيث به إلا إرسال برقية لجمال عدبالناصر أقول له فيها أن الاعتراض على ترشيحى كان بالتأكيد لمصلحة وطنية لا أعلمها.

وقابلت زكريا محيى الدين محتجا على هذا الاسلوب... ولكنى فوجئت بقوله (هل أستأذنت قبل الترشيح؟).

ولم أكن قد وجدت سببا يدعونى إلى الاستئذان... وكنت قد توقفت عن مقابلة زكريا محيى الدين لانى قرأت خبرا فى الصحف بأنه لن يقابل أحدا من المرشحين لمجلس الأمة.

وقال لى زكريا محيى الدين وزير الداخلية بهدوءه المعروف أن على أن أطوى هذه الصفحة، وأن أواصل عملى دون أحباط.

ولم يكن هناك من سبيل غير ذلك.

حكى لى الاستاذ فتحى الشرقاوى المحامى الذى أصبح وزيرا للعدل بعد ذلك قصته مع الانتخابات عندما طلبوا منه ترشيح نفسه فى دائإة (نكلا العنب) ولكنه حاول الاعتذار فقد سبقت إليه أخبار التأييد الكبير الذى كنت قد حصلت عليه خلال المرحلة الأولى للترشيح... وقال لهم أن عائلته فى زبيدة) وعائلتنا فى (الخوالد) تربطهما صلات وثيقة وأنه لا يريد أن يقحم نفسه فى مثل هذه المعركة... ولكنهم اصروا على ذلك اصرارا دفعة إلى الرضوخ فقد كانت النية مبيته على عدم وصول بعض الاصوات إلى مجلس الأمة.

والاحصائيات وقتها تشير إلى أن الاتحاد القومى قد أغلق ٤٣ دائرة على أشخاص محددين، وأنه اعترض على ترشيح ١١٨٨ من ٢٥٠٨ مرشح.

وبعد هذه التجربة المثيرة التى أظهرت أن الباب لم يكن مفتوحا للجميع بفرص متساويا... زاد ابتعادى عن العمل السياسى.

وواصلت العمل فى الصحافة والمسرح معا.

●●● الفصل العاشر ●●●

- في أول رحلة للمسرح إلى لبنان في عهد كميل شمعون ... احرف كشك بيع التذاكر في باب ادريس ووضعت أنابيب غاز ثاني أكسيد الكربون كريه الرائحة في صالة العرض بمسرح اليونسكو ببيروت!
- الاستقبال الجماهيري الرائع في سوريا للمسرح المصري عندما كان شكري القوتلي رئيسا للجمهورية ومحمود رياض سفيرا لمصر في دمشق.
- شكري القوتلي يستقبل اعضاء المسرح القومي في داره.
- وضع الفنانات المصريات في قصر الشيخ عبد الله الجابر الصباح تحت حراسة خاصة والخروج بتصريح خاص من بعد الاتفاق مع عبد العزيز حسين وكيل وزارة التعليم الكويتية!
- فتحنا باب المسرح للكتاب الاجانب الأحياء... جان بول سارتر، وجون شتاينك، وجون أوسيودن.. كما فتحناه للجيل الجديد من كتاب المسرح.. نعمان عاشور، الفريد فرج، ميخائيل رومان، سعد الدين وهبه.
- أول رحلة إلى موسكو مع صلاح سالم تهنيء عواصف الغضب وتبادل الاتهامات من جمال عبد الناصر وخروشوف... وتؤكد استمرار العمل في المرحلة الثانية للسد العالي.

سنوات العمل فى المسرح كانت من أخصب مراحل العمر.

حملت المسئولية فى مجال ليست لى به صلة سابقة أكثر من الجلوس فى مقاعد المتفرجين.. وتبنيت من مقابلات المسئولين الذين عملت معهم... فتحى رضوان وزير الارشاد الذى حول اسم الوزارة لتكون الثقافة بدلا من الارشاد... والدكتور حسين فوزى وكيل الوزاراة... والأستاذ يحيى حقى مدير مصلحة الفنون... تبنيت انهم يقفون منى موقف المساندة دون محاولة للتدخل أو التوجيه فى مجال العمل.

وكانت خطواتى الأولى هى محاولة كسب ثقة الجيلين من اعطاء الفرقة فطلبت من كل فنان أن يكتب مذكرة شخصية بمتاعبه واقتراحاته، على ان تكون سرية لا يطلع عليها أحد... وأوضحت لى هذه المذكرات ابعاد الصورة والوانها الحقيقية.

كانت ميزانية الفرقة فى ذلك الوقت اعانة قدرها ثلاثة وعشرين الف جنيه نحصل عليها من وزارة الثقافة... وعلينا ان نصرف منها ايجار المسرح واجور المممثلين والعمال والاداريين، ومكافات الكتاب والمترجمين، ومصاريف الاخراج والديكور والاثاث، وتكاليف الاعلانات، وأجور الكومبارس.

وكنت استعيد كلمات برناردشو التى عبر بها عن مشاعره وقت كتابة مسرحياته (ان من واجبى ان افكر فى جيبى، وفى جيب صاحب المسرح، وفى جيوب الممثلين، وفى جيوب المتفرجين، ... وفى مدى ما يستطيع الناس الجلوس فى المسرح دون استراحه أو تناول شئ من المرطبات، وفى طوابق أصوات الممثلين، وفى طاقة السمع والرؤية عند هذا الغلام الجالس فى مقعده باعلى التياترو... هذا الغلام الذى يعتبر

حقه فى أن يجلس جلسة تمكنه كل التمكين من استيعاب الرواية هو حق مقدس قدسية الجلسة التى يجلسها ذلك المليونير فى المقاعد الامامية، أو فى البناوير).

وكانت مرتبات الممثلين والممثلات تثير عندى كثيرا من علامات التعجب والاستفهام... الفنان الكبير حسن البارودى ١٧ جنيها وكلا من شفيق نور الدين ولطفى الحكيم وفؤاد فهيم ١٤ جنيها وأكبر الأجور لم تكن تتجاوز ٣٧ جنيها لحسين رياض وأحمد علام وأمنية رزق.

كان مجموع مرتبات ٤٢ ممثلا، ١٥ عاملا، ٧ اداريين تبلغ ٢٤ الف جنيه أي أكثر مما تمنحه الدولة كاعانة.

كان تحريك الأمور فى ظل هذه الظروف المادية أمرا شديد الصعوبة. يحتاج إلى مزيد من العمل والنشاط لزيادة الإيراد.

امضيت العام الأول فى محاولة قراءة كل كتاب ظهر عن المسرح وكل المسرحيات، وحاولت التعرف على مقتضيات المسرح من الاضاءة والديكور والاخراج، ودرست تاريخ المسرح العربى والأجنبى وما وسعنى إلى ذلك سبيلا واصبحت من الحريصين على قراءة مقالات المسرح كل اسبوع فى الصحف البريطانية للأطلال منها على المسرح العالمى.

ودرست خلال هذا العام ظروف الفرقة، وجهود العاملين فيها، ودرجة اقبالهم على العمل.

ولم اقصر نشاط الفرقة على العمل فى مسرح الازبكية... فقد استطعت الحصول على اذن بالعمل فى دار الاوبرا، خلال الشهور التى لا تكون فيها هناك فرق أجنبية، وكان للاوبرا الايطالية فيها موسم كل عام ... ولم اقصر العمل ايضا على القاهرة فقط... بل حرصت على تقديم مسرحيات فى مدن القطر خلال المتعهدين.

ورايت ان للمسرح المصرى دور فى الوطن العربى، كان يوسف وهبى وجورج ابيض من رواده، كان علينا ان نبادر بمواصلته، فى وقت كان الشعب المصرى يتابع فيه باعتذار وتقدير موقف الامة العربية خلال العدوان الثلاثى على مصر.

كنا نعيش هذه المواقف الحاسمة عندما هب الشعب السورى يفجر انابيب ومحطات النفط التى تمر بأرضه قادمة من العراق، ونسمع صوت محطات الاذاعة فى دمشق وعمان يذيع قائلا (هنا القاهرة).

كنت استعيد ما قرات عن دور المسرح فى ثورة ١٩١٩ عندما كانت الاخبار والحوادث تتحول إلى اغنيات واستكشات يكتبها بديع خيرى ويلحنها سيد درويش.

كان المسرح وقتها يلعب دورا ضد الاستعمار وتنبعث اغنيات تقول فى الوحدة الوطنية.

لانقول نصرانى ولا يهودى.

ولا مسلم يا شيخ اتعلم

اللى أوطانهم تجمعهم.

عمر الأديان ما تفرقهم.

....

....

وحانت فرصة أول لقاء قومى فى رحلتنا الأولى إلى لبنان.

ذهبت الفرقة إلى بيروت فى فبراير ١٩٥٧ واستقبلت استقبالا حافلا من الفنانين اللبنانيين الذين حملت نقيبتهم عايدة هلال باقات الزهور لهم فى المطار ... وقدمنا العروض على خشبة مسرح اليونيسكو، وحضر حفل الافتتاح وزير الخارجية شارل مالك، فى وقت كان موقف مصر القومى لا ينسجم مع رؤية رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت كميل شمعون، والذى سمح للقوات البحرية الأمريكية بعد عام بدخول لبنان عندما نشبت ثورة شعب العراق فى يوليو ١٩٥٨.

لم نحاول أن نجعل من هذه الزيارة الفنية مظاهرة سياسية ولم يكن ذلك فى نيتنا ... واعتمدنا فى الدعاية للفرقة على السفارة المصرية والسفير عبد الحميد غالب،

الذى كان قدش انتقل إلى لبنان بعد عمله ملحقا عسكريا فى واشنطن... ولكننا فوجئنا خلال الحفلة الثانية من سبع حفلات قدمت هناك، ان رائحة كريهة قد انبعثت فى صالة اليونيسكو، وان ذلك كان نتيجة وضع انبوبة ثانى كبرتور كربون فى الصالة وانبعاث هذه الروائح منها... كما ان كشك بيع التذاكر فى باب ادريس قد حرق واشتعلت فيه النيران... ووزعت ضدنا منشورات خلطت الفن بالسياسة وتضمنت ألفاظ سباب حقيرة.

كانت مساحة لبلورة الاتجاهات المختلفة... قرأنا مقالات تميزت بالصدق والانصاف لكل من سليم اللوزى وحسين مروه ومحمد ابراهيم دكروب ... ووقف إلى جانبنا طوال الحفلات عايدة هلال وصلاح الاسير وزوجته سهام رفقى... وكتب ناصر النشاشبى يوميات فى جريدة الاخبار ينقصها الانصاف ومعرفة الحقيقة لأننا لم نقابله فى بيروت.

وقبل آنتهاء العروض فى بيروت تلقيت عرضا بالذهاب إلى دمشق ... ولم أتردد فى القبول.

كانت الصورة مختلفة تماما... حيث كان محمود رياض سفيرا لمصرى وله دور قومى متميز، وشخصية تنال الحب والتقدير والاحترام... ووقف معنا وقفه حب ومساندة.

جميع المقاعد كانت ممتلئة فى جميع الحفلات.

مظاهر الترحيب جمعت بين استقبال شكرى القوتلى رئيس الجمهورية لنا فى داره... وحضور عدد من الوزراء فى الحفلات... ورفض سائقى التاكسى تناول الاجر من الفنانين ... واكرام تجار سوق الحميدية واصحاب المطاعم للفنانين والفنانات.

كانت الاطلاله الأولى للمسرح المصرى على الدول العربية بعد الثورة هذ هذه الزيارة إلى سوريا ولبنان والتى تكررت بعد ذلك فى أعوام لاحقة.

....

....

وواصلت الفرقة دروها القومى بزيارة الكويت فى أواخرا عام ١٩٥٨ خلال انعقاد مؤتمر الادباء العرب.

كان الأخ حمد الرجيب وكيل وزارة الشئون الاجتماعية فى الكويت خلال هذا الوقت والسفير فى مصر والوزير بعد ذلك متخرجا فى المعهد العالى للفنون المسرحية قسم النقد وقد اتصل بى داعيا الفرقة للذهاب إلى الكويت.

كانت هذه هى المرة الأولى التى تسافر فيها فرقة مسرحية إلى الكويت... وكانت المرة الأولى أيضا التى يقدم فيها عرض مسرحى على مسارح الكويت.

كانت الجهة الداعية هى وزارة التربية والتعليم... ووزيرها كان الشيخ عبد الله الجابر الصباح، ووكيل الوزارة الاستاذ عبد العزيزى حسين وزير الدولة لشئون الرئآسة فيما بعد، ومدير الادارة الثقافية بالوزارة الشاعر أحمد العدوانى.

لم تكن الفنادق قد ظهرت بعد فى الكويت... كانت هناك بيوت الضيافة.

أين يمكن أن يقيم أعضاء الفرقة؟

واتفقت مع الأخ عبد العزيز حسين فى حرص مشترك على أن تحتفظ الفرقة سمعتها الفنية العالية، خلال مظهر سلوكى يتناسب مع التقاليد المرعية فى كل من مصر والكويت.

واتفقنا عى أن تقيم الممثلات فى أحد قصور الوزير الشيخ عبد الله الجابر، وأن توضع حراسة عسكرية على المنزل لا تسمح لاحد بالد خول، ولا يخرج الممثلات إلى السوق إلا بإذن ومع كل أربع منهن ناظرة مصرية واخرى كويتية.

وأقام الممثلون فى دار آخرى للضيافة.. ولم يلتق الممثلون والممثلات إلا فى مسرح ثانوية الشيوخ، حيث قدمنا مسرحية (مجنون ليلى)، التى حضر حفل افتتاحها جميع المسئولين وفطاحل الشعراء والادباء العرب.

وكانت أيام الفرقة فى الكويت مهرجانا فنيا وثقافيا يعتبر من معالم التحول فى هذه الدولة التى أصبحت اليوم تلاحق الحياة العصرية فى معظم مظاهر الحياة.

وخلال سنوات العمل فى المسرح قمنا بزيارات أخرى إلى المغرب التى قدمنا فيها عروضا مسرحية فى كل من الرباط والدار البيضاء، ومراكش وفاس ومكناس وطنجة وتطوان.

لم تتح لنا الظروف السياسية فرصة زيارة العراق حيث كان نورى السعيد قد ربط العراق بحلف بغداد الذى كانت تعاديه مصر خلال معركتها ضد الاحلاف العسكرية... وبعد سقوط نورى السعيد فى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وثب إلى الحكم عبد الكريم قاسم، ونبت خلاف بينه وبين مصر ...لم يسمح للمسرح بان يؤدى رسالته القومية بمد نشاطه إلى العراق.

وهكذا دخل (المسرح فى المعركة) خلال العدوان الثلاثى... ولعب بعد ذلك دوره القومى فى الدول العربية.

....

....

ولم تقتصر الصلات مع الخارج عن حدود الزيارات الفنية... وانما فتحنا طريقا لزيارة وفود وبعثات فنية.

أول وفد مسرحى من الفرقة كان إلى رومانيا... وذهب معى فيه المخرجان فتوح نشاطى وحمدى غيث.

واثمرت هذه الزيارة الفنية اتفاقيات أدت إلى ظ هور (مسرح العرائس) لأول مرة فى مصر.

وبدأت صلة فنية مع رومانيا فى مجال الفنون الشعبية.

اثمرت هذه الزيارة الفنية التى امتدت اسبوعين، نسجت فيها بين رؤيتى الصحفية والفنية والسياسية كتابى الرابع (الدانوب الجديد) الذى صدر عن (كتب

للجميع) وكان يضم رؤية لمشاهدات سياسة وثقافية وفنية فى كل من رومانيا والمجر التى وجهت لنا الدعوة لزيارتها ايضا.

وعقب هذه الزيارة قدمت طلبا إلى الأستاد فتحى رضوان بتغيير أسم (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) لتكون (المسرح القومى)... وكانت هذه هى المرة الأولى التى يطلق فيها هذا الأسم فى مصر وأستمر حتى الآن... وهو أسم متد أول فى معظم الدول الأوربية التى ترعى فيها الدولة الفنون.

وكان الانفتاح على الدول الأوربية بداية لارسال بعثات للمسرح إلى الخارج... حيث ذهب بعثات إلى باريس وبوخارست وموسكو... وانتقل المسرح المصرى بذلك خطوة حضارية إلى الامام.

....

....

وانعكس ذلك على طبيعة الانتاج الذى يقدمه المسرح القومى.

قبل الثورة... لم تقدم أية مسرحية لكاتب أجنبى معاصر... جميع المسرحيات التى قدمت كانت لكتاب راحلين... شكسبير وموليير ... وغيرنا هذا الموقف فقدمنا (تحت الرماد) للكاتب الأمريكى (جون شتاينبك) ومسرحية (المومس الفاضلة) لجان بول سارتر، ومسرحية (انظر خلفك فى غضب) للكاتب البريطانى جون اسبورن وغيرها.

ولم يكن هذا تقليلا من دور الكتاب الرواد العظام شكسبير وموليير، فقد قدمنا أيضا (زواج فيجارو) لبومارشيه، (والعم فانيا) لانطون تشيكوف.

كنا نريد أن ننسج تراث المسرح، مع حضارة العصر وابداع الفكر الحديث حتى يكون تيار الفن متدفقا.

وكما فتحنا للكتاب الأجانب المعاصرين فتحناه أيضا للجيل الجديد من الكتاب الشباب الذين كانت الأبواب موصده أمامهم... فلم تقدم (الفرقة المصرية للتمثيل

والموسيقى) منذ انشئت عام ١٩٣٥ الا انتاج خمسة كتاب وشعراء فقط... هم أحمد شوقى وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وعزيز أباظة وعلى باكثير.

خمسة كتاب فقط احتكروا مسرح الدولة لمدة عشرين عاما... بينما كان يقف على الأبواب جيل يملك الموهبة ويتطلع إلى خشبة مسرح يقدم عليها أعماله للجماهير.

وكانت فرقة المسرح الحر الخاصة سابقة فى هذا المجال عندما قدمت نعمان عاشور فى مسرحية (الناس اللى تحت) ... ولكن الفرقة المصرية أو المسرح القومى كانت موصده الأواب لكل فكر جديد.

ونجح المسرح القومى فى التوفيق بين الجيلين خلال أعمال كانت تضم مخرجين من الجيل القديم وممثلين من الشباب، وكذلك مخرجين من الشباب وممثلين من الجيل القديم... كما نجح فى كسب اقلام عدد من شباب الكتاب استقر بعد ذلك على خشبة المسرح فى مصرى مثل نعمان عاشور وألفريد فرج وميخائيل رومان وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشرقاوى.

....

....

ولكن شاءت الظروف أن يرتبط المسرح بالسياسة... وأن يتأثر بأجواء الخلافات التى قامت فى المجتمع، وأدت إلى اعتقال عدد من الشيوعيين فى أول يناير ١٩٥٩ ! وعدد آخر خلال شهر ابريل، وذلك عقب أنفجار الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم.

ولا نناقش هنا الأسباب التى أدت إلى هذه النتيجة المؤسفة ... والتى أحدثت شرخا فى الأفكار القومية والأفكار الشيوعية ... ولن نحاول تفسير الأسباب التى أدت إلى هذا التمزق فى أطار الوحدة الوطنية.

كان أنعكاس ذلك على من الوجهة الشخصية أنعكاسا مريرا... فقد غاب خلف القضبان عدد من أعز الأصدقاء والزملاء وتسربت إلينا أنباء التعذيب الذى تعرضوا له

فى الفيوم والوادى الجديد وأستشهاد شهدى عطيه الشافعى وغيره من الزملاء....
وشعرت أنى والمسرح القومى نكاد نعيش فى عزلة حقيقية عن المجتمع... نتعثر فى
أختيار المسرحيات الأجنبية ... ولا نجد كتابا يقدمون مسرحيات مصرية.

أعتقل فى ذلك الوقت عدد من كتاب المسرح ألفريد فرج وعبد الرحمن الخميسى
وعدد من كبار النقاد مثل الدكتور لويس عوض وأحمد رشدى صالح ومحمود أمين
العالم.

وفصل من وزارة الثقافة نعمان عاشور وحمدى غيث.

وخلال هذه الأوقات الكئيبة التى كنت أعيش فيها بقلب ثقيل ... أتوقع أن
تصلنى حملة الأعتقالات رغم أنى كنت قد أبتعدت تماما عن حدتو كعضو منظم..
وأحرص فيها على النوم ليلا خارج منزلى عند بعض الأقارب مع زوجتى حتى لا
ينزعج الأطفال بطرقات الباب فى آخر الليل.

خلال هذه الأ وقات أتصلت بى السيدة أمينة الصاوى تليفونيا فى المنزل وقالت
لى أن عندها مسرحية أعدتها عن رواية للكاتب على أحمد باكثير باسم (الثائر
الأحمر) ... وطلبت منها أن نلتقى مساء نفس اليوم فى مكتبى بالمسرح القومى.

دخلت السيدة أمينة وهى تحمل دوسيها فى يدها وتقول أ حضرت الرواية معى.

وقلت للسيدة حسنا سوف نعرضها على لجنة القراءة حتى تبدى الرأى فيها...
واذا بالمفاجأة تأخذنى وأنا أسمع صياح السيدة أمينة الصاوى مندفعة إلى الخارج وهى
تردد ب أنها متأكدة من أننى لن أقدم المسرحية وأنها سوف تسلك سبيلا آخر للوصول
إلى خشبة المسرح.

شعرت أن الدماء تندفع إلى رأسى... فالسيدة خرجت مسرعة وهى تواصل
صيحاتها .. وأدركت أن الأمر ليس صدفة... ولكنها محاولة أستفزاز واضحة.

وفى اليوم التالى كنت أجلس فى مكتب الدكتور ثروت عكاشة الذى كان قد
أصبح وزيرا للثقافة بعد الوحدة بين مصر سوريا... وأطلب منه التحقيق مع السيدة

أمينة الصاوى لتصرفها الخارج عن الأصول والتقاليد، خاصة وأنها كانت فى ذلك الوقت موظفة فى وزارة الثقافة.

وعندما سمع الدكتور ثروت عكاشة تفاصيل ما حدث، أصدر أمرا فوريا بأن يقوم الأستاذ عبد المنعم الصاوى بالتحقيق معها... وكان عبد المنعم قد أصبح وكيلا لوزارة الثقافة مكان الدكتور حسين فوزى الذى أستعان به محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام.

تم التحقيق مع السيدة أمينة الصاوى، وصدر حكم أدارى عليها بخصم عدد من الأيام من مرتبها ... وكان الدكتور قد نصحنى بمقابلة المسئولين فى مباحث أمن الدولة لتوضيح الموقف لهم... وذهبت حيث قابلنى الأميرالاى محمود الحمزاوى الذى استدعى القائمقام حسن المصليحى.

... وواجهت الأثنين بقولى أنه من المعروف أن هناك صلة تربط السيدة مع أجهزة الأمن... وأنه لا يجوز أستخدام مثل هذا الأسلوب الأستفزازى.

....

....

طويت صفحة أستفزاز أمينة الصاوى، ولم نقدم مسرحية (الثائر الأحمر) لأن لم تعرض على لجنة القراءة... ولكن فى غمرة الحملة التى أطلقت ضد الشيوعيا بادرت وزارة الثقافة الى عقد مؤتمر فى دار الأوبرا حضره على المنصة الدكتور ثروت عكاشة وعبد المنعم الصاوى وعزيز أباظة.

وهكذا فرضت الخلافات السياسية نفسها على وزارة الثقافة، وأطاحت إلى حين بالهدوء الذى يحتاجه نضج الأعمال الفنية.

وبعد شهور والمسرح القومى يواصل أداء رسالته، فوجئت بصلاح سالم الذى كان قد عين رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير مع مطلع عام ١٩٥٩، يطلبنى فى مكتبه ويقول لى.

ـ رتب نفسك نحن سنسافر إلى موسكو.

أخذتنى المفاجأة وقلت له.

ـ أرجوك بلاش هزار.

وكانت علاقتى بصلاحى سالم قد توطدت بعد خروجه من وزارة الأرشاد... ومقابلتى له فى رأس البر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٧ وكنا نجلس فى كابينته وهو لا يخفى غضبه وضيقه من أنه يحتفل بعيد الثورة وهو جالس وحده فى الكابينة... ودعوته ليلتها لمشاهدة عرض للمسرح القومى كنا نقدمه هناك... وأذكر أن مشاهدته للمسرحية قد خفف من غضبه وضيقه... وأدهشنى أنه لم يشاهد عملا من أعمال هذه الفرقة مطلقا مع أنها كانت تابعة له فى وزارته!!.

وقال صلاح سالم.

ـ أنا مش باهزز ... أحنا حنسافر موسكو.

وقلت لصلاح متسائلا ومظاهر الجد مرتسمة على وجهه.

ـ أخذت أذن جمال عبد الناصر.

وكان رده أن ط لب منى الاتصال بالمستشار الصحفى للسفارة اسوفيتية لاعداد ترتيبات السفر.

وحادثت فاديم سنيلنيكوف المستشار الصحفى الذى حضر إلى مكتبى فى جريدة الجمهورية، وعرضت عليه الاقتراح فلم تكن دهشته أقل من دهشتى عندما سمعت الخبر لأول مرة... وقلت له أننا نطلب مقابلة خروشوف.

وبعد يومين كان سنيلنيكوف يدخل مكتبى وبرنامج الرحلة قد أعد ... وأن علينا تحديد موعد السفر... ودخلت معه مكتب صالح سالم.

وبعد أيام كنا نطير إلى موسكو وسط تساؤلات .. فى وقت كان الزملاء

والأصدقاء فيه مازالوا خلف أسوار المعتقلات.

وصلنا موسكو، وحضرنا عيد الثورة يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٩، وأجرى صلاح سالم حديثا صحفيا مع نيكيتا خروصوف أحدث نشره فى الجمهورية دويا عالميا فقد أنهى مرحلة الشجار والسباب العلنى التى قامت خلال الفترة السابقة.

وعاد الهدوء من جديد للعلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ... وبدأ الأفراج رويدا رويدا عن بعض المعتقلين ... وأتيحت لنعمان عاشور فرصة العمل فى جريدة الجمهورية

واستعاد المسرح القومى حيويته.



••• الفصل الحادى عشر •••

- محاولات للسيطرة على المسرح القومى من كتاب رفضت لجنة القراءة مسرحياتهم.
- الدكتور طه حسين يشاهد مسرحية (زواج فيجاور) فى المسرح القومى ويكتب عنها مقالا فى صحيفة الجمهورية.
- قال لى هيكل أنه فزع من نقد نشرته (الأهرام) عن المسرحية (المومس الفاضلة) لجان بول سارتر.
- كما علمت بإبعادى من مجلة (التحرير) فى الصحف، علمت أيضا بإبعادى من المسرح القومى
- فى فترة الابعاد كتبت كتاب (خمس سنوات فى المسرح) ومجموعة قصص قصيرة باسم (كومبارس).
- بعد خمسة شهور طلب منى الدكتور ثروت عكاشة العودة مدير المؤسسة المسرح!
- مستشار بمجلس الدولة يكشف لى سر ابعادى عن المسرح القومى!

استعاد المسرح القومي حيويته مع عودة الهدوء إلى الحياة السياسية... وواصل الجيل الصاعد من الكتاب انتاجه... ووقفت الفرقة صامدة أمام محاولات هدم القيم الفنية الأصلية التي تربط بين التراث وحضارة العصر. وقامت لجنة القراءة بدور كبير استندت إليه في الدفاع عن كيان المسرح القومي كقلعة ثقافية يجب الدفاع عنها.

وكتان الدكتور ثروت عكاشة تحاشيا للتيار المعادى لليسار قد أصدر قرارا بتشكيل لجنة إشراف على المسرح القومي ضمت كلا من الشاعر عزيز أباظة والدكتور على الراعي وأنور أحمد وأحمد علام وأنا.... وكان واضحا من تشكيلها أننا قد بدأنا مرحلة من تضارب الاختصاصات بين اللجان.

حاولت هذه اللجنة في أول جلسة لها اتخاذ قرار بتقديم مسرحية (أوراق الخريف) للشاعر عزيز أظة.

وعادت بي الذاكرة وقتها إلى الأيام الأولى لتعييني في المسرح القومي واستدعاء الأستاذ يحيى حقي لي للذهاب معا إلى منزل الشاعر عزيز أباظة حيث يريد أن يسمعنا مسرحية كتبها... وكانت الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى قد قدمت له مسرحيات (قيس وليلى)، (العباسية)، (الناصر)، (غروب الاندلس)، شهريار)، هي مسرحيات شعرية تاريخية.

ذهبنا إليه في شقته بعمارة إسماعيل باشا صدقي التي تطل على النيل في نهاية شارع المعهد السويسرى (عزيز أباظه الآن)، ودخلنا غرفة مكتب فاخرة الرياش تطل على النيل ممتدا حتى تكاد تصل بك المياه إلى الأفق... واستقبلنا الشاعر الكبير

بترحاب واضح وكان معه صديقه أنور أحمد الذى قام بتمثيل دور مصطفى كامل فى السينما المصرية ثم استقر به الأمر على شاطئ الفن والأدب.

وبدأ الشاعر عزيز أباظة يقرأ مسرحية (أوراق الخريف) وهى مسرحية عصرية نظمت شعرا كلاسيكيا .. واستمرت القراءة حتى انتهت المسرحية ... وأنا جالس فى صمت لا أستطيع أن أبدى رأيا فأيامى فى المسرح القومى كانت معدودة... وكنت عاكفا وقتها على قراءة كل ما يتصل بتاريخ أو فن المسرح.

وعندما خرجنا ـ الاستاذ يحيى حقى وأنا ـ ودعنا الشاعر عزيز أباظه وأنور أحمد على باب المصعد... وما كاد المصعد يغلق أبواب ويبدأ فى الهبوط، حتى أسمعنى الاستاذ يحيى حقى رأيه بصراحة فى المسرحية ولا أزيد.. فلست فى حل من ذلك.

عادت بى الذكريات .. وأنا أسمع أول طلب للجنة الأشراف... تقديم (أوراق الخريف) لعزيز أباظة والأعتراض على مسرحية (القضية) للأستاذ لطفى الخولى.

المسألة أذن لم تكن أشرافا ... وأنما كانت رغبة فى العودة للسيطرة على المسرح.

وقلت للجنة الأشراف صراحة أننى مع لجنة القراءة ... ولن أقدم مسرحية لا توافق عليها.

وحاول أعضاء اللجنة أن يستندوا إلى القرار الوزارى الذى يعطيهم حق الأشراف... وهنا قالت لهم أرجو ألا ينسينا ذلك أننى المدير المسئول فى النهاية عن نجاح المسرح أو فشله... وأرسلنا خطابا إلى الدكتور ثروت عكاشة وقعه أعضاء لجنة القراءة الدكتور محمد القصاص والدكتور محمد مندور ونبيل الألفى وكاتب هذه السطور... قلنا فيه أن اللجنة قد اختارت مسرحيتى (المحروسة) لسعد الدين وهبه، (القضية) للطفى الخولى... كما اقترحت تقديم (السلطان الحائر) لتوفيق الحكيم، و(قيصر) للشاعر عزيز أباظة ... ولكن لجنة الأشراف أتخذت قرارا بتقديم مسرحية (أوراق الخريف) واستبعاد مسرحية (القضية) ـ دون أبداء أسباب أسباب لهذا الاستبعاد غير المفهوم.

وأوضح الخطاب للوزير حرص لجنة القراءة على تذكيره بأنها سبق أ ن قررت بالإجماع رفض مسرحية (أوراق الخريف) للأسباب الأخلاقية والفنية التى سجلها الأعضاء فى تقاريرهم) مع اصرار لجنة القراءة على رأيها السابق فى رفض هذه المسرحية (الجارحة للشعور الأخلاقى والهابطة من الناحية الفنية الخالصة سواء فى ذلك الناحية الدرامية أو ناحية التعبير اللغوى الذى يجمع بين الوحشية والسوقية فى التعبير الشعرى الذى كتبت به هذه المسرحية).

وانتهى الخطاب بهذه الكلمات (وواضح من قرارات لجنة الاشراف انها الاتفتئت على حقوق لجنة القراءة المستمدة من القرار الوزارى الصادر بتشكيلها وتحديد اختصاصها فحسب بل وتقوم بعملية ارتباك وتخريب لعمل الفرقة لا تستطيع لجنة القراءة السكوت عليه.

عندما عرض الخطاب على الدكتور ثروت عكاشة توقفت أعمال لجنة الأشراف.

ولم تقدم مسرحية (أوراق الخريف) .. كما لم تقدم مسرحية (الثائر الأحمر) من قبل

....

....

وكانت هناك معركة فنية أخرى ... عندما قدم لنا الدكتور رشاد رشدى مسرحية (الفراشة) ورحبت بذلك ... فنحن على وشك أن نكسب كاتبا مسرحيا جديدا، كان رئيسا لقسم اللغة الانجليزية فى كلية أداب القاهرة...

حولت (الفراشة) إلى لجنة القراءة، وكانت قراءتها من نصيب الدكتور محمد مندور والدكتور محمد القصاص والاستاذ فتوح نشاطى ... وكانت المسرحية يقرؤها ثلاثة من أعضاء اللجنة ناقدان ومخرج.

وفوجئت عندما تلقيت تقارير الدكتور محمد مندور والدكور محمد القصاص .. فقد كانت الرفض البات لتقديم المسرحية.

ورأيت أن أعقد جلسة حوار فنى بين الكاتب وأعضاء اللجنة جميعا ... فد عوتهم إلى مكتبى على فنجان من الشاى... وكان بينهم حوار جاد لا تنقصه الصراحة... كان يتصل فى معظمه بالمستوى الفنى والقيم السلوكية.

ولم يقدم المسرح القومى مسرحية الفراشة ... التى قدمها بعد ذلك المسرح الحر... ولكنها لم تحقق لهذه الفرقة المجاهدة نجاحا يصل إلى مستوى النجاح الذى حققته (الناس اللى تحت) لنعمان عاشور .. والذى كان قد بدأ فى تقديم انتاجه للمسرح القومى (الناس اللى فوق) . (سيما أونطه)، (عيلة الدغورى) إلى غير ذلك.

....

....

لم يكن تقديم هذه المسرحيات موقفا مضادا للكاتب ... ولكنه كان موقفا حريص على حماية المسرح القومى من تسرب اعمال ليست ذات قيمة فنية.

وعلى سبيل المثال يكانت هناك مسرحية (قهوة الملوك) ثم مسرحية (القضية) للطفى الخولى وقد رحبنا بيهما ولم تتردد لجنة القراءة فى تقديمها... ولكنه عندما كتب مسرحية اسمها (الارانب) اعترضت اللجنة على فكرتها ومستواها ورفضت تقديمها .. وهو أمر لم يكن يتصل بالكاتب الذى كانت تربطنى به صداقة قديمة... ولكنه أمر يتصل بطبيعة الانتاج.

ولم يكن يعنى ذلك مصادرة للانتاج الفنى... فقد كانت هناك فرقا خاصة لا تقدم المسرحيات الهازلة أو (الفارس) وانما تقدم اعمالا فنية طيبه مثل المسرح الحر وفرقة انصار التمثيل والسينما.

....

....

وفى الجانب الآخر كانت هناك مسرحيات تقدم كتجارب أولى لكتاب جددش .. ولكنها كانت أعمالا مبشرة بظهور كتاب مسرحيين متالقين .. سعد الدين وهبه الذى كان ضابط شرطة ثم انتقل إلى الصحافة وعمل رئيسا لتحرير مجلة (البوليس) وزميلا

فى جريدة الجمهورية .. كتب (المحروسة) فقدمها المسرح القومى ومن بعدها تدفقت أعماله الناجحة بمعدل مسرحية كل عام تقريبا (سكة السلامة)، (وكوبرى الناموس) ... وميخائيل رومان الذى كتب مسرحيته (الدخان) التى حققت نجاحا كبيرا لم يواصله طويلا بعد أن لحق به القدر فى سن مبكره ... والفريد فرج الذى قدم (سقوط فرعون) كمقدمة لعدة مسرحيات ناجحة استوحى معظمها من أحداث التاريخ حتى أصبح مكن كتاب المسرح الثابتين الذين لم تجذبهم هوايات أخرى.

وقد نجح المسرح القومى فى تقديم نجيب محفوظ خلال مسرحة رواياته (بداية ونهاية) (وزقاق المدق) واحسان عبد القدوس (فى بيتنا رجل).

ولم يكن تقديم أبناء الجيل الجديد من كتاب المسرح يعنى موقفا مضادا من الجيل الذى حمل لواء المسرح قبل الثورة ... فقد اعدنا تقديم (مجنون ليلى)، (الست هدى) للشاعر الكبير أ حمد شوقى... وقدمنا مسرحيات (عودة الشباب)، (السلطان الحائر)، (الصفقة) للكاتب الكبير توفيق الحكيم الذى افتتحت الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى موسمها الأول عام ١٩٥٢ بمسرحية أهل الكهف.

وكانت الصفقة هى أول تجربة لتوفيق الحكيم يكتبها بلغة تصلح للقراءة بالفصحى والعامية فى وقت واحد... وقد طعمناها بأشعار صلاح جاهين التى لحنها الشيخ سيد مكاوى فى أول عمل فنى مسرحى يقوم به... وقامت ببطولتها سهير البابلى التى كانت قد انضمت للمسرح القومى عام ١٩٥٧، وأظهرت منذ هذا الدور موهبة وضعتها إلى جانب أمينة رزق وسميحة أيوب وسناء جميل ووصلت بها إلى ما بلغت حاليا عندما أصبحت صاحبة بطولة فردية فى أنجح المسرحيات الكوميدية... وهى التى سبق لها أن لعبت أءوار درامية فى كثير من المسرحيات المترجمة (بيت برناردا البا) للشايعر الاسبانى لوركا، الخال فانيا لتشيكوف.

المسرح إذن لم يقطع تيار الفكر والفن بسكين من العقائد والنظريات والافكار المسبقة... كما حاول بعض المنافقين والمتزلفين لثورة يوليو أن يصبغوا كل شئ قبلها بالسواد دون تقدير أو احترام لنضال الشعب المصرى ومواقف شخصياته القيادية فى

مجالات السياسة والثقافة والفن.

....

....

كان يشجعنا على ذلك موقف ائمة الفكر والأدب فى هذه الفترة.

أذكر أن الدكتور طه حسين قد طلب الحضور لمشاهدة مسرحية (زواج فيجارو) التى كنا نقدمها باسم (زواج الحلاق) والتى كانت تقوم ببطولتها موهبة المسرح المتالقة سناء جميل التى جذبت الانظار والاقلام بشدة منذ ظهرت فى مسرحية (الناس اللى فوق) أمام حسين رياض وفؤاد شفيق... والتى تابعت الصعود حتى استقرت على قمة البطولات المسرحية.

سعدت بمرافقة الدكتور طه حسين وزوجته الفاضلة فى أحدى بناوير دار الاوبرا، وكانت تبدو عليه البهجة والاستمتاع بما يشاهد ... الامر الذى جعله يكتب مقالا فى جريدة الجمهورية عن هذا العمل المسرحى... وهو مالم يقدم عليه فيما مضى.

كلمات ومقالات النقد فى الصحف والاذاعة كانت هى القوة الدافعة لنا على مواصلة العمل بكل ما نملك من جهد.

وصل الاهتمام بالمسرح إى الحد الذى نشر فيه ٣٥ مقالا عن مسرحية واحدة.

لم نكن نحتفى بمقالات الثناء، وإنما كنا نهتم بمقالات النقد التى تكشف بعض العيوب.

....

....

أذكر أن صحيفة الاهرام قد نشرت نقدا حادا لمسرحية (المومس الفاضلة) لجان بول سارتر، والتى قامت ببطولتها نجمة المسرح القومى الموهوبة سميحة ايوب التى وصلت فى عالم الفن إلى قمة البطولات المسرحية التى تسجل فى تاريخ المسرح وكان النقد خارجا عن الموضوعية، بعيدا عن مناقشة القضايا الفنية، منصبا على

التشهير باختيار هذه المسرحية، باعتبار اسمها منافيا للتقاليد والقيم والسائدة. دون تعمق فى معرفة ابعادها الإنسانية.

وذهبت إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام فى مكتبة بالأهرام القديمة وأبديت له أسفى لنشر مثل هذا النقد الذى يسئ دون توجيه... ويشهر دون عائد.

وقال لى هيكل أنه مفرع مما نشر، خاصة وأن كاتبه ليس ناقدا فنيا ... بل كان المحرر العلمى بالاهرام.

....

....

واستطاع المسرح القومى أن يجذب إليه أعداد متزايدة من المشاهدين.

وأستطاع أن يثبت أقدامه بأعتباره أنجح الفرق المسرحية على أمتداد الوطن العربى.

ومع ذلك فوجئت فى ليلة م ليالى شهر أكتوبر ١٩٦١ بخبر يصلنى بأننى قد أقلت من منصبى مديرا للمسرح القومى، وأن المخرج نبيل الألفى عين بدلا منى... وأنا فى مكتبى بجريدة الجمهورية.

كان الخبر. عندى مفاجأة مذهلة.

وأخبار الأبعاد عن المواقع تأتى دائما بصورة مفاجئة... هكذا أصبحت القاعدة.

لم يحدثنى أحد قبل صدور القرار تماما كما حدث عندما أبعدت عن رئاسة تحرير مجلة (التحرير).

وعندما تأكدت من صدق الخبر، كتبت فى عمود يومى كنت أكتبه فى الصفحة الأخيرة من جريدة الجمهورية بعنوان (فى الليل) واوقعة (صباح الخير) كلمة تحية لنبيل الألفى متمنيا له التوفيق فى حمل رسالة المسرح القومى.

صدر الخبر والتعليق فى يوم واحد.

كان الخبر مفاجئا أيضاً لأعضاء المسرح القومى الذين توافدوا على مكتبى بجريدة الجمهورية حتى أصبح مكانا لمقابلاتهم... واختلطت عندهم الأفكار وهم يحاولون البحث عن السبب.

أذكر أننى التقيت مع نبيل الألفى فى النادى الأهلى وعاتبته على أنى قد قدمت له تحية مع تمنيات بالتوفيق فى عمودى اليومى (فى الليل) وأنه لم يكلف خاطره بالاتصال بى وضحكت عندما سمعته يقول (أعمل إيه ... أصل القرار طلع بعد الانفصال ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بأيام)!!

هكذا اختلطت الأمور عند البعض وحاولت أن تنسج أسباباً من الخيال وفى عصر اليوم الذى نشر فيه الخبر زارنى عبد المنعم الصاوى فى منزلى وكان وكيلا لوزارة الثقافة حيث أقسم لى أنه لا صلة له بهذا الموضوع، وأنه لم يكن على علم به.

أخذت الأمور ببساطة شديدة... فما وقع قد وقع... ولست أملك حق المحاسبة لأحد.

....

....

وجدت نفسى مشحونا بعواطف شديدة للسنوات الخمس التى عشتها مديرا للمسرح القومى... ومع ذكرى خشيت أن تضيع مع الأيام.

سافرت إلى الاسكندرية حتى أبتعد عن جو المسرح والقاهرة الذى كان مليئا بالتعليقات والمنافسات التى تظهر دائماً بين أبناء المهنة الواحدة.

وأستعدت ذكرياتى منذ دخلت المسرح فى صحبة الأستاذ يحيى حقى... إلى أن خرجت منه وأنا فى مكتبى بجريدة الجمهورية... وأعدت مادة كتاب أطلقت على اسم (خمس سنوات فى المسرح) ... وكان هو الكتاب السادس... أما الكتاب الخامس فكان مجموعة قصص قصيرة حملت اسم (كومبارس) ونشرتها فى جريدة الجمهورية.

كتب مقدمة الكتاب الدكتور حسين فوزى وقال فيها.

«عندما سلمنى المؤلف نص كتابه، جاءنى (معزولا) عن المسرح القومى الذى أدراره بكفاية ممتازة مدى خمس سنوات.

وعندما أعدت إلى المؤلف نص كتابه، كان أحمد حمروش قد عاد إلى المسرح القومى فى وظيفة أعلى... ولعلك أن تضيف هذا إلى حساب «الصدفة»، وليست من المحرمات على الكاتب التمثيلى، وأن أدرجت فى عداد «المكروه» حتى على كتاب المقدمات!.

وأحمد حمروش الضباط بالتعبئة لم يستطع أن يخفى عنى طويلا هوايته الأدبية، والهواية عنده تتصل اتصالا وثيقا بروحه العلمى، فبينما هو يعمل فى التعبئة، إذ به يصدر مجلة أدبية، سدت فى زمانها فراغا أحس به رجال الفكر بعد اختفاء «الرسالة» و«الثقافة»، وبينما نقوم بعملنا معا فى لجنة التعبئة.. إذا به... يعبئنى للكتابة فى تلك المجلة، «هوليس»، بالحسنى، وفى رقة الصلب المسقى.

هذا هو أحمد حمروش، كما كان أيضا فى إدارته للمسرح القومى. وكتابه يقص عليك بأحسن القصص، ما جرى بالتمام والكمال فى سنى إدارته الحازمة الرقيقة.. كالصلب المسقى، لأول فرقنا التمثيلية، ومعقد آمالنا فى النهوض بالفنون المسرحى»

....

....

ولم تكن تمضى بضعة شهور وبالتحديد فى شهر مارس ١٩٦٣ حتى طلبنى الدكتور ثروت عكاشة لمقابلته فى وزارة الثقافة... وفوجئت به يعرض على العمل مديرا لمؤسسة فنون المسرح والموسيقى التى كانت فنى سبيل التشكيل وذلك فى حضور عبد المنعم الصاوى وكيل الوزارة.

هكذا بعد القرار بالأبعاد عن المسرح القومى منذ خمسة شهور، أعود للعمل مديرا لمؤسسة المسرح.

لم أتردد فى القبول لعدة أسباب منها حبى للمسرح، ورد اعتبارى بعد الأبعاد وأن رئيس المؤسسة سوف يكون الصديق على الراعى، ورشدى صالح عضوا فى مجلس أدارتها.

انتقلت من إدارة المسرح القومى لإدارة جميع المسارح.

وبدأت مسئولية جديدة تختلف فى طبيعتها عن المسئولية القديمة... فهى أكثر أتساعا وشمولا ... وتجمع بين التخطيط والتنفيذ فى مجالات مختلفة ... المسرح والفنون الشعبية والموسيقى والأوبرا والسيرك وغير ذلك مما يمكن أن ينبت خلال العمل.

وأنتهت بقبول العودة للعمل فترة حوار عرض على فيها الدكتور عبد القادر حاتم وزير الآعلام اقتراحا بأن أقبل منصب مدير فرق التليفزيون المسرحية، والذى كان قد بأ التفكير فى أنشائها.

قال لى الدكتور عبد القادر حاتم أننا نريد أن تكون فرق التليفزيون مثل المسرح القومى .. ولكنى ترددت ولم أشأ أن ألعب دورا فى المباراة الخفية اتى كانت تدور بين ثروت وحاتم ... ولم أقبل فكرة أن أكون منافسا للمسرح القومى الذى يضم مجموعة من أعز الاصدقاء، وأعظم الفنانين.

....

....

بدأت العمل مديرا لمؤسسة المسرح فى جو كان يحتاج لجهد هائل... لأنه لم يكن لبناء المؤسسة أى أساس سابق... إذ كان مجلس الإدارة مشكلا من ١٥ عضوا غير متفرغ يرأسهم عبد المنعم الصاوى.

وكان مجلس الإدارة الجديد يضم على الراعى رئيسا ورشدى صالح والمحاسب عبد الخالق ثروت ومستشار مجلس الدولة فى وزارة الثقافة وأحمد سعد الدين الذى كان مديرا لمكتب الدكتور ثروت عكاشة والجميع متفرغون.

وفى اليوم الأول لجلوسى فى مكتب مدير مؤسسة المسرح دخل المكتب السيد المستشار وقال لى أننى أريد أن أصارحك بأمر يثقل صدرى.

وطلبت من السيد المستشار أن يتفضل بالحديث ... وما توقعت أبداً أن أكون الموضوع هو ما تحدث به.

قال أننى أرجو أن تعلم أنه ليس لى علاقة بالتقرير الذى رفعه الدكتور ثروت عكاشة للرئيس جمال عبد الناصر والذى أحصى فيه الأيام التى غبتها عن العمل أثناء ادارتى للمسرح القومى والذى طلب فيه أبعادى عن المسرح.

كان الأمر مفاجئا لى فعلا .. فلم أكن قد عرفت السبب الذى أدى إلى هذا الموقف.

وأكبرت فى السيد المستشار قوله فى وقت مازال يعمل فيه بالوزارة.

كان المستشار فى ضيق حقيقى... يريد أن ينفث عن صدره بعض ما كان يؤرق ضميره.

وهدأت من توتر المستشار بقولى أنه يكفينى أننى عدت برجاء من الذى كتب هذا التقرير.

علمت فيما بعد أن جمال عبد الناصر قد أخذته الدهشة عندما طلب منه ثروت عكاشة أعادتى للعمل مديرا لمؤسسة المسرح بعد شهور فقط من هجومه على وأصراره على أبعادى عن المسرح القومى.

••• الفصل الثانى عشر •••

- سر اختيارى لامال المرصفى سكرتيرا لدار الأوبرا ثم مديرا للمسرح القومى.
- فتحنا مسرح الجيب فى نادى السيارات.
- مشاريع جديدة للمؤسسة ... مسرح الجيب. الفرقة القومية للفنون الشعبية. مركز الفنون الشعبية . مسرح العرائس. المسرح الغنائى. فرق الأقاليم.
- فرقة الاسكندرية المسرحية تقدم مسرحيتان لتوفق الحكيك وماكسين جوركى فى الافتتاح.
- عبد القادر حاتم يضع مؤسسة المسرح تحت إشراف الإذاعة ومؤسسة السينما تحت إشراف الهندسة الإذاعية!!
- توفيق الحكيم يرفض مسايرة الذين حاولوا استغلال اسمه بتشكيل مسرح (الحكيم) لضرب المؤسسة بعد رفض المسرح القومى تقديم مسرحية لطفى الخولى (الارانب).
- كمال الحناوى رئيس مجلس إدارة دار التحرير يستغنى عن خدماتى مع الدكتور محمد مندور ورشدى صالح بدعوى الاقتصار على عمل واحد!

لم أعد اتجه صباح كل يوم بعد أن تركت المسرح القومى إلى ميدان العتبة حيث كان يقع مكتبى فى مسرح الازبكية بعد أن أعتدت ذلك خمس سنوات طويلة... وكثيرا ما كنت أسهو وأنا أقود عربتى الصغيرة ثم أغير طريقى من ميدان الأوبرا إلى جريدة الجمهورية فى شارع عماد الدين خلف سينما كوزمو.

وأخيرا عدت إلى الطريق القديم حيث كانت تقع مؤسسة المسرح فى ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت.

وكانت القضية الأولى التى واجهتها هى الجو الذى بدأ يسود المسرح القومى بعد عودتى للمؤسسة ونتيجة لتصرفات نبيل الألفى خلال شهور ادارته للمسرح.

والتقيت مصادفة مع آمال المرصفى أحد الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان والعضو السابق بقسم الجيش بحدتو والذى أبعد عن الجيش بعد قضية ضباط الفرسان عام ١٩٥٤ ... وكنت أعرف عنه الجد والاستقامة إلى جانب ميوله الفنية والثقافية.

وكان آمال يعمل وقتها موظفا فى الجمعية التعاونية للبترول ... بعد أن بدأ حياته فيها عاملا فى أحد محطات البنزين... وشاهده البكباشى توفيق عبد الفتاح وهو يعبئ عربته وكان مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر ... الذى استنكر أن يتحول ضابط سابق إلى عامل فى محطة بنزين.

وهكذا أصبح آمال المرصفى موظفا فى الجمعية التعاونية للبترول.

وعرضت عليه أن يعمل سكرتيرا لدار الأوبرا مكان محمود النحاس الذى نقل إلى إدارة التبادل الثقافى.

لم يتردد آمال المرصفى فى القبول رغم أن المرتب لم يكن فيه أغراء مطلقا.. ووجد هذا الترشيح موافقة وترحيبا من الدكتور ثروت عكاشة الذى يعرف آمال الذى خرج معه ليلة ٢٣ يوليو ... وهكذا أصبح سكرتيرا عاما لدار الأوبرا.

ولكن العمل لم يدم به طويلا هناك... فقد كان الاجماع قد انعقد بين الوزارة والمؤسسة على تنحية نبيل الألفى من إدارة المسرح القومى، واستبقائه فى مهنته وموهبته مخرجا مسرحيا ... ورشحت آمال المرصفى وتمت الموافقة على تعيينه.

وهكذا اطمأن قلبى لعبور المسرح القومى لازمة تحدثت عنها الصحافة.

....

....

وبدأت مشروعات المؤسسة تنمو كثمار ناضجة فى شجرة يانعة.

المشروع الأول ... كان مسرح الجيب.

كان نادى السيارات وقتها يمر بأزمة مالية طاحنة نتيجة انصراف الاعضاء عنه، لأنه اشتهر بأنه كان المكان الذى يستهوى الملك فاروق لتمضية سهراته فيه بين المجون ولعب القمار ... ولان بعض كلمات النقد التى قيلت فى سهراته من بعض الأعضاء قد دفعت بهم إلى المعتقلات.

وحضر لى سكرتير النادى الضابط السابق أبو بكر مرسى يطلب منى المساعدة فى انقاذ النادى.

كان الطلب غريبا ومثيرا.

أى علاقة تربط بينم مؤسسة المسرح ونادى السيارات؟.

وكيف يمكن انقاذ النادى من الأفلاس وميزانية المؤسسة لا تكاد تكفى نفقاتها المتصاعدة مع مشروعاتها الجديدة؟

وبعد حوار ... لمعت فكرة إمكانية الاستعانة بالدور الأول للنادى كاملا بمبلغ ١٥٠ جنيها شهريا ... وهو الذى يضم حاليا قاعة الطعام والبار والصالون ومكتب الإدارة.

واستعنت بالدكتور على رأفت الذى كان قد أعد ديكورات مكاتب المسرح القومى... وخصصت قاعة الطعام للمسرح الصغير الذى اتسع لمائة كرسى ... وخصصنا مكاتب الإدارة للأستاذ توفيق الحكيم الذى يرأس لجنة ضمت الدكتور على الراعي والدكتور رشاد رشدى والدكتور صقر خفاجة وسعد أردش... ولكنها كانت لا تجتمع منذ شهور.

وعين الفنان سعد أردش مديرا لمسرح الجيب ... وهكذا تحقق الحلم الذى عاد به من بعثته فى إيطاليا.

افتتح مسرح الجيب موسمه بمسرحية (لعبة النهاية) لصمويل بيكيت ثم (الكراسى) ليوجين أونيسكو ... وأثار ظهوره أهتمام المثقفين وجمهور المسرح الذى وجد فى مسرحياته صورة تختلف عما اعتاد مشاهدته فى المسارح الأخرى.

ومن تعاسة الحظ أن مسرح الجيب لم يواصل حياته فى نادى السيارات ... فقد احترق ولم يكتمل من العمر عاما واحدا .... احترق لأسباب لم نعرفها ومازالت مجهولة.

ونقلنا مسرح الجيب إلى مبنى أقيم فى حديقة مجاورة لحديقة الاندلس... وكان بصورة جمالية رائعة... حيث فتحت الستار فيه عن مسرحية لتوفيق الحكيم الطليعية (يا طالع الشجرة).

كم هو متجدد توفيق الحكيم؟

ولكن ... لم يقدر لمسرح الجيب أن يعيش طويلا.

....

....

كانت مشروعات المؤسسة تزدهر فى سرعة ملحوظة.

الفرقة القومية للفنون الشعبية، يديرها الفنان والزميل الصحفى عبد الغنى أبو العنين ... ويضع فيها من لمساته فى الملابس والديكور ما يجعل منها مع تصميم

الخبير السوفيتى رامازين، ورقصات الموهوبين والموهوبات من أعضاء الفرقة حدثا فنيا متألقا ... له مستوى دولى.

مركز الفنون الشعبية الذى رعاه الأعيب والكاتب الصحفى رشدى صالح صاحب أول كتاب فى مصر عن الفنون الشعبية... أصبح بمثابة المتحف والمدرسة معا لتخريج واستيعاب شوق المهتمين بالفنون الشعبية.

مسرح العرائس الذى نبتت فكرته منذ زيارتنا لرومانيا، وأقيم مسرح خاص مجاور لمسرح الأزبكية ... وتولى الكاتب والفنان الصحفى راجى عنايت احتضان المسرح منذ لبنته الأولى حتى ارتفع الستار عن أول أعماله.

وظهر المسرح الغنائى من جديد ... يعيد تقديم أوبريتات سيد درويش (العشرة الطيبة) التى قامت ببطولتها شريفة فاضل ويقدم أوبريتات جديدة مثل (مهر العروسة) لعبد الرحمن الخميسى تحت ادارة الفنان عبد الحليم نويره الذى سيظل اسمه مرتفعا فى عالم الفن بعد أن أنشأ (فرقة الموسيقى العربية).

وشجعت المؤسسة أوركسترا القاهرة السيمفونى حتى أصبح مكتملا وقادرا على أداء الألحان لفرق الأوبرا التى تزور مصر.

واستقبلت القاهرة فرقا جديدة لم تزورها من قبل ... قدمت (البولشوى) عروضها الفنية لأول مرة وظهرت جاليتا أولانوفا ومايابليستسكايا على خشبة مسرح دار الأوبرا.

....

....

وتطلعنا إلى نشر المسرح فى الاقاليم... لم نكتف برحلات المسرح القومى الذى كانت أقدامه قد ترسخت وأصبح له شعبتين يعملان أحيانا فى وقت واحد.

وبدأ التفكير فى أنشاء فرق مسرحية بالأقاليم.

كانت البداية فى الأسكندرية... والمحافظ حمدى عاشور كان مديرا لإدارة الشئون العامة بالقوات المسلحة بعد وجيه أباظة الذى كان قد انتقل للعمل فى الصحافة والاعلانات بدار التحرير ... وهو زميل فى الدفعة ١٣ لكلية أركان الحرب.

نبتت الفكرة في لقاء مع محيى الدين الشاذلى سكرتير هيئة تنشيط السياحة... وأفرد حمدى عاشور ميزانية ٤٠٠٠ جنيه كبداية.

شكلنا للفرقة مجلس إدارة من محيى الدين الشاذلى والاذاعى المعروف حافظ عبد الوهاب مدير اذاعة الاسكندرية ومدير الاستعلامات وشريف اباظة أحد الضباط المهتمين بالفن والأدب ... وكنت مندوب مؤسسة المسرح فى هذا المجلس.

بدأنا فى مسرحيتين دفعة واحدة... (القطر فات) لتوفيق الحكيم واخرجها محمد عبدالعزيز الذى كان قد عاد من بعثته فى فرنسا، (الحضيض) لمكسيم جوركى وأخرجها كمال عيد المتخرج فى ايطاليا.

وكان الافتتاح يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٣ من الايام الحافلة فى مدينة الاسكندرية اذا دعا المحافظ حمدى عاشور ٦٠ فنانا وأديبا وصحفيا لمشاهدة المسرحيتين واستحقت الفرقة من النقاد هذه المقالات الكثيرة التى أفردت لها باعتبارها أول فرقة من فرق المحافظات فى مصر تحت رعاية الدولة.

ويذكر أن هذه الفرقة الناجحة قد فرخت عددا من الفنانات والفنانين لمعوا بعد ذلك فى عالم المسرح ومنهم الكوميدى وحيد سيف ... واذكر أيضا أنها قدمت مسرحية (الخبر) للزميل صلاح حافظ بصورة أفضل مما قدمت بها فى المسرح القومى بالقاهرة.

وتنافست المحافظات على انشاء الفرق المسرحية... وأسهمت المؤسسة فى تكوين فرق مسرحية فى السويس التى رعاها محافظها شعراوى جمعه وأُعد لها برنامجا ثقافيا أرسلنا فيه الدكتور محمد مندو والدكتور لويس عوض وسعد لبيب وسامى داود ورشدى صالح وسعد الدين وهبه وفتوح نشاطى وسعد أردش وغيرهم.

واكتملت خلال واحد ٦ فرق مسرحية فى طنطا وبنى سويف ودمياط والدقهلية.

ووصل الفن المسرحى خلال مؤسسة المسرح إلى أنحاء القطر... وتعرف الناس على إنتاج كبار الأدباء العرب... وأنتشرت الثقافة.

أنتعش العمل فى مؤسسة المسرح والموسيقى ... وواصلت الأعمال الدرامية نجاحها فى المسرح القومى حيث ظهرت (الفرافير) ليوسف أدريس... وظهر على سالم كاتبا مبشرا لينضم إلى قافلة كتاب المسرح.

....

....

ولكن.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

حدث تعديل وزارى وخرج الدكتور ثروت عكاشة من وزارة الثقافة وعين رئيسا لمجس إدارة البنك الأهلى... وأصبح الدكتور عبد القادر حاتم.وزيرا للثقافة والأعلام.

وكان تجميع الوزارات ثم انفراطها ظاهرة من الظواهر التى تظهر نقصا فى التخطيط، ومداواة للقضايا الموضوعية بحلول شخصية... الأمر الذى ينعكس انعكاسا سلبيا على طبيعة العمل.

لم تكن العلاقة بين الدكتور ثروت عكاشة والدكتور بعد القادر حاتم على ما يرام ... فلكل منهما مواصفات وتوجهات خاصة... كانت تؤدى إلى التنافر الصامت.

الدكتور ثروت عكاشة ضابط من الضباط الاحرار ... أسهم بدور بارز ليلة ٢٣ يوليو ودخل ميدان الاعلام والثقافة مبكرا، عندما خلفنى فى رئاسة تحرير مجل (التحرير) فى نهاية عام ١٩٥٢، وأسهم بدور بارز فى خلق وأنشاء المشاريع التى قامت عليها وزارة الثقافة.

والدكتور عبد القادر حاتم لم تكن له صلة بالضباط الاحرار ... بدأ حياته بعد الجيش فى هيئة الاستعلامات، وواصل عمله فيها بكفاءة ملحوظة، ثم حمل عبء انشاء التليفزيون وتوسيع مجال الاذاعة ... الامر الذى جعل توجهه وتفكيره اعلاميا أكثر منه ثقافيا.

وعندما عين عبد القادر حاتم وزيرا للأعلام والثقافة تصرف كما لو أن الثقافة كانت فريسة وقعت في شباكه.

نشرت جريدة الاهرام خبرا بأن هناك مشروعا مقدما لمجلس الوزراء بحل مؤسسة المسرح وضمها إلى هيئة الاذاعة... وتحول هذا الخبر إلى فتيل مشتعل فجر حملة في الصحا فة ضد هذا الاتجاه... وأنبرت جميع الجرائد والمجلات بلا استثناء عدا مجلة (الإذاعة والتليفزيون) تدافع عن ضرورة بقاء مؤسسة المسرح حماية للثقافة من العبث... ومحافظة على منبر نبت في عهد الثورة ... وسيرا وراء تحقيق نهضة صحيحه لفن المسرح الذى بدأ يتألق.

وتراجع الدكتور حاتم فيما يبدو عن تقديم مشروع القرار ... واستبدله بقرارات وزاوية تنظيمية وضعت مؤسسة المسرح تحت أشراف محمد أمين حماد مدير هيئة الاذاعة، ومؤسسة السينما تحت أشراف صلاح عامر المسئول عن الهندسة الإذاعية.

وكان الأمر مثيرا للأعصاب... فلم تكن هناك علاقة بين أسلوب العمل في الإئاعة الذى يلهث وراء الأخبار ... وأسلوب العمل في الثقافة الذى ينضج العمل في هدوء.

واستطاع محمد أمين حماد بلباقته وطبيعته الادارية المتميزة أن يسير الأمور إلى حين.

....

....

ولكن القضية كانت أكبر من الأشخاص

كان الدكتور عبد القادر حاتم ينجذب إلى الأعمال الدعائية وأضوائها .

عندما أنشا فرق التليفزيون وأوكل إدارتها للفنان الكبير سيد بدير لم يحرص على أن تكون في مستوى ثقافي يرقى بأذهان الجماهير ... وأنما تركها لتقدم مسرحيات كانت أقليتها جيدة وأكثر يتها تافهة... كي تعرض لمدة ١٥ يوما فقط تصور خلالها بالتليفزيون دون نظ ر للتكاليف المادية.

ولذا لم تثمر فرق التليفزيون فنا متألقا ، ولم تضرب جذورها فى أرض ثقافية، رغم أنها ضمت عددا من الفنانين الموهوبين الذين تألقوا ... وأنتهت هذه الفرق إلى زوال نتيجة الأخطاء الفنية والمادية وفقدان الاتجاه.

حرصنا خلال هذه الفترة المضطربة على أن نواجه الانواء فى صبر وشجاعة ... ،أن ندافع عن المشاريع التى أقمناها ... وأن نواصل العمل على تحقيق طموحاتنا.

ولم يمزق الضيق أعصابنا وقرارات مجلس إدارة المؤسسة يتأخر التصديق عليها فى الوزارة أسابيع ... بل شهور.

اذكر أن مجلس إءارة المؤسسة قد اتخذ ثمانية قرارات فى جلسة ١٧ مارس ١٩٦٤ رفضت جميعها عدا القرار الأول... والذى كان خاصا باعتماد محضر الجلسة السابقة!

ماذا رفض الوزير؟

انشاء فرقة خاصة للكورال تديرها السيدة رتيبة الحفنى مستشارة الأوبرا حاليا... لتغطى احتياجات الأوبرا واحتياجات المسرح الغنائى، وتوفر للدولة مبالغ تصرف على كورال موزع فى أكثر من فرقة يمضى معظم وقته بلا عمل.

أنشا مقر للمؤسسة بالاسكندرية.

اقرار لائحة وكادر العاملين بفرق الفنون الشعبية.

سبق للدكتو ر عبد القادر حاتم أن حاول شق مؤسسة المسرح عندما جمع بعض الذين رفضت لجنة القراءة تقديم مسرحياتهم ... مثل رشاد رشدى ولطفى الخولى لاقامة مشروع يستغل به اسم الكاتب الكبير توفيق الحكيم يصادم به مؤسسة المسرح... وهو ما سمى باسم مسرح الحكيم والذى قيل أنه أنشئ من أجل تقديم (الانفع والرفع).

ولم يكن هذا الانفع والارفع سوى مسرحية (الارانب) للطفى الخولى ومسرحية أخرى لرشاد رشدى... لم يحققا مع الأسف نجاحا.

ولم يقبل الاستاذ توفيق الحكيم مسايرة هؤلاء الذى اختفوا وراء اسمه فى محاولة للصدام مع مؤسسة المسرح ... فاعلن خلال اجتماع فى مكتب الدكتور عبد القادر حاتم حضره عدد كبير من المسئولين والمثقفين.

- أننا نريد أن نطمئن إلى مستقبل مؤسسة المسرح ... فما هو الرأى بالنسب لها؟

ولم يتلق الحاضرون من الدكتور عبد القادر حاتم ردا صريحا.

وخرج توفيق الحكيم يردد والقلق فى عينيه أن مستقبل المؤسسة غامض وغير واضح.

....

....

ووصلت الأمور إلى غايتها.

وشعرت بالأسف لأننى أصبحت معلقا ومرتبطا بهذا الجو رغم ارادتى.

وكان كمال الحناوى قد وصل إلى منصب رئيس مجلس إدارة دار التحرير ... وأرسل خطابات بالاستغناء عن خدمات الدكتور محمد مندور واحمد رشدى صالح وكاتب هذه السطور تنفيذا لقانون صدر بتحديد عمل واحد للشخص الواحد.

عندما صدر القرار شعرت بأسف لأنه صدر من زميل لم يحاول أن يستشيرنى قبل صدوره ... ومع ذلك فقد كان الطموح كبيرا وقت صدوره لبناء قاعدة ثقافية جديدة فى مصر... وآثرت قبول الأمر الواقع رغم أن مرتبى فى المؤسسة كان أقل كثيرا من مرتبى فى الصحافة.

ولكن تبددت الأحلام ... وتحولت إلى معارك صدامية.

كل المشاريع تختنق فى عنق الزجاجة.

وأثناء عرض الميرانية على مجلس الأمة، ضمت ميزانية المؤسسة هيئة الاذاعة وتكون منها تشكيل جديد تحت اسم (هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى)!!

صدر قرار جمهورى بذلك، دون أن يصدر قرار جمهورى خاص ينهى أعمال المؤسسة.

كان ذلك مع الميزانية التى يبدأ تنفيذها مع أول يوليو ١٩٦٤.

وتحولت المؤسسة إلى إدارة للمسرح تابعة لهيئة الإذاعة.

ولم يكن ممكنا أن تمضى الأمور طويلا فى هذا الطريق.



●●● الفصل الثالث عشر ●●●

● أحمد فؤاد يبلغنى دعوة من جمال عبد الناصر بالعودة إلى العمل السياسى مسئولاً معه عن تشكيل أحد فروع الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى إلى جانب عملى مديراً لمؤسسة المسرح.

● أحمد بن بيلا يزور بعثة المسرح وعبد الحليم حافظ فى فندق سان جورج بالجزائر يوم الاحتفال بالعيد الأول للاستقلال.

● لقاء مع عبد الحكيم عامر وحوار معه حول (طليعة الاشتراكيين).

● جمال عبد الناصر يطلب السعى لضم التنظيمات الشيوعية إلى طليعة الاشتراكيين .. وقصة المباحثات التى دارت.

● قصة وأسرار حل المنظمات الشيوعية لنفسها لأول مرة فى التاريخ تلبية لدعوة الوحدة الوطنية...

● العمل مع شعراوى جمعة فى الأمانة العامة لطليعة الاشتراكيين بعد تنظيمها الجديد.

● جمال عبد الناصر يعيدنى للعمل فى الصحافة رئيساً لتحرير روز اليوسف بعد توتر العلاقات مع وزير الثقافة د. عبد القادر حاتم.

فجأة... عدت أمارس دوراً سياسياً مباشراً... بعد انقطاع فرضته على ظروف الاعتقال المبكر فى يناير ١٩٥٣ ... وامتناعى عن المشاركة فى نشاط (حدتو) نتيجة المراقبة التى كانت تحول دون أى عمل سرى واقتناعى أيضاً بسلامة الخطوات الوطنية والاجتماعية التى تقوم بها قيادة الثورة...

حضر لى أحمد فؤاد الذى كانت صلته طيبة ومستمرة مع جمال عبدالناصر، وأبلغنى خلال شهر مايو ١٩٦٣ بأن جمال عبدالناصر ينوى تشكيل حزب سرى هو تجسيد لما ورد فى الميثاق الذى صدر فى مايو ١٩٦٢ ونص على وجود جهاز سياسى للاتحاد الاشتراكى العربى... وأنه يطلب منى الانضمام إليه لنتعاون معاً على إنشاء حزب ثورى..

وكان الميثاق قد نص على (أن الحاجة ماسة إلى خلق جهاز سياسى داخل إطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتايجاتها ويساعد على إيجاد الحلول الصحيحة).

لم أتردد فى قبول هذا التكليف فقد كانت الرغبة التى لازمتنى منذ الصغر فى مباشرة العمل السياسى مازالت متوهجة فى صدرى ولم أشعر أنى قد بعدت عن السياسة رغم ابتعادى عن الارتباط بأى تنظيم، وبدأت العمل مع أحمد فؤاد بعد لقاء مع جمال عبدالناصر أوضح فيه رغبته فى أن يكون الحزب اشتراكياً حديدياً فى تنظيمه ثورياً فى حركته نقياً فى طهارة أعضائه... وأن يلتزم بالسرية، حتى لا يكون مجالاً لتسرب المنافقين والانتهازيين.

أى تغيير حدث فى مصر... منذ ١١ عاماً تقريباً كنا نناضل من أجل التحرر الوطنى والاشتراكية فى تنظيمات سرية واليوم تدعونا الدولة لبناء تنظيم اشتراكى... فى وقت مازال فيه بعض المناضلين الاشتراكيين فى السجون والمعتقلات.

تناقضات ولكنها كانت إيجابية فى المسار العام للحركة الوطنية.

وعلمنا أن جمال عبدالناصر قد اتصل بشخصيات أخرى محدودة لتشكيل فروع مختلفة تنتهى فى قمتها عنده شخصياً.

الظاهرة التى وقفنا عندها أنه لم يتصل بأحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين لتكوين فرع من فروع طليعة الاشتراكيين..

والاجتماع الأول الذى ضم رؤساء الفروع جمع بين جمال عبدالناصر وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل وأحمد فؤاد وسامى شرف سكرتيراً للجلسة.

وعندما استفسر أحمد فؤاد بعد ذلك من جمال عبدالناصر عن مدى التجانس بين أفراد هذه المجموعة، قال له: أن على صبرى ومحمد حسنين هيكل هما أكثر الأفراد تأثراً وأنهما رغم أصولهما الفكرية البعيدة عن الاشتراكية إلا أنهما يعبران مرحلة من مراحل التحول الفكرى إلى الاقتناع بها.

....

....

كانت الخطوة الأولى التى قمنا بها هى اتفاقنا على تشكيل قيادة ثلاثية ضمت أحمد فؤاد والدكتور عبدالمعبود الجبيلى رئيس هيئة الطاقة الذرية فى ذلك الوقت والمناضل اليسارى القديم وأنا.

وكان مجال التجنيد لنا واسعاً من الأصدقاء والزملاء اليساريين الذين فتحت لهم أبواب المعتقلات على دفعات... ومن الشخصيات الوطنية التى تعرفنا بها خلال سنوات العمل فى المجال المدنى بعد الثورة.

أعـادنى هذا التكليف إلى سنوات خلت مع مطلع الشبـاب... وكنت اليـوم قـد جاوزت الأربعين...

أتعود دورات الحياة من جديد أم أن الصفحات التى تطوى لا تعود؟

وحملت المسئولية معى لتفكير هادئ خلال رحلة قمت بها بعد أسابيع قليلة من بدء عملنا فى هذا الفرع من فروع التنظيم الذى أطلق عليه اسم (طليعة الاشتراكيين).

كـانت الرحلة إلى الجـزائر فى أول يوليـو ١٩٦٣ والمناسبـة هى المشـاركـة فى الاحتفال بالعيد الأول لاستقلال الجزائر.

كلفت برئاسـة بعثـة فنيـة كـبيرة من ٤٥٠ فناناً وفنانة ضمت المسرح القومى والفرقة القومية للفنون الشعبية، وإحدى فرق التليفزيون المسرحية، وموسيقات الجيش العسكرية... وخصصت لنا المركب (الجزائر) التى امتلأت على سعتها بأعضاء البعثة وتحركت من الإسكندرية.

والتقى مع البعثة فى الجزائر عدد من المطربين والمطربات أذكر منهم عبدالحليم حـافظ ونجاة الصغيرة. واشترك فى احتفالات العيد الأول للجزائر أيضاً المشير عبدالحكيم عامر.

عاشت الجزائر مهرجاناً فنياً عربياً لم تشهده من قبل... وأمضيت أسبوعين فى فندق سان چورچ بالجزائر العاصمة أتابع حركة الفرق والفنانين فى مختلف المدن الجزائرية... وقد حضر خلال هذه المدة أحمد بن بلا لمقابلة الفنانين... وكان يحركه إعجاب خاص بعبدالحليم حافظ.

خلال المدة التى أمضيتها فى الجزائر فكرت كثيراً فى المسئولية السياسية الجديدة التى أشارك فى حملها... وعدت إلى القاهرة أحمل أفكاراً جديدة.

....

....

بدأنا التجنيد لفرعنا فى طليعة الاشتراكيين.

فارق شاسع بين التجنيد لتنظيم سرى مقاوم للنظام والسلطة والتجنيد لتنظيم والتجنيد لتنظيم تابع للسلطة.

لمسنا إقبالاً طيباً من بعض الذين أغلقت عليهم أبواب المعتقلات مع مطلع عام ١٩٥٩.. وانضم إلينا بعض الذين كانوا ينتمون إلى تنظيمات شيوعية مختلفة.. كما انضم أيضاً عدد كبير من المثقفين الذين لم يكونوا منتمين إلى تنظيمات سابقة.

ولم يقتصر تجنيدنا على القاهرة... بل امتد إلى الإسكندرية والمحافظات والأقاليم أيضاً.

كان الفرع ينمو فى سرعة ملحوظة... ويضم أعداداً متزايدة... وكنا نرفع قائمة بأسماء المرشحين للموافقة على ضمهم قبل أن نبلغهم... وذلك حرصاً على عدم ضم عناصر متصلة بأجهزة الأمن ضماناً لسرية التنظيم... أو موضع شبهه فى الاتصالات الداخلية أو الخارجية.

وخلال عدة أسابيع كان فرعنا يضم حوالى ٢٥٠ شخصاً من الشخصيات المعروفة فى عالم الفكر والأدب والسياسة، والتى تصلح كوادر قيادية مؤثرة فى مجال العمل أو السكن.

فوجئنا بأن جمال عبدالناصر يطلب منا مقابلة المشير عبدالحكيم عامر دون أن يحدد لنا السبب أو الغرض من المقابلة.

ولم نجد تفسيراً لذلك إلا أن يكون رغبة من جمال عبدالناصر فى إبلاغ المشير بأن القوات المسلحة ليست هى الوحيدة فى ساحة العمل السياسى... أو أنه أراد أن يضعف الحساسية فى نفسه من ناحية اليسار عن طريق اتصاله بنا ونحن نرتبط معه بعلاقات سابقة.

ذهبنا إلى المشير فى منزله داخل ثكنات الحلمية... وقابلنا مرحباً كعادته.

دار حوار حول طبيعة التنظيم... وأسماء المنتمين إليه... وأسلوب العمل... وأماكن الاجتماع.

وفوجئت به يقول عندما علم أن معظم جلسات التنظيم فى بداية تكوينه كانت تتم فى منزلى ١٧ شارع حسن باشا عاصم بالزمالك، والذى يواجه الفيلا التى يسكنها الدكتور محمد ابدالقادر حاتم.. فوجئت به يقول بأن زوجتى لابد وأن تكون مرهقة بهذه الاجتماعات وأنه لابد من تخصيص شقة للعمل.

أبديت دهشتى للمشير عامر من هذا التفكير.. ولكنه أصر على أن يكون لنا مقر خاص... وطلب منى المرور على الصاغ على شفيق بعد أن اتصل به تليفونياً.

وخصصت لنا فعلا شقة واسعة عن طريق إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة تقع أمام السفارة الأمريكية فى عمارة (إيزيس).. ولكنى رفضت استخدامها للاجتماعات حرصاً على السرية من ناحية، وتحاشياً لما يمكن أن يدور حولها من تساؤلات، فظلت مغلقة عدة شهور، ثم سلمتها من جديد إلى إدارة الشئون العامة.

....

....

وبعد ذلك طلب جمال عبدالناصر أن نتصل رسمياً بقيادة التنظيمات الشيوعية لعقد حوار معها من أجل الوحدة فى تنظيم واحد... وقد بدأنا الاتصال فوراً بالتنظيمين الرئيسيين (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) و(الحزب الشيوعى المصرى)، وكان الإفراج قد تم عن كافة المعتقلين الذين أمضوا فى المعتقل سنوات طويلة، الأمر الذى أدى إلى عدم اجتماع اللجنة المركزية لحدتو كاملة من ديسمبر ١٩٥٢ إلى مايو ١٩٦٤ لوجود أكثر من نصفها داخل السجون.

مثل (حدتو) فى هذه المقابلات أحمد رفاعى المحامى وزكى مراد المحامى وفؤاد حبشى وتمت موافقتهم على الانضمام إلى طليعة الاشتراكيين، وأعدت لذلك خريطة كاملة بأعضاء حدتو وتسكينهم مع أعضاء فرعنا فى أماكنهم التى يعملون بها فى القاهرة والإسكندرية والأقاليم...

كما جرت عدة لقاءات مع الدكتور فؤاد مرسى السكرتير العام للحزب الشيوعى لم تنته إلى قرار واضح رغم موافقته على التعاون من ناحية المبدأ.

وعندما حمل أحمد فؤاد الخريطة التى تحمل أسماء فرعنا مضافاً إليهم أعضاء حدتو أخذت الحاضرين (جمال عبدالناصر وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف) الدهشة من سرعة التنفيذ.

ووضع الاقتراح الذى تقدم به جمال عبدالناصر شخصياً مع الخريطة التى أعددناها والاقتراحات التى حملها أحمد فؤاد على الرف نهائياً.

كانت هذه هى المرة الأخيرة التى يشير فيها إلى موافقته على دخول التنظيمات الشيوعية بصورة جماعية فى إطار طليعة الاشتراكيين دون قيد ولا شرط... وإن كانت عملية دخولهم كأفراد قد استمرت بعد ذلك.

لم يفعل جمال عبدالناصر مثل فيديل كاسترو... ولم يربط جهازه السياسى بتنظيمات الشيوعيين.

ورغم أن الاقتراح قد صدر منه شخصياً إلا أن رؤيته للظروف التى أحاطت به، جعلته يتراجع عن قراره... ومضت فرصة استيعاب مئات من الكادرات السياسيين المؤمنين بالاشتراكية ليعملوا ويتفاعلوا تحت قيادة عبدالناصر التى كانت تكتسب حب الجماهير وثقتهم.

كانت بذور الشك والخوف مازالت موجودة فى قلب النظام من إندماج الأحزاب الشيوعية فى الاتحاد الاشتراكى كوحدات تنظيمية.

وقد أدى دخول بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية إلى طليعة الاشتراكيين ومنع البعض الآخر أو التلكؤ فى قبوله، إلى حدوث خلافات فى وجهات النظر، وقيام مناقشات على نطاق واسع، وانتهت إلى حدث تاريخى لم يحدث فى أية دولة من قبل... إذ اتخذ التنظيمان الشيوعيان الكبيران قراراً بحل التنظيم من وجهات نظر مختلفة.

وهذه صورة من نص بعض الوثائق التى تسجل هذا الحدث.

فى الرابع عشر من مارس ١٩٦٥ اجتمع الكادر القيادى للحزب الشيوعى المصرى (حدتو) وممثلو مناطقه المختلفة، وتم فى هذا الاجتماع الموسع الموافقة الجماعية على القرار التالى:

قرر المؤتمر بالإجماع انتخاب الزميل محمد كمال عبدالحليم مسئولاً سياسياً كما استنكر المؤتمر مقالاً كتبه أحمد حمروش تحت عنوان (كلمات لا تنقصها الصراحة) بالعدد الصادر فى أول مارس من مجلة روز اليوسف..

وكنت قد تعرضت فى هذا المقال لقضية التعامل مع الشيوعيين معلقاً على حديث لجمال عبد الناصر فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى قال فيه (إن عدداً من الشيوعيين يمكن أن ينصلح حالهم، وأن يفسح لهم المجتمع أساس الميثاق)... وكنت قد قلت فى هذا المقال:

"هؤلاء الذين يتخلون عن تنظيماتهم السابقة ويحلونها حلاً نهائياً يجدون فى الميثاق هادياً ومرشداً... والذين يؤمنون بجمال عبدالناصر زعيماً وقائداً... لا يمكن جرهم من أعناقهم، وتوجيه الاتهام بالشيوعية إليهم.

الذين يوجهون إليهم هذه الاتهامات، يثيرون خلافات وهمية، ويفتعلون معركة غير قائمة... لأن الإنسان لا يمكن أن يعتبر شيوعياً، إلا إذا كان له ولاء لتنظيم معين خاص».

«ولكن... ما هو الموقف من الشيوعيين الذين يتجمعون فى تنظيمات خاصة؟

هؤلاء... فى هذه المرحلة التاريخية التى نمر بها، وفى الظروف الثورية التى نعيشها، وفى طريق الانتصارات الاشتراكية التى تحققها قيادة جمال عبدالناصر.. يرتكبون خطيئة وطنية.

أنهم يدمغون أنفسهم بالجمود الفكرى، والتيبس العقلى، والبعد عن واقع الحياة.

هؤلاء الذين يدينون بالولاء لأى تنظيم شيوعى... موقفهم كما قال جمال عبدالناصر فى يد الدولة «لن تسكت ولن تقبل».

أنهم بهذا الموقف المتخلف، يفتحون ثغرة، لدعاة الانقسام الوطني.. ويخربون الشعار العظيم الذى رفعه الرئيس جمال عبدالناصر، عندما دعا إلى «وحدة الاشتراكيين فى مواجهة الاستعمار والرجعية».

كنت أكتب من موقع الحرص على الإندماج وعدم تردى الأمور إلى درجة التصادم... وأخذ حديثى على أنه نوع من التهديد... وهو أمر لم أكن أملكه... ولم يدر بخلدى... ولكنى أعلنت رأيا كان فيه حرصى على الوحدة الوطنية.

ثم أعلن المسئول المنتخب للمجتمعين قراراً (بإنهاء الشكل الجديد للحزب المستقل) معلناً أن هذا الاجتماع قد حقق بالإجماع توحيد حزبهم فى حزب ثورى واحد (هو الذى يقوده القائد الوطنى والبطل الاشتراكى جمال عبدالناصر).

وأرسل له برقية جاء فيها:

«السيد/ الرئيس جمال عبدالناصر قائد الثورة ورئيس الجمهورية أن أجمل ما نقدمه لك فى هذه المناسبة التاريخية أن مندوبى الحزب الشيوعى المصرى «حدتو» فى اجتماعهم الذى عقدوه اليوم قد قرروا فيه إنهاء تنظيمهم المستقل أيمانا منهم بما تدعون إليه من وحدة القوى الاشتراكية فى تنظيم سياسى واحد للثورة وبأن هذا الحزب الواحد للثورة وبقيادتكم هو البديل للتنظيم المستقل وهم على الرغم من أنهم معزولون عن العمل السياسى وليس لهم الحق الانتخاب يرسلون إليك أصواتهم وينتخبونك بالإجماع رئيساً للجمهورية وقائداً للثورة وقائداً لحزبها السياسى الواحد المناضل.

عنهم

محمد كمال عبد الحليم

أما الحزب الشيوعى المصرى فقد اجتمع فى أبريل ١٩٦٥ وأصدر بالإجماع قراراً ينص على (إنهاء الشكل المستقل للحزب الشيوعى المصرى ويكلف كافة أعضائه بالتقدم كأفراد - لطلب عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى والنضال من أجل تكوين حزب اشتراكى واحد يضم كل القوى الثورية فى بلادنا.

وسواء صحت وجهة نظر التنظيمين الكبيرين فى قرار الحل أم أخطأت فإن ما تم كان دليلاً على توفر حد كبير من الثقة فى قيادة جمال عبدالناصر ودوره فى توجيه عملية التحول الاجتماعى.. ودليلاً أيضاً على مرونة الفكر الماركسى فى مجابهة المواقف المختلفة.

كان صعباً من الوجهة العملية أن تجد التنظيمات الشيوعية فرصة عمل تؤدى فيها دوراً بعيداً عن قيادة عبدالناصر فى هذه المرحلة التى كانت يتحرك كل شىء فيها نحو التطبيق الاشتراكى، وكان اختياراً قاسياً لها أن ترفض فرصة الاندماج فى التنظيم الرسمى، والعلنى الوحيد حيث تتاح فرصة عمل أكبر وسط الجماهير بطريقة قانونية.

....

....

ولكن الظروف فى ذاك الوقت كانت تبشر بتغييرات اجتماعية حقيقية، أما طليعة الاشتراكيين فقد انتقلت من نظام الفروع الذى يتشعب تحت عدد محدود من المسئولين والذى تتنافر طبيعة أعضاء كل فرع مع زيادة التجنيد... فرق بين الذين جندهم على صبرى من الوزراء والمحافظين والسفراء وغيرهم من كبار الموظفين... وبين الذين جندهم فرعنا من الكتّاب والمثقفين والشباب والمناضلين السابقين.

ليس هذا فقط... بل أن بعض الفروع كانت تنمو بصورة واضحة... والبعض توقف عند عدد محدود.

وتقرر أن تأخذ طليعة الاشتراكيين شكلاً تنظيمياً حزبياً.

وعهد جمال عبدالناصر إلى إلى شعراوى جمعة أحد الوزراء الثلاثة للوحدة مع العراق (مع كمال الحناوى وعلى السيد على) ... عهد إليه بمسئولية الأمانة العامة وحدد معه أعضاؤها.

ويقول أحمد كامل أحد الضباط الأحرار وأمين الشباب ورئيس المخابرات العامة فيما بعد أنه شاهد تأشيرة جمال عبدالناصر وكان يعمل فى الرئاسة بعد عودته من الرباط ومدريد حيث كان ملحقاً عسكرياً.

يقول أحمد كامل أن جمال عبد الناصر قد حدد شعراوى جمعة أميناً عاماً للأمانة وأحمد كامل للعمل السياسى ومحمد المصرى لشئون التنظيم، وكاتب هذه السطور للتثقيف.

تشكلت أول أمانةج لطليعة الاشتراكيين من شعراوى جمعة وعبدالمجيدشديد والدكتور حسين كامل بهاء الدين وأمين عز الدين وأحمد شهيب ومحمد المصرى وأحمد كامل والدكتور عبدالمعبود الجبيلى ويوسف غزولى ومحمد عروق وكاتب هذه السطور وانضم إليها بعد عدة شهور محمود أمين العالم (٦ ضباط، ٦ مدنيين) وكانت تعمل فى فيللا رقم ٦٢ بشارع الخليفة المأمون قريباً من منزل جمال عبدالناصر.

تولت الأمانة العامة مسئولية توحيد الفروع وتنظيمياً على أساس جغرافى أو مهنى...

أكبر ما صدمنا به خلال هذه المرحلة هو الإصرار على إبقاء العناصر التى كان معروفاً لأغلبيتنا مسبقاً أنها ليست اشتراكية وليست قادرة على النضال، أو مهيأة لأى نوع من أنواع التضحية.

بيروقراطية المناصب لعبت دوراً رئيسياً فى عدم إعطاء التنظيم فعاليته المطلوبة، وتركته تحت سيطرة الأسماء المعروفة، وظهر منذ البداية صعوبة تحويله إلى تنظيم يستطيع أن يسهم بدور إيجابى فى عملية التحول الاجتماعى.

الظاهرة المميزة لتكوين الأمانة هى عدم وجود حساسية عند أغلبية أعضائها مع الماركسية كنظرية اجتماعية، وتواجد عدد من اليساريين فيها.

....

....

وانعكس ذلك أيضاً على تكوين لجنة القاهرة الرئيسية لطليعة الاشتراكيين التى شكلت بقيادة على صبرى وعضوية الضباط السابقين أحمد كامل وحلمى السعيد وشعراوى جمعة وسعد زايد ومحمد فائق وسامى شرف والدكاترة عزت سلامة ولبيب شقير وإبراهيم الشربينى ثم أحمد فؤاد وأحمد بهاء الدين وممثلى العمال أحمد فهيم وفتحى فودة (٦ ضباط، و٧ مدنيين).

الملاحظ أيضاً زيادة نسبة عدد المدنيين وظهور أسماء جديدة فى قمة العمل السياسى.. مع اختفاء أصحاب المناصب القيادية فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العلنية... ودخول عدد من التقدميين اليساريين لصفوف هذه التنظيمات بلا حساب.

بعض العناصر من قيادات الاتحاد الاشتراكى دخلت طليعة الاشتراكيين ولكنها لم تكن فى القيادة المركزية.

طليعة الاشتراكيين تعمل سراً فى مقرها بسراى الأمير سعيد طوسون بالزمالك (مقر منظمة الشباب فيما بعد)... ثم فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة، وتصدر نشرات دورية وتكون لجاناً للمحافظات.كان النشاط الشديد هو طابع عمل الأمانة فى ذلك الوقت... تقارير سياسية يومية ترفع إلى جمال عبدالناصر وتعود بتأشيراته فى مساء نفس اليوم لترسل إلى الوزراء والمسئولين بتوقيع طليعة الاشتراكيين... وانتظم صدور النشرة، وتناولت عدد من القضايا السياسية الهامة من وجهة نظر اشتراكية متحررة... وتعددت الاجتماعات بين عدد من أعضاء الأمانة ومسئولى الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات... وكان المحافظون فى معظم الحالات هم المسئولون السياسيون لطليعة الاشتراكيين فوق أمناء الاتحاد الاشتراكى..

واستمرت دفقة النشاط فى الأمانة واضحة حتى حدث احتكاك مع بعض الوزراء الذين كان يسيئهم أن تصل إليهم تأشيرات الرئيس خلال طليعةالاشتراكيين رغم

وصولها إليهم فى خطابات مغلقة تحمل هذه الكلمات (سرى للغاية وشخصى ولا يفتح إلا بمعرفة سيادته).

اعترض على أسلوب الخطابات بعض الوزراء مثل الدكتور عزيز صدقى وطلعت خيرى وعندما رفع الأمر إلى جمال عبدالناصر طلب من طليعة الاشتراكيين أن تتوقف عن مخاطبة الوزراء حيث سيكون لهم تشكيل خاص.

وارتفعت عندئذ يد التنظيم عن الوزراء فضعفت قبضته على الجهاز الإدارى والتنفيذ إلى حد كبير.

....

....

واصلت العمل فى أمانة طليعة الاشتراكيين بصفة سرية غير معلنة إلى جانب عملى مديراً لمؤسسة المسرح إلى أن حدث تغير هام فى عالم الصحافة.

والصحافة كانت فى عهد جمال عبدالناصر ترمومتر لا يخطئ... ينبئ... عن اتجاهاته السياسية المتسقبلية خلال الذين يتولون المسئولية فيها.

كانت مثل المدفعية الثقيلة يمهد بها لدخول المعركة.

وحدث تغير مفاجئ فى مواقع المسئولية.

استدعى جمال عبدالناصر إليه كلاً من أحمد فؤاد وخالد محيى الدين فى نوفمبر ١٩٦٤ وصارحهما بوجود ثغرة واسعة بين ما يهدف إليه من تطبيق اشتراكى وبين ما تنشره الصحف من إثارة، وقصص بعيدة كل البعد عن اهتمامات الجماهير.

وكلف أحمد فؤاد بمسئولية الإشراف على دار أخبار اليوم، وخالد محيى الدين برئاسة مؤسسة روز اليوسف... ثم حدث تبادل بين المسئوليتين عندما أبدى خالد محيى الدين أنه كلف سابقا بالعمل فى الصحافة اليومية (المساء).

وظهر اسم أحمد فؤاد على روز اليوسف يوم ١٦ نوفمبر عام ١٩٦٤ رئيساً لمجلس الإدارة بدلاً من إحسان عبدالقدوس الذى بقى فى المؤسسة وخلال هذه الفترة وبعد خروجى من الجمهورية، كنت قد اتفقت مع إحسان عبدالقدوس على أن أكتب فى روز اليوسف منذ مارس ١٩٦٤ دون تعيين.

وكان فى ذلك تنفيثاً لما يطويه صدرى من أفكار وآراء... فالكاتب لا يستطيع أن يتبنى عملاً إدارياً فقط مهما كانت درجة حبه له. دون ممارسة هوايته الرئيسية وهى الكتابة.

كانت الكتابة فى روز اليوسف تنقذنى نسبياً من معاناة التعامل مع الدكتور عبدالقادر حاتم الذى كانت مسئوليات قد تعددت وتشعبت فشملت وزارات الثقافة والإشاد والسياحة.. فى وقت لم تكن له فيه أية مسئولية رئيسية فى أجهزة الاتحاد الاشتراكى أو طليعة الاشتراكيين.

وحدث أن قامت ثورة شعبية فى السودان يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ كلفت بأن أسافر لتغطيتها صحفياً رغم أنى كنت مازلت مديراً لمؤسسة المسرح... وكان ذلك بتوجيه من جمال عبدالناصر إلى أحمد فؤاد لأنه علم أن لى صلة شخصية ببعض زعماء الثورة الشعبية.

....

....

نشرت عدة تحقيقات صحفية عن ثورة ٢١ أكتوبر قلت فيها أن ثورة أكتوبر ظاهرة جديدة فى عالم ثورات العالم الثالث، وأول ثورة شعبية فى أفريقيا والوطن العربى تسقط نظاماً عسكرياً.

واذكر أنى كتبت وقتها أنها ثورة شعبية وليست ثورة شيوعية بعد أن كتب مندوب وكالة الاسيوشيتدبرس يسمى مكارثى مقالاً يقول فيه (أن الذى يملك زمام الموقف رجل غامض يسمى عبدالخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى).

كان ما ذكرت هو الحقيقة التى أظهرت الأيام صدقها... فقد كانت ثورة ٢١ أكتوبر هى ثورة كل الشعب..

عينت دون أن أعلم أو أطلب رئيساً لتحرير روز اليوسف فى ٢١ ديسمبر وتركت العمل فى مؤسسة المسرح بقلب ثقيل.

وجد جمال عبدالناصر فى هذا التعيين تسوية للموقف الذى كان موجوداً بينى وبين أسلوب الدكتور حاتم فى توجيه الثقافة.

ثم كانت الخطوة التالية هى إقصاء عبدالقادر حاتم عن المنصب بعد تعيين صدقى سليمان رئيساً للوزراء... وعاد الدكتور ثروت عكاشة وزيراً للثقافة من جديد.

توليت مسئولية رئاسة تحرير روز اليوسف وابتعدت عن مسئولية العمل الثقافى فى مؤسسة المسرح، وبقيت مواصلاً عملى السياسى فى أمانة طليعة الاشتراكيين.



●●● الفصل الرابع عشر ●●●

- عبد الناصر يرسل إلى الوادى الجديد طائرة تضم ١٢ وزيراً، ٨ من الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى للتحرى حول تحقيق نشرته روز اليوسف تحت عنوان (جفت آبار الوادى الجديد).
- جمال عبد الناصر يقول فى مؤتمر المبعوثين بالإسكندرية (روز اليوسف تنشر نقداً كثيراً لا نتفق معه ولكننا نتقبله ونضعه موضع التحقيق).
- ماذا دار فى التليفزيون ليلة تنحى جمال عبد الناصر بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧؟.
- شعراوى جمعة يدعو الأمانة العامة للانعقاد بعد ثلاثة شهور من العدوان قائلاً أننى كنت أسقيه كأساً من السم فى كل مقابلة أطالبه فيها بالاجتماع.
- زكريا محيى الدين يقول لى: (يبدو أنك لا تعرف كيف تحكم البلد)!
- التعاسة كانت تجثم على صدرى ونحن نفصد دم الثورة الفاسد.

كانت المشكلة أنى عينت رئيساً لتحرير روز اليوسف دون أن أسعى أو أطلب ذلك. فى وقت كان فيه إحسان عبدالقدوس مازال موجوداً بالمؤسسة وحياته ارتبطت بها منذ كان صبياً عندما فتحت له والدته فاطمة اليوسف فرصة العمل صحفياً بها إلى أن أصبح رئيساً لتحريرها، وجعل منها مجلة سياسية متميزة بالنقد وتجميع الآراء المختلفة من اليمين إلى ا ليسار، حتى أصبح لها وزن وثقل سياسى فى أرجاء الوطن العربى.

صارحت أحمد فؤاد بمشاعرى وأبلغته أننى لن أستطيع ممارسة العمل إلا إذا قابلت إحسان عبدالقدوس، وكان قد اعتكسف فى منزله منذ عين أحمد فؤاد رئيساً لمجلس الإدارة بدلاً منه... وذهبت إليه فى شقته بعمارة المتحدة بالجزيرة، والتى كنت قد زرتها مرات عديدة فى سهرات خاصة، أو أثناء احتفالنا بظهور مسرحية (فى بيتنا رجل) التى أعدت للمسرح من روايته، ودعونه لجميع الممثلين والممثلات الذين شاركوا فى ظهور هذا العمل الفنى، الذى حضر إحسان حفلة افتتاحه مع زوجته وأنور السادات مع زوجته أيضاً حيث جلسوا معاً فى بنوار واحد فى مسرح محمد فريد بشارع عماد الدين، الذى كانت تعرض فيه المسرحية.

ذهبت إلى إحسان عبدالقدوس راجياً منه، أن يعود إلى ممارسة عمله بشكل طبيعى فالأمر فى النهاية ليس فى يده ولا فى يدى... وأن دعوته التى سبق أن طالب بها وقرأتها له من رغبة فى تأميم الصحافة قد تحققت وامتناعه عن العمل ليس له ما يبرره، فكل العاملين فى الدار يحملون له أطيب المشاعر وأعز الذكريات... والأمر فى النهاية سوف ينعكس على المجلة الحبيبة إليه والأثيرة عنده.

كان بعضهم ينظر إلىّ نظرة المقتحم، وليس نظرة المنقذ كما حدث عندما عينت مديراً عاماً للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وهم لا يدركون علاقة الود والصداقة التى تربطنى بإحسان عبدالقدوس... والذى كان قد أتاح لى فرصة الكتابة فى روز اليوسف قبل ذلك بشهور، عندما استغنى عن الدكتور محمد مندور وأحمد رشدى صالح وعنى من جريدة الجمهورية كما سبق أن ذكرت.

وتفهم إحسان عبدالقدوس وجهة نظرى... واستجاب لرغبة العودة ومواصلة كتابة خواطره السياسية بعد استلامى للعمل رئيساً لتحرير روز اليوسف بدلا من فتحى غانم رئيس تحرير صباح الخير الذى كان يجمع مؤقتاً بين المنصبين.

....

....

كان معظم الزملاء من الكتّاب والمحررين تربطنى بهم صلة الصداقة أو المعرفة الوثيقة... ولكن التجربة بالنسبة لى كانت جديدة تماماً... فالمجلات التى أصدرتها ورأست تحريرها... التحرير والهدف والفجر وكتب للجميع والكاتب... كان يصدرها معى أصدقاء ألتقى معهم فى الفكر والعلاقة الإنسانية... ولكن روز اليوسف كانت تضم مجموعة كبيرة من المحررين أصحاب الرأى الخاص الذين قد تتفق معهم أو لا تتفق... ولكنهم فى مجموعهم كانت تغلب عليهم روح الفريق التى تولدت مع (روز اليوسف) منذ كانت فى مبناها القديم بشارع محمد سعيد تشرف عليها السيدة فاطمة اليوسف، التى كانت فى يوم من الأيام النجمة المسرحية الأولى فى فرقة يوسف وهبى التى كانت تسمى فرقة رمسيس والتى أنشئت عام ١٩٢٣.

كانت السيدة روز اليوسف قد استقالت من فرقة يوسف وهبى، عندما قدم مسرحية (الذبائح) وهى ميلودراما ليست ذات مستوى فنى رفيع، واتجهت إلى الصحافة حيث أصدرت (روز اليوسف) مجلة فنية.

كانت روح الفن تغلب على روز اليوسف... وكل صحفى يسعد بالعمل مع مجموعة الكتّاب والفنانين الذين كانت تضمهم الدار فى ذلك الوقت... حسن فؤاد

وجمال كامل وفتحى غانم ولويس جريس وعبدالله إمام ومحمود المراغى وإبراهيم عزت ومديحة وفوزية مهران وعدلى فهيم وبقية الزملاء من الشباب الذين كانوا يخطون خطواتهم الأولى فى عالم الصحافة ثم أصبحوا من الأسماء اللامعة.

وحرصت على أن تظل (روز اليوسف) منبراً يقدم أفكار ثورة يوليو فى الوطن العربى، مع احتفاظها بطبيعتها النقدية التى تميزت بها فى المقالات والكاريكاتير.

وأشهد أن أحداً من المسئولين لم يتصل بى فى يوم من الأيام لنقد ما نشر، أو لتوجيه بما يريد أن ينشر.

كنا نتحرك بضمائرنا، وبحوصنا أن نؤدى الصحافة دورها بتقديم الفكر الحر وتسليط الضوء على مواقع الخطأ والانحراف.

أذكر أننا نشرنا عدة تحقيقات صحفية تحت عنوان (جفت آبار الوادى الجديد) باقتراح من الزميل محمد زيدان الذى أمضى هناك عدة أيام وكان مختصاً بالشئون الزراعية.

وعندما قرأ جمال عبدالناصر هذه التحقيقات وكان هو الذى بشر بوجود مياه جوفية هائلة، وكانت قد صرفت فعلاً عدة ملايين من الجنيهات لحفر آبار جديدة فى الوادى الجديد... عندما قرأ التحقيقات استبدت به الرغبة فى معرفة الحقيقة، دون أن يستبد به الغضب.

لم يتصل بى جمال عبدالناصر أو وزير الإعلام للتأثير علىّ فيما ينشر... ولكنه أرسل طائرة خاصة تحمل ١٢ وزيراً، ٨ من الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى... للتحرى ومعرفة الحقيقة.

كانت (روز اليوسف) صادقة فيما نشرت، وتمت مراجعة الأحلام التى صاحبت فكرة الوادى الجديد فى بدايتها.

ونشرنا تحقيقات أخرى عن تزوير ميزانية شركات الصناعة فى القطاع العام... وكان الزميل محمود المراغى هو الباحث فى هذه القضية... وثار لذلك الدكتور عزيز

صدقى الذى التقيت به فى محاولة لتفسير الأمر بأننا من أشد الكتاب مناصرة لفكرة القطاع العام... ولكننا أيضاً من أشد الكتاب حماساً لإظهار ما فيه من نقاط ضعف أو انحراف، حتى يؤدى دوره الاقتصادى بأفضل الصور.

كما نشرنا تحقيقات عن التهرب من قانون الإصلاح الزراعى مستندين فى ذلك إلى الحقائق والأرقام... وأذكر أن عبدالمحسن أبو النور وزير الإصلاح الزراعى فى ذلك الوقت قد أرسل رداً طويلاً، ولكننا واصلنا الحملة التى انتهت بمطاردة المتهربين من قانون الإصلاح الزراعى والمتسترين عليهم أيضاً... والتى تفجرت بعدها حادثة كمشيش التى قتِل فيها (صلاح حسين) زوج شاهندة مقلد، والتى أثارت فى المجتمع ضجة كبيرة بما قيل عن تجاوزات قام بها رجال الشرطة العسكرية.

وأذكر أننى كنت مدعواً من الصديق شعراوى جمعة فى فرح ابنته بنادى ضباط الجلاء بمصر الجديدة... وفوجئت بأن جمال عبدالناصر الذى كان موجوداً فى هذه الليلة قد أصدر أمراً بسفر بعض المسئولين فوراً إلى كمشيش للتحقيق فيما بلغه أثناء الفرح من وجود تجارزات فى معاملة بعض الأبرياء.

وأذكر قد دعونا إلى إنشاء (الحزب)... وكانت هذه الكلمة مرفوضة ومطاردة منذ ألغيت الأحزاب عام ١٩٥٣، ولكننا أردنا أن يأخذ الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى (طليعة الاشتراكيين) طبيعته الحقيقية فيتحول إلى حزب علنى يخوض تجربة التعامل مع الجماهير فإما أن يكسب ثقتها أو تنصرف عنه.

كثيرة هى القضايا التى تعرضت لها روز اليوسف، ونشرتها دون انتظار لتوجيه من السلطة.

وخلال لقاء بين المبعوثين والمقيمين المصريين فى الخارج مع جمال عبدالناصر فى مدرج جامعة الإسكندرية خلال أغسطس عام ١٩٦٦ قال جمال عبدالناصر عندما سئل عن حرية الصحافة. (أن مجلة روز اليوسف تنشر نقداً كثيراً لا نتفق معه ولكننا نقبله ونضعه موضع التحقيق وذلك دون تدخل من جانبنا).

....

....

واقترنت مسئوليتى فى رئاسة تحرير روز اليوسف، وعملى فى أمانة طليعة الاشتراكيين ببعض الأحداث الهامة التى هزت المجتمع... وأحدثت فى النفوس صدمة هائلة.

أهم هذه الأحداث وأكثرها عنفاً... كان العدوان الإسرائيلى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧.

كنت قد وصلت إلى القاهرة من الجزائر يوم ٢ يونيو بعد حضور (ندوة الاشتراكيين العرب) التى دعا إليها الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ونشط فى سبيل الإعداد لها الصديق الأخضر الإبراهيمى الذى كان سفيراً بالقاهرة.

كانت الندوة ناجحة بكل المقاييس... فقد ضمت ممثلين عن الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر إلى جانب ممثلين لمختلف ا لأحزاب الشيوعية والاشتراكية وحزب البعث العربى الاشتراكى، وعدد من الساسة المستقلين من معظم الدول العربية.

ولكن... حلق علينا فى سماء الندوة احتمالات قيام حرب بين مصر وإسرائيل بعد قفل خليج العقبة... وأذكر أن هذا الاحتمال قد طغا على جو المناقشات، وأصبح النقطة الأولى فى جدول اهتمامات المشاركين... وأن الكثيرين منهم قد حرصوا على المرور بالقاهرة فى طريق عودتهم إلى بلادهم.

وصلنا إلى القاهرة بعد المؤتمر الصحفى الذى حضره جمال عبدالناصر وقال فيه أن إيدن (خرع)... وكان الرأى السائد أن الحرب متوقعة فى أية لحظة.

كانت الأمور (غير منضبطة) حسب التعبير العسكرى... لم تجتمع أمانة طليعة الاشتراكيين لبحث الموقف واتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة احتمال الحرب... ولم يحدث تلقين لقيادات الإعلام بالمعلومات المتيسرة، والخطة الإعلامية الواجبة.

كان الحديث عن الحرب يدور ببساطة تبعث على عدم التصديق بأن حرباً يمكن أن تقع، ويتعرض فيها ا لناس للقتل، والمدن للدمار.

وعادت بى الذاكرة إلى عام ١٩٥٦ عند العدوان الثلاثى، والروح المعنوية العالية التى سادت الشعب أثناء العدوان... وانتظرت مع الآخرين ما تأتى به الأيام، ونحن نأمل ألا نقع فى مثل هذه الحرب.

وفى صباح ٥ يونيو سمعت من الإذاعة خبر العدوان، واتصلت فوراً بشعراوى جمعة وزير الداخلية وأمين عام طليعة الاشتراكيين، وتساءلت عما يجب أن نفعل... ولم يكن عنده جواباً.

وأسرعت إلى أمانة طليعة الاشتراكيين فى مجلس قيادة الثورة... لم يكن هناك سوى بعض العاملين.. ولم نجد شيئاً نفعله سوى الاستماع إلى الإذاعات المختلفة، التى بعثت فينا شعوراً بأن الأمور لا تسير على ما يرام.

مركز قيادة طليعة الاشتراكيين كان غائباً عن متابعة العدوان وأداء دوره المسئول.

وهرعت إلى روز اليوسف... وتلقيت من الزملاء أسئلة بصفتى مسئولاً صحفيا يجب أن يعرف... وضابطاً سابقاً لابد وأن يعرف طبيعة العمليات العسكرية... ولكن الحقيقة أنى لم أكن أعرف شيئاً نافعاً... وأنى جلست مع الزملاء نبحث عن المعلومات خلال اتصالات متعددة، لنقدم (روز اليوسف) فى مستوى الحدث.

تبينت الحقيقة أسرع مما توقعت... ذهبت إلى القيادة العامة للقوات المسلحة... لم يكن هناك خبر يشبه اليقين... كان الجميع فى دوامة يخشون أن يعبروا عن مخاوفهم حتى لا تنتزع من صدورهم آمال الثورة وطموحاتها خلال ١٥ عاماً مضت عليها... وكانوا يتمسكون جميعاً بأمل مجهول.

ووقعت الواقعة عندما اجتمع المحررون والعمال فى مكتبى يوم ٩ يونيو لنسمع الخطاب المنتظر لجمال عبدالناصر... وما كاد يصل إلى قوله بأنه سوف يتنحى. حتى تعالت الصرخات والصيحات من الرجال قبل النساء، وانهار الكثيرون، وخرجوا إلى الشوارع على غير هدى.

حاولت الاتصال بوزير الإعلام (محمد فايق) ووزير الداخلية (شعراوى جمعة) ولم يكن أحد منهم فى مكتبه.

وخرجت مع الصديق صلاح حافظ الذى كان قد استجاب لدعوتى بالعودة للعمل فى روز اليوسف بعد رحلة قمنا بها معاً إلى الهند عام ١٩٦٦ للمشاركة فى مؤتمر من مؤتمرات السلام... خرجنا إلى الإذاعة والتليفزيون... لم يكن هناك أحد من المسئولين... ولكن كان هناك السفير السابق على خشبة الذى كان يعمل وكيلاً لوزارة الإعلام، وبعض الجنود الذين كانت عندهم تعليمات بعدم السماح للمشير عبدالحكيم عامر بالوقوف أمام الميكروفون لإعلان استقالته.

كانت ليلة سوداء... تدفق فيها الناس إلى الشوارع يهتفون (مكتوب على قلوبنا عبد الناصر حبيبنا... أنور أنور يا سادات احنا اخترنا جمال بالذات... مكتوب على سلاحنا عبد الناصر كفاحنا... يا جمال ليه بتسيب ولادك ليه).

وتوالت الأحداث فى سرعة... اجتمع مجلس الشعب برئاسة أنور السادات وتوجه مع الأعضاء إلى منزل جمال عبدالناصر.

وعاد جمال عبدالناصر إلى ممارسة مسئولياته بعد هزيمة قاسية لم يعرف الناس حقيقة أبعادها، أو قيمة خسائرها فى الرجال والمعدات فى حينه.

وكانت عودته تحت شعارات رفض ا لهزيمة، وأن ما أخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة، والعمل من أجل إزالة آثار العدوان.

وباشر جمال عبدالناصر مهمته منذ اللحظة الأولى لإعادة بناء القوات المسلحة... وكانت خطوته الأولى تغيير القيادات التى حملت مسئولية الهزيمة، وتعيين الفريق أول محمد فرزى رئيس الأركان قائداً عاماً للقوات المسلحة.

وكان يلح دائماً هذا السؤال... ماذا يجب أن نفعل؟

أى دور يجب أن نقوم به.

ولكن اجتماعات الأمانة العامة لطليعة الاشتراكيين كانت قد توقفت... ومع ذلك لم أجنح إلى الصمت والسكوت... فما من مرة ذهبت فيها إلى شعراوى جمعة أو تحدثت معه إلا وطالبته بضرورة عقد اجتماع عام لأمانة طليعة الاشتراكيين.

وإذا كان مفهوماً أن نجتمع فى وقت السلام فإنه ليس مفهوماً أن نتوقف عن الاجتماع فى وقت الهزيمة... والحيرة تستبد بنا من كل اتجاه.

وبعد ثلاثة شهور تقريباً دعا شعراوى جمعة أمانة الاشتراكيين للانعقاد... وأذكر أنه قال فى أول اجتماع لها بعد الهزيمة أن أحمد حمروش كان يسقينى فى كل مقابلة كأساً من السم بكلماته التى يطالب فيها بضرورة عقد الأمانة.

كانت الهزيمة والكارثة أكبر منا جميعاً.

ولكن الإصرار الذى بدأ من جمال عبدالناصر على ضرورة إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض المحتلة، بعث فينا روحاً جديدة، وتأكدنا أن العدوان لم يحقق هدفه بإسقاط النظام الوطنى الذى يقف جمال عبدالناصر فى قمته... وأن الهزيمة لم تكن نهاية العالم كما يقولون.

،هكذا عادت أمانة طليعة الاشتراكيين تمارس دورها.:. وبدإت المناقشات التى تدور فيها على صفحات روز اليوسف باعثة الأمل فى النفوس.

....

....

وخلال هذه الفترة كانت قضية انتحار المشير عبدالحكيم عامر قد فرضت نفسها، بعد أن قدم صلاح نصر إلى محكمة خاصة رأسها حسين الشافعى بدعوى محاولة القيام بانقلاب مضاد.

كشفت المحاكمة كثيراً من عورات الثورة، وخاصة المشير عبدالحكيم عامر الذى كان قد تورط فى علاقة زواج مع برلنتى عبدالحميد الممثلة التى سبق لى أن أصدرت

قراراً بفصلها من المسرح القومى عندما تقاعست فى الحضور للتمثيل فى مسرحية (كفاح الشعب) التى قدمناها أثناء العدوان الثلاثى.

وفى غمرة الأسى والأسف لما سمعت وقرأت... تذكرت حديثاً همس لى به سامى شرف أثناء اجتماع الأمانة العامة بقوله أن مهاجمتنا فى روز اليوسف للمسئول عن مؤسسة التعاون الإنتاجى هو عمل عظيم.

وتعجبت يومها وسألته لماذا إذن لا تفصلون هذا المسئول السيئ السلوك؟

وقال سامى شرف أنه محسوب على المشير عبدالحكيم عامر.

عبدالحكيم عامر إذن كان قد أصبح شخصية ذات نفوذ خاص بعد أن عينه جمال عبدالناصر قائداً عاماً للقوات المسلحة عام ١٩٥٣ ودافع عنه رغم أخطائه التى ارتكبها أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وأثناء الوحدة مع سوريا.

وذهبت إلى زكريا محيى الدين فى منزله، وكانت لى به ثقة كبيرة... وسألته عما إذا كان قد علم بانحرافات المشير.

سألنى زكريا محيى الدين مستنكراً (يبدو أنك لا تعرف كيف تحكم البلد... أننى لا أعرف شيئاً عن سقطات عبدالحكيم عامر ولم أبلغ عنها).

وتساءلت عما إذا كان جمال عبدالناصر كان يعرف أم لا يعرف.

وكان ما كشفته المحاكمة مثيراً للدهشة والغثيان، فقد ظهر أن بعض المسئولين فى جهاز المخابرات كانت تجذبهم إغراءات تافهة وسهرات ماجنة، تسىء إلى سمعة هذا الجهاز الوطنى الذى قام بدور كبير فى خدمة مصر.

ورددت المثل الذى يقول (إذا كنت تدرى فتلك مصيبة، وإذا كنت لا تدرى فالمصيبة أعظم).

بعض الانحرافات كانت تغلف بغلاف سميك من السرية يصعب اجتيازه حتى من المشاركين فى السلطة.

أذكر أن روز اليوسف كانت قد نشرت فى عددها الصادر يوم ٤ مارس ١٩٦٨ غلافاً يظهر صلاح نصر فى صورة عربة يركبها نساء، وأن الدكتور ثروت عكاشة وزير للثقافة وقتها قد علق على ذلك غاضباً فى محاولة لإظهار صلاح نصر فى صورة البرىء مما وجه إليه من اتهامات.

كانت الحقيقة غائبة... لأن المعلومات لم تكن متوفرة... ولأن صراع المسئولين كان يدور مثل صراع المماليك خلف الكواليس.

كانت التعاسة تجثم على صدرى ونحن نفصد دم الثورة الفاسد، الذى ما تصورت أنه تسرب خلال السنوات القليلة الماضية إلى شرايين الحياة فى مصر.

وتأكدت الهزيمة فى ميدان القتال لم تكن لم تكن منفصلة مطلقاً عن بعض مظاهر الفساد التى كانت قد بدأت تنخر فى عظام النظام.

وعشنا فترة قاسية من الحيرة والتساؤلات ومحاولة البحث عن الحقيقة... بعد أن كشفت المحكمة كثيراً من المخازى والمآسى التى نشرتها الصحافة فى إسهاب.



•••الفصل الخامس عشر•••

- عرفت أبو إياد ودكتور نبيل شعث مع يفچينى بريماكوف مراسل البرافدا ورئيس وزراء روسيا فيما بعد فى نادى الجزيرة.
- أول لقاء فى منزلى بالقاهرة مع ياسر عرفات وأبو إياد وأبو اللطف.
- قابلت هنرى كورييل فى باريس عام ١٩٦٨ بعد عشرين عاما من إبعاده عن مصر.
- جمال عبدالناصر يوافق على اتصالى بهنرى كورييل وعناصر السلام الإسرائيلية.
- قابلت ناحوم جولدمان دون إذن مسبق من جمال عبدالناصر فى منزل اريك رولو.
- جمال عبدالناصر يطلب سفرى إلى باريس وعقد علاقة شخصية مع ناحوم جولدمان.
- مظاهرات فى إسرائيل تهتف (إلى القاهرة يا جولدمان.. إلى المطبخ يا جولدا).

تغير كل شيء فى مصر خلال أيام معدودات... سيناء أصبحت تحت الاحتلال الإسرائيلى... الهزيمة تثقل القلوب... المسئولية الكاملة يحملها الزعيم الذى أصر الشعب على بقائه فى موقعة... الأنباء تتلاحق عن حقيقة الخسائر التى فقدناها... الأصدقاء الذين قابلوا جمال عبدالناصر خلال هذه الفترة شعروا بفداحة الخسائر وتأثيرها عليه.

كانت القوات المسلحة قد فقدت أعز ما لديها... القوات الجوية كلها تقريباً... آلاف المدافع والدبابات... ألوف من الجنود أسرى أو شهداء.

ولم نكن نملك إلا مواجهة الموقف بجدية كادت تضيع من صدمة ما سمعنا عن فساد فى مجال القيادات العسكرية.

أذكر أننى دعيت لزيادة بلغاريا خلال شهر أكتوبر ١٩٦٧ وما أن وصلت هناك حتى وجدت المتقبلين يقدمون لى التهنئة على إغراق إيلات.

إيلات... أى إيلات؟

تصورت فى البداية أنهم يتحدثون عن الميناء الإسرائيلية، ولكنى علمت فيما بعد أنهم يتحدثون عن إغراق القوات البحرية للمدرعة الإسرائيلية إيلات.

غمرتنى السعادة وأنا أستعيد تفاصيل النبأ.

رفض الهزيمة إذن يتحول إلى قتال... والأمور تدخل فى مرحلة من الجدية التى نحن أحوج ما نكون إليها.

وتذكرت زيارتى قبل أسابيع إلى الخرطوم خلال شهر أغسطس لتغطية أخبار مؤتمر القمة الذى عقد هناك... وشاهدت استقبال شعب السودان الحافل لجمال عبدالناصر... الأمر الذى رسم الابتسامة وعلامات التفاؤل على وجهه لأول مرة منذ العدوان.

شحنة التأييد والتضامن العربى منحت جمال عبدالناصر قوة فى عملية إعادة بناء القوات المسلحة. وحفزت إلى اقتحام المعارك رفعاً للروح المعنوية، وتأكيداً لقدرة الجنود القتالية.

فرضت الفترة التى أعقبت العدوان حسابات جديدة على جمال عبدالناصر وعلى جميع القوى السياسية العربية، حيث تبين أن المعركة واحدة.

وظهرت القيادات الفلسطينية لأول مرة فى الساحة المصرية... تعرفت على الدكتور نبيل شعث مستشار الرئيس ياسر عرفات حالياً الذى قدمته ليفجينى بريماكوف مراسل البرافدا وقتها فى القاهرة الذى لعب بعد ذلك دوراً هاماً فى السياسة السوفيتية عندما أصبح عضواً فى مجلس الرئاسة ومستشاراً لجرباتشوف ومديراً للمخابرات الخارجية فى عهد يلتسين ثم رئيساً للوزراء.

أعتقد أن هذه المقابلة كانت من أوائل الصلات المبكرة بين الثورة الفسلطينية والاتحاد السوفيتى... فقد كان الدكتور نبيل شعث حريصاً على تقديم الثورة لبريماكوف... وكان بريماكوف حريصاً أيضاً على معرفة هذه الظاهرة الجديدة التى تجسدت بعد العدوان ونبتت مع أول طلقة أطلقتها قوات العاصفة التابعة لحركة التحرير الفلسطينية (فتح) فى أول يناير ١٩٦٥.

وتعرفت خلال هذه الفترة أيضاً إلى صلاح خلف (أبو إياد).

وسعدت بلقاء موسع فى منزلى حضره ياسر عرفات (أبو عمار) وصلاح خلف (أبو إياد) وفاروق القدومى (أبو اللطف)، وعدد من قيادات فتح.

نشرت هذا اللقاء الذى امتد حتى قبيل الفجر فى (روز اليوسف).

كان احتلال إسرائيل لجانب من الأرض العربية فى مصر والأردن وسوريا هو تحويل لمشكلة الشرق الأوسط من قضية فلسطينية إلى قضية قومية عربية.

ولم يكن لنا من مجال للتفكير سوى العمل والنضال من أجل تحرير الأرض العربية واستعادة حقوق شعب فلسطين.

....

....

خلال زيارة إلى ألمانيا الديمقراطية فى مايو ١٩٦٩ فكرت فى زيارة باريس لمقابلة هنرى كورييل الذى لم أكن قد التقيت به منذ اعتقل إلى أن غادر مصر يوم ٢١ أغسطس ١٩٥٠ من بورسعيد، ورغم أنى زرت باريس أكثر من مرة عندما كنت مديراً للمسرح القومى، ونحن فى طريق الذهاب إلى المغرب أو فى طريق العودة.

لم تتح لى فرصة اللقاء مع هنرى كورييل...لأنى سافرت عام ١٩٥٩ وما بعدها فى وقت كان فيه معظم الأصدقاء الذين يعرفون وسيلة الاتصال به خلف قضبان المعتقلات.

ولأن هنرى كورييل نفسه كان قد اعتقل بتهمة مساعدة الثورة الجزائرية.

لست أعرف الدافع الذى ألح علىّ بأهمية مقابلة هنرى كورييل فى هذا الوقت بالذات ونحن نصعد حربنا ضد إسرائيل حتى وصلت إلى حد حرب الاستنزاف سوى أن يكون رغبة فى لقاء هذا الرجل الذى أحببت واحترمت خلال فترة النضال ضد الاحتلال البريطانى قبل الثورة.

ولم تكن صلتى بهنرى كورييل قد انقطعت تماماً منذ ذلك اليوم الذى كان مفروضاً أن أسافر فيه إلى فرنسا لمقابلته يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢، وعدم سفرى عندما أبلغنى جمال عبدالناصر بالاستعداد لحركة الجيش ليلة ٢٢ يوليو... رغم أننا لم نتبادل الخطابات ولم تكن بيننا مراسلات كما لم تكن هناك صلة تنظيمية تدفعنى إلى ذلك.

كنت أعرف خلال أحاديث الأصدقاء ومما أقرأ فى الصحف الدور الذى قام به هنرى كورييل لمساندة ثورة الجزائر وعلاقته الوثيقة مع أحمد بن بللا.

وعندما وصلت مطار أورلى طلبت نمرة تليفون هنرى كورييل والتى كنت قد حصلت عليها فى برلين من الفنانة إنجى أفلاطون، التى كثيراً ما كانت تتردد على باريس، والتى كانت لها آراء خاصة فى هنرى كورييل حيث أنها كانت أصلاً من تنظيم اسكرا بينما كان يقود هو الحركة المصرية للتحرر الوطنى قبل أن يتحد التنظيمان فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) عام ١٩٤٧.

لم يصدق هنرى كورييل أننى أتحدث إليه من باريس... وأخذته دهشة بالغة وهو يصيح بلهجة مصرية بها لكنته المعروفة (مش معقول.. مش معقول).

ذهبت إلى هنرى كورييل فى مكتب يوسف حزان أحد الزملاء المصريين من اليهود الذين أجبروا على الهجرة من مصر...

أى لقاء بعد كل هذه السنين؟

وأى تجارب خاضها هنرى كورييل؟

هنرى كورييل عاش حياته مناضلاً، ينبض قلبه بحب مصر... ولكن الظروف لم تسمح له بالعودة إليها مطلقاً... أمه توفيت فى القاهرة عام ١٩٦٥ ولم يرها إلا مرة واحدة خلال ١٥ عاماً بفضل أحمد بن بللا الذى حصل لها من جمال عبدالناصر على إذن بالقيام برحلة إلى باريس.

جلسات لا تنقطع مع هنرى كورييل معظم الوقت على مقاهى باريس.

روى قصته قبل العدوان الثلاثى على مصر عندما كانت فرنسا تريد أن تكسب فى القاهرة حرباً كانت تخسرها فى الجزائر... ولذا دبرت العدوان بعد تأميم قناة السويس وتعالت الصيحات فى البرلمان الفرنسى بأن عبدالناصر (هتلر جديد)، (العدو رقم ١)، (الرجل الذى يجب تحطيمه).

ولكن هنرى كورييل كان له رأى آخر متفهم لطبيعة ثورة ٢٣ يوليو مؤيد لخطها الوطنى، مساند لخطوات زعيمها جمال عبدالناصر، ولذا حاول مع مجموعة من المصريين المقيمين بالخارج أن يبصروا بإخطار أى مجازفة عدوانية ضد مصر.

كانت الحماسة للعدوان قد جذبت بعض الصحفيين الفرنسيين المنتمين إلى اليسار مثل جول روا الذى وقف ضد حرب الجزائر، والكاتب الشهير البير كامو... وهو أمر أثار ثائرة هنرى كورييل.

حصل هنرى كورييل على خطة الغزو التى كانت تتبادلها الأوساط السياسية فى بساطة وسلمها إلى خالد محيى الدين الذى أقام فى جنيف فترة بعد إبعاده عن مصر... وقد أبلغ هذه الخطة إلى عبدالناصر.

قال لى خالد أنه تحدث بعد ذلك مع عبدالناصر عن هنرى كورييل الرجل الذى سلمه الخطط وعن وطنيته وعن الظلم الذى وقع عليه بطرده من مصو.

ولكن هنرى كورييل لم يرجع إلى مصر مطلقاً... فقد دخل السجن بعد أن التقى مع فرانسيس جانسون الذى كان زعيماً للشبكة الرئيسية للتضامن مع جبهة التحرير الوطنية الجزائرية فى نوفمبر ١٩٥٧ . والذى كان صديقاً لجان بول سارتر وأحد الشارحين لأعماله... وتطور التعاون بينهما إلى إنشاء (الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار) .

تاريخ طويل من الكفاح المساند للثورة الجزاذرية انتهى إلى اعتقاله فى أكتوبر ١٩٦٠ ووضعه مع الثوار الجزائريين فى سجن (غرين) حتى يوم ١٨ مارس ١٩٦٢ عندما أعلنت اتفاقيات إيفيان وتم إخلاء السجن من الجزائريين ومعهم هنرى كورييل يوم ١٤ يونيو ١٩٦٢ .

وفى يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٤ تنازل كورييل عن الفيللا التى يملكها فى شارع حسن باشا صبرى بالزمالك لتكون مقراً للسفارة الجزائرية بالقاهرة دون مقابل.

هذا بعض ما سمعت أو قرأت عن هنرى كورييل خلال جلسات طويلة... فقد كان شديد التواضع لا يجب الحديث عن أعماله أو نضاله.

ولم يكن هذا هو الجانب الهم الوحيد الذى دفعنى إلى حوار طويل مع هنرى كورييل، بدا منذ اللقاء الأول معه فى باريس إلى أن صدمت بخبر اغتياله فى باريس أيضاً يوم ١١ مايو عام ١٩٧٨.

....

....

لم يكن الحوار مع هنرى كورييل تقليباً لصفحات التاريخ... ولكن كان بحثاً عن طريق مستقل يتحقق فيه لشعب مصر تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلى ولشعب فلسطين حقه المشروع فى تقرير مصيره وإقامة دولته.

وكان هنرى كورييل قد كون منظمة تحمل اسم (تضامن) من عدد من الزملاء الذين اقتنعوا به مناضلاً من أجل الحرية... لتكون فى خدمة حركات التحرر الوطنى وعقد مؤتمرها الأول يومى ١، ٢ ديسمبر ١٩٦٢ بعد ستة شهور فقط من الإفراج عنه وحضره ٣٠ عضواً... واختاروا أن يكون التنظيم سرياً ذا طابع منضبط رغم أنهم كانوا فى فرنسا... وذلك لأن أجهزة المخابرات الأجنبية كانت تعمل بحرية فى فرنسا بالتعاون مع أجهزة الأمن الفرنسية للتجسس على المعارضين الذين يعيشون فى المنفى.

اتسع نشاط (تضامن) فى خدمة جميع حركات التحرر الوطنى التى اتصلوا بها، أو لجأت إليهم... وأصبحوا خبراء فى العمل السرى بإعداد جوازات سفر مزورة، والتدريب على المراسلات السرية ونشر المطبوعات... ووضعوا خطاً مميزاً بين دورهم فى خدمة حركات التحرر الوطنى وتقديم المساعدات اللازمة لها، وبين التورط فى العمل مع هذه الحركات داخل أوطانهم... فلم يكن ذلك ضمن ميثاقهم.

أتاحت لى الظروف خلال وجودى فى فرنسا أن ألتقى مع بعض أعضاء منظمة (تضامن)... ديدار الزوجة السابقة للزميل الصاغ عثمان فوزى أحد أعضاء قسم

الجيش فى (حدتو) وعضو تنظيم الضباط الأحرار... جويس بلو التى دخلت السجون المصرية ثم أُبعدت عن مصر... جان دى فلجن أحد أبناء الأسر الأرستقراطية الفرنسية... القسيس الكاثوليكى الأب موريس بارت وغيرهم.

وكانت الجزائر تمد منظمة (تضامن) بالمساعدة، ومندول أحمد بن بلا فيها كان بشير بومعزة... وكانت هناك صلة وثيقة بين كورييل ومدى بن بركة.

وساعدت (تضامن) النضال ضد حكومة جنوب أفريقيا، وحزب (زابو) فى روديسيا (زيمبابوى) وحركات التحرر الوطنى فى أمريكا الوسطى واللاتينية، و(سوابو) فى ناميبيا.

وكانت هناك صلة بين (تضامن) وبين بعض العناصر المتطلعة إلى السلام داخل إسرائيل... يورى افنيرى عضو الكنيست ورئيس تحرير مجلة (هاعولام هازيه) الواسعة الانتشار، (ناثان يالين مور) القائد السابق فى منظمة (شتيرن) الإرهابية التى قتلت لورد موين والذى تحول مع الوقت إلى داعية من دعاة السلام... الكاتب (آموسى كينان) وأمنون كايليوك الكاتب الإسرائيلى الذى كان يعمل فى صحيفة (الموند).

....

....

وهنا وصلت مع هنرى كورييل إلى مربط الفرس كما يقولون... بدا بيننا حوار حول ما يجب أن يعمل فى مواجهة الموقف الذى تحتل فيه إسرائيل أرضاً عربية، ولا يلوح فى الأفق أى اقتناع من جانبها بأن تعطى شعب فلسطين حقوقه المشروعة.

وتحدث هنرى كورييل طويلاً من موقفه المبدئي الثابت بضرورة تحرير الأرض المحتلة، وضرورة السعى من أجل إقامة سلام بين الدول العربية وإسرائيل... وأكد لى هنرى كورييل أن إسرائيل ليست كتلة صماء، وأن فيها عناصر من أنصار السلام...

وأنه يجب استغلالهم للضغط على الحكومة الإسرائيلية إلى جانب ما تقوم به مصر من ضغط فى حرب الاستنزاف.

أوضح هنرى كورييل أن هناك تناقضات تهز المجتمع الإسرائيلى... وتقوم بين اليهود الشرقيين (سفرديم) واليهود الغربيين (اشكنازى)... وتناقضات بين اليهود والعرب حاملى الجنسية الإسرائيلية... وتناقضات بين الأحزاب المختلفة اليسارية والماباى والليكود ذى الجذور الإرهابية، والأحزاب المعتدلة والمتطرفة... والتناقضات بين أنصار السلام ودعاة الحرب... وأن هذه التناقضات لم تكن حتى ذلك الوقت موضع اهتمام السياسة العربية، ولم تأخذ حيزاً مناسباً فى مجال الدعاية العربية.

كان الحديث بالنسبة لى مشوقاً وجديداً... ولكننى لم أكن حراً فى اتخاذ خطوات فى هذا السبيل بمبادرة خاصة دون إبلاغ جمال عبدالناصر.

وعندما عدت إلى القاهرة وضعت صورة كاملة بكل ما سمعت خلال الاتصالات التى قمت بها أمام جمال عبد النصار... الذى صرح لى بالسفر إلى باريس لمواصلة الاتصال بهنرى كورييل لمعرفة أبعاد هذه الاتصالات وما يمكن أن تثمره من نتائج.

وكان هنرى كورييل معروف لجمال عبدالناصر... خلال أحاديث أحمد بن بللا عنه أثناء مساعدته لثورة الجزائر وخلال أحاديث خالد محيى الدين وثروت عكاشة عن صلته بهما وما قدمه لهما من معلومات مفيدة عن استعداد فرنسا للعدوان الثلاثى، وعن محاولتها القيام باغتيال جمال عبدالناصر أثناء رحلته إلى يوغرسلافيا.

قال لى سامى شرف... أنه كانت هناك صلة مع هنرى كورييل عندما كان يساعد ثورة الجزائر، وأن أحمد بن بيللا قد طلب أن يسمح له بالعودة إلى مصر، وأن هذا الطلب كان موضع بحث.

ذهبت إلى فرنسا لمقابلة هنرى كورييل بعد أخذ موافقة جمال عبدالناصر.

كنت معه على موقف واحد فيما يختص بالقضية الفلسطينية هو ما عبرت عنه (حدتو) فى بياناتها التى أصدرتها خلال ١٩٤٨... فقد كان موقفنا المشترك مع

التقسيم ... وكان جمال عبدالناصر قد اعترف ضمنياً بوجود إسرائيل عندما قبل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

ويدأ هنرى كورييل يرتب اتصالاً بينى وبين الإسرائيليين المناصرين للسلام والانسحاب من الأرض العربية ... امتداداً لاتصالات سابقة كان قد قام بها يوسف حلمى المحامى وسكرتير مجلس السلام أثناء إقامته فى باريس ... وتأكيداً لبيان سبق أن أصدره هنرى كورييل عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى اقترح فيه عقد مؤتمر دولى وجاء فيه (الموقعون على هذا يعلنون استعدادهم للمساهمة فى عقد اجتماعات دولية تشارك فيها شخصيات عربية وإسرائيلية وتهدف إلى دراسة شروط وأسس عمليه تسوية سلمية للنزاع العربى الإسرائيلى) ووقعه ووقتها فرانسوا ميتران، وجان بول سارتر، وبيير كوت، وعدد من الشخصيات الفرنسية.

كان اللقاء الأول مع الكاتب الإسرائيلى اموس كينان ... لم يحضر هنرى كورييل ... وإنما حضر الأب موريس بارت وعدد من أعضاء منظمة (تضامن) الفرنسيين.

كان الكاتب الإسرائيلى فى دهشة بالغة لأنه يسمع حديثاً من كاتب وضابط مصرى سابق يؤكد فيه اقتناع جمال عبدالناصر بالسلام شرط تحرير الأرض العربية المحتلة ... وكان التصور عنده وقتها كما كان عند عدد كبير من الإسرائيليين خصوم الحكومة الإسرائيلية بأن الدول العربية وجمال عبدالناصر لا يرغبون مطلقاً فى السلام.

تكررت الاتصالات مع الإسرائيليين والتقيت خلال زيارات متتالية مع ناتان بالين مور، ويورى الباف سكرتير حزب العمل وامنون كايليوك، واموس كينان وغيرهم.

وانعكست هذه الاتصالات فى مقالات كتبت فى الصحافة الإسرائيلية تدعو إلى الانسحاب من الأرض المحتلة ... وأخذ أنصار السلام الذين كان يقف الحزب الشيوعى الإسرائيلى (راكاح) فى مقدمتهم دفعة معنوية قوية.

وقامت منظمة (تضامن) خلال هذه الفترة بارسال مبعوثين إلى إسرائيل للتأكد من بعض حقائق كما نبحث عنها.

وأصبحت هناك لأول مرة قنوات اتصال شعبية بين مصر وإسرائيل.

....

....

ولم تقف الاتصالات عند حدود العناصر الإسرائيلية التى كانت تحضر للاجتماع بى بناء على اتفاق مسبق... ولكنها خطت خطوة أخرى... فقد رتب لنا اتصال مع وزير الإعلام الفرنسى (ليو هامون) بحكومة الجنرال ديجول والتقيت به أكثر من مرة فى مكتبه، وفى منزله الذى كان ينعم فيه بحديقة صغيرة مليئة بالزهور.

كان الهدف هو عقد مؤتمر فى باريس تحت رعاية الوزير الفرنسى على أن يضم مندوبين عن مصر وإسرائيل... ولكن جولدا مائير رفضت الاقتراح بل قاومت فكرته.

وتصادف أن انتقل موضوع هذه المقابلات إلى مجال جديد لم أخطط له... وإنما جاء مصادفة... فقد أبلغنى الصديق الصحفى (ايريك رولو) المصرى المولد ومسئول قسم الشرق الأوسط بصحيفة (لوموند) الفرنسية أن ناحوم جولدمان يتبنى أفكاراً تتعارض مع سياسة الحكومة الإسرائيلية... وأنه قد تلقى دعوة لزيارة مصر عن طريق الماريشال تيتو... وأنه عندما علم بوجودى فى باريس طلب مقابلتى.

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع هذه الشخصية الصهيونية الكبيرة النى ترأس (المجلس اليهودى العالمى) ولكننى عندما علمت أن هناك دعوة موجهة لزيارة مصر لم أتردد فى مقابلته واجتمعنا فى منزل ايريك دولو المطل على (البانتيون) مقبرة العظماء فى باريس.

وجدت جولدمان شخصية عالمية معروفة له صداقات مع عدد كبير من زعماء العالم. كان وقتها قد تجاوز السبعين. ولكنه يملك صحة جيدة... وحديثه فيه مرح الشباب وقدر وفير من المعلومات.

قال لى أنه كان على صلة وثيقة بكيسنجر أيام كان نجمه فى مرحلة الصعود... وقبل أن يجمع بين منصبى مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى ووزير الخارجية... وذلك لأن والدة كيسنجر - حسب قوله - كانت تعمل مديرة منزلهم فى ألمانيا.

وأوضح لى جولدمان أن عنده اقتراحات لتحريك القضية نحو السلام، بدلاً من انفجار حربى يعرّض الطرفين لأخطار شديدة ويزيد العداوة بينهما... وأنه يوجد داخل الدوائر الحاكمة الإسرائيلية عناصر تؤيد موقفه وتسانده... وطلب منى أن أحمل هذه الرسالة إلى عبدالناصر حتى يقرب ذلك من موعد زيارته المحتملة.

واعتقدت أن الدعوة تمضى فى طريقها خلال وساطة تيتو... وأن دورى لن يتعدى شرح وجهة نظره إلى جمال عبدالناصر.

وكانت هذه المقابلة ليلة سفره فى اليوم التالى إلى تل أبيب ويبدو أنها شجعته على مصارحة جولدا مائير وانفجرت ضده رافضة التصريح له بقبول الدعوة... لعلمها بأخطار هذا الاتجاه السلامى على موقف حكومتها المتعنت... وقامت بين الاثنين وهما من الرعيل الأول للصهاينة مشادة انتهت إلى حد إلقاء جولدمان لجواز سفره الإسرائيلى فى محاولة تهديدية... وهو يحمل أربعة جوازات (أمريكى

أجهزة الإعلام الإسرائيلية تفجرت التناقضات داخل
حف أن جولدمان قد صرح بأنه التقى بمندوب مصرى
من جمال عبدالناصر... وكان ذلك يوم عودتى من باريس
جئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية... وتخيلت التأثير
جمال عبدالناصر.

لناصر شرحت فيه ظروف المقابلة
بدالخالق محجوب سكرتير الحزب
... السودانى الذى كان يقيم وقتها فى مصر ضيفاً على رئاسة الجمهورية...

مستبيحاً لنفسى كسر حصار السرية الذى تفرضه مثل هذه المقابلات على الإنسان... والذى لم أتحدث به مع أحد فى مصر مطلقاً إلا بعض الذين كانوا يعملون مع جمال عبدالناصر بحكم مراكزهم الرسمية.

كنت متوتراً من نشر أخبار مقابلتى لجولدمان... لما قد يصحب ذلك من تعقيدات وآثرت أن أروى للصديق العزيز بعض ما فى صدرى وأستمع إلى رأيه الحكيم.

وزاد من قلقى خلال هذه الفترة محادثة تليفرنية من شعراوى جمعة يتساءل عن السبب الذى دفعنى لإجراءمثل هذه المقابلة، ويقول لى فى شبه إشفاق (ربنا يجيب العواقب سليمة).

وكانت خلافات جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل إسرائيل عبرت عنها صحيفة الأهرام بما نشرته صباح يوم ١٨ أبريل ١٩٧٠ عندما قالت تحت عنوان (قضية جولدمان).

فجرت ـ حكاية جولدمان ـ والدعوة المزعومة التى قيل أنه تلقاها لزيارة القاهرة خلافات عميقة داخل المجتمع الإسرائيلى وكشفت عن القشرة الرقيقة التى تغطى التمزق الائتلافى فى حزب العمال (ماباى) وفى الحكومة الصهيونية عموماً.

ونقلت عن وكمالة الأنباء الفرنسية ما يأتى:

أن مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى الرأى داخل الكنيست وفى داخل الأحزاب السياسية نفسها وأن هذه الخلافات امتدت إلى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف:

١ ـ أن مجموعة من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس أمام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة: (إلى المطبخ يا جولدا... إلى القاهرة يا جولدمان).

٢ ـ الصحف تنقد الحكومة لأنها أساءت معالجة الأزمة.

٣ ـ طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع فى الكنيست.

٤ ـ جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل.

وذكرت (يونيتد برس).

أن جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبودلت فيها الاتهامات إلى حد السباب، وبادرت الحكومة إلى إغلاق الباب على القضية.

وأخيراً صرح جولدمان بأنه (لم يتلق دعوة وإن كانت هناك اقتراحات بذلك).

....

....

لم يغلق ملف القضية عند هذا الحد... بل فتح من جديد... تلقيت مكالمة تليفونية من أمين هويدى وزير الدولة فى ذلك الوقت يدعونى فيها إلى مقابلته فى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء حيث أطلعنى على تأشيرة لجمال عبدالناصر على الخطاب الذى رفعته إليه فور وصولى للقاهرة تطلب منى مواصلة الاتصال بجولدمان ومحاولة عقد صداقة معه.

هدأت أنفاسى، وأدركت أن جمال عبدالناصر يتصرف بأسلوب رجل الدولة المسئول الذى صقلته التجربة... والذى يلعب على تناقضات العدو لتحقيق هدفه الأصيل، هو تحرير الأرض العربية المحتلة، وإقرار حقوق شعب فلسطين الشرعية... والوصول بالموقف إلى سلام عادل شامل.

وتأكد ذلك فى خطبته يوم عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ عندما أشار إلى دور عناصر السلام داخل إسرائيل.

وليس هنا مجال الاطناب فى سرد آراء جولدمان... أو الوقوف عندها بالنقد والتحليل ولكنى أقف فقط عند التناقض الذى اقتنصه جمال عبدالناصر ولعب عليه... فليس أمراً سهلاً أن يختلف زعماء الحركة الصهيونية حول مفهوم السلام.

وقد أراد جمال عبدالناصر أن يزيد التناقض حدة... فكشف عن صلتى مع ناحوم جولدمان فى خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٢ يوليو ١٩٧٠ مدللاً بذلك على رغبة مصر فى السلام وعناد حكومة إسرائيل.

كانت هذه هى أول مرة فى تاريخ السياسة العربية بعد قيام إيرائيل يتحدث فيها زعيم عن العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها. ويثبت بذلك أن النظرة العربية السابقة إلى إسرائيل ككيان موحد متماسك قد تغيرت.

وقد وصلت هذه الاتصالات إلى الحد الذى دفع الكاتب (ناتان بالين مور) زعيم شتيرن السابق الذى توفى أخيراً إلى نشر حديث مع كاتب هذه السطور فى صحيفة (ها آرتس) اليومية ومجلة (اكتوا ليئيه) نشرته يوم ٢١ مارس ١٩٧١ ونشرته أيضاً بالعربية جريدة (الاتحاد) التى تصدر عن الحزب الشيوعى (راكاح) فى حيفا.

كان جمال عبدالناصر يتابع خطوات الاتصال ويناقش نتائجها، ويدخلها مع ضغوط حرب الاستنزاف فى حساباته السياسية - تماماً مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع.

واتسعت دائرة الاتصالات - شملت عدداً من أعضاء الكنيست، والكُتَّاب وأساتذة الجامعة، والجنرالات السابقين وغيرهم... الأمر الذى جعل للحق العربى جبهة عريضة داخل إسرائيل.

كل هذه الاتصالات كانت تتم فى نطاق سرية مطلقة وأنا أمارس عملى المعتاد رئيساً لتحرير روز اليوسف.



••• الفصل السادس عشر •••

- وفدنى جمال عبد الناصر مندوبا عنه لمقابلة جعفر نميرى فور نجاح حكومة ٢٥ مايو ١٩٦٩ فى السودان.
- الصلة بين جمال عبد الناصر وعبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى.
- انصار السلام الإسرائيليين يسردون قصص التوتر فى المجتمع الإسرائيلى من حرب الاستنزاف.
- تأثير مبادرة روجرز عل المتطرفين الفلسطينيين.. وأنصار السلام الإسرائيليين.
- عندما قال لى جمال عبد الناصر (قالوا لى أنت عامل عصابة فى روز اليوسف) وقلت له (دى عصابتك يا ريس).
- جمال عبد الناصر يعلن فى المؤتمر القومى للإتحاد الإشتراكى فى يوليو ١٩٧٠ عن صلتى مع ناحوم جولدين.

لم تكن الصلة مع ناحوم جولدمان والعناصر الإسرائيلية المؤيدة للسلام والحق العربى هى الصلة السياسية الوحيدة التى شاءت الظروف أن أقوم بها بعد عدوان ١٩٦٧.

كانت هناك صلة أخرى فرضتها الظروف فى الجنوب.. فى السودان .. عندما وردت الأنباء بأن حركة عسكرية قد قامت فى السودان يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩ بعد أيام من عودتى من باريس.. وكانت علاقتى مع الأشقاء فى السودان قد توطدت منذ ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ كما سبق أن ذكرت.

أبلغت شعراوى جمعة أن صلة تربطنى ببعض الأسماء التى تردد ذكرها فى قيادة الحركة.. وما هى إلا ساعات حتى كان سامى شرف يتصل بى ويقول أن الرئيس جمال عبد الناصر قد حدد موعدا لمقابلتى فى السادسة من مساء نفس اليوم.

وفى الموعد المحدد وجدت الصديق أحمد فؤاد فى مكب سامى شرف، ودخلنا معا إلى مكتب جمال عبد الناصر الذى كان متوثبا للحديث عن الحركة العسكرية فى السودان وعندما أبلغته أننى أعرف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى أعلن تشكيله فور نجاح الحركة (بابكر عوض الله، وهاشم العطا، وبابكر النور) طلب منا السفر إلى الخرطوم فى اليوم التالى مباشرة.. وأوضح لنا أنه يضع جميع طاقات مصر فى خدمة الحركة التى تهيئ لنا عمقا استراتيجيا نافعا فى معركتنا ضد إسرائيل.

لم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة مع نظام حكم الأحزاب الذى انقضت عليه حركة ٢٥ مايو ولكنه كان حريصا على المبادرة بتثبيت العلاقات الوطيدة بين القاهرة والخرطوم وخاصة فى هذه الظروف التى كنا نواجه فيها الهزيمة. ونعمل على

إزالة اثار العدوان، ونواصل اعادة بناء القوات المسلحة فى ظل حرب الاستنزاف المتصاعدة.

قال لى جمال عبد الناصر فى حماس واضح أنه على استعداد لوقف حرب الاستنزاف مؤقتا إذا احتاج الأمر لمساندة الحركة فى السودان.

وأذكر قوله لنا مداعبا وهو يوصينا بالسرية.. بأن النكت المصرية كانت تشيع بأننا سارعنا لمساعدة (ثورة على السفينة بونتى) وهو اسم لفيلم أمريكى.. ولكنه يضطر الآن لدعم حركة القطر الشقيق فى سرية بالغة.. قال ذلك فى دعابة لا تخلو من مرارة فرضتها ولا شك حساباته الخاصة فى الظروف التى كان يتحرك خلالها.

سافرنا على الطائرة المصرية العادية إلى الخرطوم.. ومن المطار ذهبنا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة وهناك التقينا مع جعفر نميرى وبابكر عوض الله اللذان طلبا منا حضور مأمون عوض أبو زيد الذى كان قد كلف بشئون الأمن من مجلس قيادة الثورة.

لم يكن وجود جعفر نميرى على رأس الحركة مفاجئا لنا فقد تردد اسمه خلال ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ عندما ذهب يوم ٢٦ أكتوبر وشارك فى حصار القصر الجمهورى وقدم عريضة وقعها ١٦٠ ضابطا تطالب بحل المجلس الأعلى للقوات المسلحة الأمر الذى استجاب له الفريق إبراهيم عبود.. وكن جعفر نميرى أيضا ضمن ثمانية ضباط اعتقلوا بعد ذلك إلى ان بادر فاروق أبو عيسى المحامى وسكرتير الجبهة الوطنية للهيئات بالذهاب إلى محطة إذاعة أم درمان وأعلن أن الثورة فى خطر.. فتدفقت الجموع إلى الشوارع فى ليلة جافلة لا تنسى.. طافوا يدقون الطبول ويهتفون للثورة، إلى أن صدر قرار بالافراج عن الضباط الثمانية الذين كان منهم جعفر نميرى وفاروق عثمان حمد الله.

لذا لم يكن وجود جعفر نميرى على رأس حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩ مفاجئا لنا.. ولكن المفاجأة كانت فى وجود كبير القضاة بابكر عوض الله نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة.صحيح أنه لعب دورا ايجابيا فى دعم الجبهة الوطنية للهيئات، ومارس دورا

قياديا فى ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ وصحيح أنه ووهو رئيس للقضاة قد استقال احتجاجا على تصرفات الحكومة التى كان يرأسها الصادق المهدى ورفضها لتنفيذ قرار المحكمة العليا الصادر بعدم قانونية تعديل الدستور الذى أباح للجمعية التأسيسية حل الحزب الشيوعى وفصل أعضائه منها عام ١٩٦٩.

ولكن ما هى الصلة التى يمكن أن تربط قاضيا.. بل رئيسا للقضاة بمجموعة من الضباط الأحرار الثوريين؟

سألت. وعلمت أن صلة بابكر عوض الله بالضباط الأحرار قد بدأت عقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤ عندما شكلت لجنة من القضاة لتطهير الجيش، وأنه كان على علم بخطة الضباط السودانيين الأحرار.

وفى غرفة الاجتماعات بالقيادة العامة للقوات المسلحة، أبلغت جعفر نميرى وبابكر عوض الله ومأمون عوض أبو زيد بمضمون رسالة جمال عبد الناصر، والتى وجدت منهم تقديرا واعتزازا شديدا وضح فى كلماتهم وفى حرصهم على دعم العلاقة مع مصر.

كانت هذه هى المرة الأولى التى أقوم فيها بدور مندوب شخصى عن جمال عبد الناصر مع قادة تربعوا فى مركز السلطة.. وكان الأمر مختلفا جدا عن الاجتماعات التى كانت تتم فى باريس خلال نفس الفترة الزمنية والتى كنت مفوضا فيها للحديث مع عناصر مضادة لحكومة إسرائيل.

الطريف فى هذه المقابلة أننا رتبنا مع جعفر نميرى اسلوبا للمقابلات والاتصالات السرية.. ولكنه ترتيب لم يدم طويلا، فسرعان ما توطدت العلاقة بين النظامين خلال القنوات الشرعية.

....

....

أمضيت مع أمد فؤاد يومين فى الخرطوم. اتصلنا فيهما مع أكبر عدد ممكن من المسئولين.. وحرصت أيضا على الاتصال مع عبد الخالق محجوب الذى ذهبت إليه

فى منزله بأم درمان.. وكان واضحا أنه متحفظ من ناحية أسلوب الحركة العسكرية، وأن كان مؤيدا لتوجهاتها.

وعندما رجعنا إلى القاهرة ذهبنا مباشرة من المطار إلى استراحة القناطر الخيرية حيث استقبلنا جمال عبد الناصر فى حرص الراغب فى معرفة الصورة الحقيقية لما يدور فى السودان.

كانت كلماته الأولى معنا.

ـ لماذا تأخرتم؟

وقلت له أننا أردنا أن نحصل على المعلومات من كافة ا لأطراف.. فسأل بصورة مفاجئة.

ـ هل قابلتم عبد الخالق محجوب؟

ـ نعم.

كان جمال عبد الناصر حريصا على أن نقيم جسرا من العلاقات مع كافة القوى والأحزاب السياسية فى السودان.. حزب الأمة ومحمد أحمد محجوب.. وزعماء الختمية والحزب الاتحادى الديموقراطى.. والحزب الشيوعى.. إلى جانب جعفر نميرى وقادة ووزراء حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩.

قابل جمال عبد الناصر محجوب عثمان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ووزير الاعلام فى أول وزارة شكلت بعد حركة ٢٥ مايو، وتم الاتفاق بينهما على ايجاد صلة بين مصر والحزب، ولم يكن لى دور مباشر فيها.

ويقول سامى شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات عن ذلك.

أن صلة كانت قائمة بين الرئيس جمال عبد الناصر وعبد الخالق محجوب سكرتير عام الحزب الشيوعى السودانى لما كان يتمتع به الحزب من موضوعية وما يناله من احترام فى صفوف الشعب السودانى، وأن المساعدات قد وصلت إلى حد الامداد بالسلاح سرا عن طريق بورسودان.

وقد قام بدور الصلة محمد أحمد سليمان الذى كان عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى.. وهو لا يمت بصلة إلى أحمد سليمان المحامى الذى أصبح عضوا فى الجبهة الإسلامية فيما بعد.

....

....

ظلت هذه العلاقة قائمة إلى أن وصلت من باريس عقب زيارة من الزيارات المتصلة التى كنت أقوم بها.. فقالت لى زوجتى أن الرئاسة قد طلبتك أكثر من مرة.

وعندما اتصلت قيل لى أن عبد الخالق محجوب قد وصل من الخرطوم وأننى مكلف باستقباله والاهتمام بضيافته.. وأنه موجود الآن فى منزل أحمد فؤاد.

ذهبت إلى أحمد فؤاد حيث التقينا وتبين أن جعفر نميرى قد أصدر قرارا بابعاده عن السودان.. بعد أن كانت العلاقة بينهما قد تدهورت نتيجة محاولة تدخل جعفر نميرى فى صفوف الحزب الشيوعى وتعيين بعض قياداته فى مناصب وزارية عن غير طريق القيادة الحزبية.. ودفاع عبد الخالق محجوب عن الكيان التنظيمى لحزبه.. الأمر الذى أحدث انقساما فى صفوف الحزب الشيوعى.

قصة طويلة من التناقضات التى يمكن أن تنشأ بين القوى الوطنية والحزبية إذا غاب الحرص على الوحدة الوطنية، وفقد الزعماء الصبر.

كان جعفر نميرى قد أرسل الصادق المهدى وعبد الخالق محجوب على طائرة واحدة.. وكنت أعرف مدى الخلاف بين الرجلين قبل حركة ٢٥ مايو عندما حاول الصادق المهدى أن يفرض دستوره الإسلامى ويحل الحزب الشيوعى.. وكنت أعرف أن ذلك لم يحل دون وجود حوار مشترك بينهما على الطبيعة السودانية.

علمت أن محمد حسنين هيكل قد كلف برعاية الصادق المهدى.. وكلفت أنا برعاية عبد الخالق محجوب.

استأجرت شقة لعبد الخالق محجوب فى عمارة بشارع سراى الجزيرة قريبة من منزلى وهى العمارة التى يقيم فيها الآن اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السابق.

وتدخل جمال عبد الناصر الذى فوجئ بموعد حضور الصادق المهدى وعبد الخالق محجوب.. تدخل عند جعفر نميرى وطلب منه السماح لهما بالعودة إلى السودان.. وهو ما حدث فعلا.

....

....

وكانت الصلة مع الزملاء فى فرنسا مستمرة، تواكب هذه الصلات التى كانت تتم مع الأشقاء فى السودان أيضا.

حرب الاستنزاف تتصاعد.. وانصار السلام القادمون من إسرائيل يسردون قصص التوتر التى تسود المجتمع الإسرائيلى ويتحدثون عن مآسى الأسر التى تفقد أبناءها فى سيناء. ويؤكدون أن تيار الدعوة إلى السلام ينمو ويشتد.

وكان زميل دفعتى اللواء عبد المنعم إبراهيم خليل يروى لى الأعمال البطولية التس يقوم بها الجنود المصريون تحت وابل من الغارات الإسرائيلية التى تنقطع.. والتى وصلت إلى حد رفعهم للعمل المصرى على الضفة الشرقية للقناة لمدة ثلاثة شهور دون أن يجرؤ الجنود الإسرائيليون على إنزاله، وارسال دورية من كتيبة كاملة للضفة الشرقية.

كان هناك توافق ملحوظ بين تصاعد حرب الاستنزاف، وبين ما كنت اسمعه من القادمين من إسرائيل.

كنت أقرأ تصريحات جولدا مائير رئيسة الوزراء التى تقول فيها (أن كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا أحداها نبتت بدلها أخرى) وتصريحات أبا ايبان وزير الخارجية التى يقول فيها (لقد بدأ الطيران الإسرائيلى يتأكل) ويزداد الأمل عندى فى تحقيق السلام نتيجة لضغط حرب الاستنزاف وضغط عناصر السلام على الحكومة الإسرائيلية.

وفوجئت يوما وأنا فى باريس استعد للسفر إلى القاهرة بإعلان جمال عبد الناصر قبول مبادرة روجز واعلان وقف اطلاق النار ويم ٨ أغسطس١٩٧٠ .

كان الخبر مفاجأة لى وللزملاء فى فرنسا. وقال لى هنرى كوريل أن الفرصة أصبحت سانحة لتحقيق السلام.

ولكن مفاجأة أخرى احاطت بى وأنا فى الطريق إلى الماطر.. انفجرت دعاية غربية صاخبة تهاجم مصر لتحريكها الصواريخ المضادة للطائرات رقم الهدنة التى تفرضها مبادرة روجرز.

ماذا وراء قبول المبادرة.. وماذا وراء الدعاية الإسرائيلية الصاخبة؟

الزملاء فى فرنسا عملوا على تقديم برنامج تليفزيونى جمع بين الزميل سعد كامل الذى كان فى باريس وبين الكاتب والصحفى الاسرائيلى المحرر بجريدة (الموند) أمتون كايليوك.. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يظهر فيها مصرى واسرائيلى على الشاشة الصغيرة أمام الشعب الفرنسى ويتحدثان معا حديثا مباشرا باقتراب السلام.

وفى القاهرة عرفت الحقيقة الكامنة وراء قبول جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز.. كانت الرغبة فى دفع حائط الصوراريخ إلى الشط الغربى لقناة السويس استعدادا لتنفيذ خطة العبور والاقتحام التى تم التدريب عليها بصورة كاملة، وبتعاون وثيق بين القادة المصريين والخبراء العسكريين السوفييت.

كان قبول مبادرة روجرز فى كل الحالات خطوة فى سبيل السلام. أما بمراجعة حكومة إسرائيل لمقفها.. وأما بوصول القوات المسلحة المصرية إلى المستوى الذى يجبر فيه إسرائيل على الانسحاب من سيناء.

....

كانت الواجبات السياسية التى كلفت بها فى فرنسا أو السودان تتم خلال عملى رئيسا لتحرير روزاليوسف، وعضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين.

ومع ذلك تعرضت إلى مواقف كانت تتناقض فى مظهرها مع التكليفات الجسيمة التى لا يكلف بها إلا من يكون موضع ثقة.

فى روزاليوسف.. عندما ترك أحمد فؤاد موقعه وصدر قرار بتعيينه رئيسا لمجلس إدارة بنك مصر بعد أن كان عضوا منتدبا.. صدر قرار بتعيين الزميل زحمد بهاء الدين رئيسا لمجلس إدارة روزاليوسف، وهو اختيار لا يمكن الاعتراض عليه لما يتميز به بهاء من خبرة صحفية ونظرة موضوعية وقيم سلوكية وعلاقة قديم بروزاليوسف.

أبلغنى شعراوى جمعة بالقرار قبل اجتماع الامانة لطليعة الاشتراكين وفوجئت به يقول أمام بعض الزملاء من أعضاء الأمانة العامة أننى توقعت أن يغضب أحمد حمروش من هذا التعيين ولكنه لم يفعل.

وآثر الزميل أحمد بهاء الدين بعد ذلك أن يقتصر فى عمله على رئاسة مجلس إدارة دار الهلال، وكان يجمع بين المنصبين فى وقت واحد.. صدر قرار بتعيين الزميل كامل زهيرى رئيسا لمجلس إدارة روزاليسوف ولم يكن قد وصل فيها إلى منصب رئاسة تحرير روزاليوسف أو صباح الخير.. بل نقل إلى منصبه من رئاسة تحرير الهلال الشهرية.

ولم يكن من عادتى أن احتج على صدور قرار يملك حق اصداره من يملك السلطة.. وتذكرت قرار خروجى من رئاسة تحرير مجلة التحرير، ومن المسرح القومى.. فلم أكن أسمح لنفسى بالشكوى من متاعب شخصية مع أى مسئول مهما كانت الظروف.

الاحتجاج فى القضايا العامة وطى الأمر فى الصدر للقضايا الخاصة.

وفوجئت يوما بعد زيارة جمال عبد الناصر فى استراحة القناطر الخيرية ونحن نناقش بعض القضايا التى تتعلق بالسودان.. فوجئت بأحمد فؤاد يقول لجمال عبد الناصر وهو يودعنا عند باب القاعة أمام الشرفة التى تطل على النيل (أن أحمد حمروش غاضب وزعلان).

ولم يكن فى جو الجلسة التى كانت قد امتدت أكثر من ساعة ما يوحى بذلك مطلقا.

ولذا كان هذا الحديث مفاجأة لى ولجمال عبد الناصر فى وقت واحد.

وتلفت إلى أحمد فؤاد مندهشا.. وكذلك فعل جمال عبد الناصر الذى سألنى قائلا.

ـ ما هو السبب؟

وقلت.

ـ أنا لا زعلان.. ولا غضبان.

وانبرى أحمد فؤاد قائلا.

ـ لا يا ريس.. زعلان وغضبان لأن كامل زهيرى عين رئيسا لمجلس إدارة روزاليوسف بينهما هو رئيس تحرير من سبع سنين تقريبا.

وقال جمال عبد الناصر وهو ينظر لى نظرة ثاقبة.

ـ قالوا لى أنك عامل عصابة فى روزاليوسف.

ودهشت من التعبير.. ولكنى لقطت ما كان يقصده.. وابتسمت قائلا فى مرح.

ـ دى عصابتك يا ريس.

وظهرت الدهشة على وجه جمال عبد الناصر وهو يتساءل.

ـ عصابتى.

ـ أيوه.. دول أعضاء طليعة الاشتراكيين. وقد نجحنا فى ضم أغلبية الشخصيات الوطنية المخلصة فى المؤسسة.

استراحت تضاريس وجه جمال عبد الناصر وابتسم وهو يضع يده على كتفى قائلا.

ـ خلاص.. سوف نغير الوضع ونعيده إلى أصوله.

وخرجت لاعاتب أحمد فؤاد على قوله، خشية أن يتصور جمال عبد الناصر أنى أطلب موضوعا شخصيا.. رغم أنى فى أعماقى لم أستطع الموازنة بين تكليفى بمسئوليات سياسية هامة وبين اتخاذ إجراءات وقرارات غير متوقعة.

ولكن.. لاشك أنها كانت لعبة التقارير كما أوضح عبد الناصر صراحة.

....

....

وفى أمانة طليعة الاشتراكيين كان هناك موقف آخر.

●●● الفصل السابع عشر ●●●

● ليلة رحيل جمال عبد الناصر المفاجئة.

● المذكرة التى رفعها عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسن إلى أنور السادات بعد وفاة عبد الناصر.. ماذا كانت تحوى؟ ما هو تأثيرها على مسار الأحداث.

● عبد الناصر كان يمهد لعودة عبد اللطيف البغدادى فى مركز مسئول ويرتب له رحله إلى موسكو.

● عبد الناصر يقول للبغدادى أننى كنت فى مأمورية بافريقيا.. بينما كان يعلم أننى فى فرنسا.

● شعراوى جمعه وسامى شرف يطلبان رأيى فى مقال (عبد الناصر ليس أسطورة).

● موسى صبرى وإحسان عبد القدوس وقاسم فرحات يهرعون إلى أنور السادات على غير موعد للاعتراض على انتقالى من روزاليوسف إلى الأخبار.

● ناثان بالين مور مؤسس حركة (شتيرن) يجرى معى حديثا

● ماذا دار مع شعراوى جمعه فى مكتبة ليلة أقالته يوم ١٣ مايو ١٩٧٠؟

● ناحوم جولدمان يصرح بأنه كان على استعداد لمقابلة ياسر عرفات.

عدت إلى المنزل مع زوجتى فوجدنا ابننا الصغير هانى (١٥ سنة) يستقبلنا بنظرة زائفة ويقول فى صوت متحشرج (الريس مات.. وصرخنا معا (مش معقول) .ولكن صورة أنور السادات على شاشة التليفزيون حملت الينا الخبر الحزين.

واتصلت بخالد محيى الدين الذى يسكن على بعد ٤ منازل فقط فى شارعنا.. وبعد دقائق كنا فى منزل جمال عبد الناصر.

قبل أن أغادر المنزل حرصت زوجتى على أن ابتلع قرصين من (الفاليوم) وهو مهدئ لا ألجأ إليه إلا نادرا.

كنت أبكى وانتحب كما لم أبكى وانتحب فى حياتى على فقدان عزيز.

كنت مشفقا على حال مصر.. وزعيمها يغيب بعد ٥٠ يوما فقط من وقف اطلاق النار بعد قبول مبادرة روجرز.. وهو الوحيد الذى يجمع فى يده خيوط الاستعدادات العسكرية والاتصالات السياسية.

وفى مكتب محمد أحمد رأيت العيون الباكية للأصدقاء، وسمعت الكلمات والتعليقات التى تشبه الانين. وعلمت أن جمال عبد الناصر قد نقل إلى ثلاجة قصر القبة حيث تجتمع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء لاتخاذ ترتيبات الجنازة.

أى كارثة حلت بنا نحن الذين عرفنا هذا الرجل ضابطا متميزا، ورئيسا للضباط الأحرار، وقائدا لحركة ٢٣ يوليو، وزعيما لشعب مصر، ورائدا من رواد القومية

العربية، ومناضلا عنيدا ضد الاستعمار، وساعيا من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والسلام؟

أى مصير ينتظر الشعب الذى تعلقت آماله بالرجل الذى غاب، ورغم قسوة الهزيمة ومرارتها؟

كل الكلمات ذوت.. وخيم علينا صمت رهيب.. كان يقطعه نحيب مفاجئ من محمد أحمد الرجل الذى رافق عبد الناصر كظله.

غادرنامنزل عبد الناصر لنصل إلى منازلنا والليل قد ولى.

وفى الصباح كانت شوارع القاهرة قد ازدحمت بالذين خرجوا حيارى، يطلبون الدفء في لقاء الآخرين بنفثون ما فى صدورهم أغنيات حزينة، لا يطيقون العودة إلى جدران مغلقة.

وقابلت أصدقاء قدموا من الخارج.. جعفر نميرى وفاروق أبو عيسى وبابكر النور وغيرهم من رجال حركة ٢٥ مايو استقروا فى الدور العاشر من فندق هيلتون. والذين تعلق بهم الشعب المصرى وهم يتجولون سيرا على الأقدام فى شوارع القاهرة.

وحضر من السودان أيضا عبد الخالق محجوب.

وحضر من باريس جان لاكوتير الكاتب الفرنسى الذى أصدر كتابا عن عبد الناصر والصديق ايريك رولو والفنان اليونانى (ميكيس تيدور اكيس) الذى تعرفت عليه فى باريس والصديق والزميل الصحفى جاك كوبار المحرر فى (اليومانيتيه).. وتلقيت برقيات تعزيه من ناحوم جولدمان ومن هنرى كورييل.

كانت أياما قاسية هذه التى أعقبت الوفاة إلى يوم الجنازة.

وقفت فى نادى الجزيرة انتظر الطائرة الهليوكبتر التى حملت جثمان جمال عبد الناصر من سراى القبة، لينقل إلى مجلس قيادة الثورة حيث بدأت الجنازة الرهيبة التى لم تشهد مصر لها نظيرا فى التاريخ.

....

غاب جمال عبد الناصر عن الحياة، وشعرت وقتها بفراغ رهيب.

من هو الرجل الذى يمكن أن يخلف جمال عبد الناصر وينال تقديرا واحترام العاملين معه؟ومن الذى سوف اتصل به ويتفهم طبيعة الاتصالات التى كلفت بها؟

وماذا سوف يحدث عندما تنتهى الفترة الأولى لوقف إطلاق النار بعد قبول مبادرة روجرز وبالتحديد يوم ٨ ديسمبر ١٩٧٠ ؟

لم يكن هناك مسئول سياسى يمكن أن أناقش معه القضايا السياسية التى كلفت بها.. ويكون قادرا على تفهم أبعادها، واتخاذ قرار فيها؟

ولم يكن هناك ما يمكن أن أفعل سوى أن انتظر.

لم يكن باقيا فى السلطة من أعضاء مجلس قيادة الثورة سوى أنور السادات نائب رئيس الجمهورية، حسين الشافعى.

وكان عبد اللطيف البغدادى النائب السابق لرئيس الجمهورية، الصديق الذى توطدت علاقتى به خلال هواية مشتركة لاحدى الألعاب الرياضية (الكروكية) واقتناعا منى بوطنيته وقدراته واحترامه لذاته الأمر الذى دفعه إلى الاستقالة عام ١٩٦٤ .. كان قد ابلغنى أنه وبعض زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين (كمال الدين حسين، زكريا محيى الدين) قد كتبوا مذكرة رفعوها إلى أنور السادات فور وفاة جمال عبد الناصر يطلبون منه فيها تشكيل جمعية تأسيسية تضع دستورا جديدا لمصر يسمح بالتعددية الحزبية، فلا يقتصر الأمر على تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى وحده. وكانت هذه المذكرة سببا فى اسراع المجموعة التى عملت مع جمال عبد الناصر على سرعة ترشيح أنور السادات رئيسا للجمهورية باعتباره شخصية أكثر طواعية، وأنه كان ملازما لجمال عبد الناصر حتى وفاته.

كانت هذه المذكرة نقطة تحول حقيقية فى السياسة المصرية رغم إنها لم تعلن.. إذلم يكن خافيا فيما أثق أن جمال عبد الناصر كان قد أعاد علاقاته الاجتماعية مع عبد اللطيف البغدادى وأنه بدأ يسهر معه سهرات خاصة، تمهيدا لاعادته للعمل فى منصب مسئول.

كان عبد اللطيف البغدادى يصارحنى بهذه الاتصالات التى كنت أرحب بها ثقة منى فى كفاءاته وامكانياته على العمل والعطاء.. وتمنيت أن يتحقق ذلك خاصة وأن عبد الناصر كان قد طلب من الدكتور مراد غالب سفير مصر فى الاتحاد السوفيتى أن يعد للبغدادى زيارة إلى هناك.

أذكر أننى كنت قد التقيت مع البغدادى ليلة العودة من باريس عقب احدى الزيارات.. وفوجئت به يقول لى أن جمال عبد الناصر قد أبلغه عندما أشار إلى اسمى فى أحد الأحاديث بأننى كنت فى مأمورية أرسلنى إليها.. وغلبنى الحرج فلم يكن أحد فى مصر يعلم بطبيعة ما قوم به من اتصالات.. وعندما غلبنى الصمت قال لى أننى كنت فى إفريقيا.

وتنفست الصعداء.. فقد أثر جمال عبد الناصر إلا يعلن ما يجب أن يظل سرا إلى أن يحين وقت إعلانه.

كانت المذكرة سببا رئيسيا فى سرعة ترشيح وانتخاب أنور السادات رئيسا للجمهورية.. وبدأت صفحة جديدة فى حياة مصر.

وفوجئت يوما بشعراوى جمعه يطلبنى لمقابلته فى مكتبه، حيث وجدت هناك سامى شرف.. وسألنى الاثنان عما إذا كنت قد قرأت مقال محمد حسنين هيكل (عبد الناصر ليس أسطورة) ولم أكن قد قرأت المقال، فطلب الاثنان أن أقرأه ليسمعا رأيى فيه.

ولم يكن هذا هو موضوع المقابلة.

قال لى الاثنان أنهما يدركان أننى فى روزاليوسف فى موقف غير مريح.. وأن على أن اختار مكانا فى الصفحة يرضى نفسيتى.

وتذكرت رسالة المشير عبد الحكيم عامر التى حملها لى طلعت خيرى كاتم أسرار الحربية لاختيار موقع فى القوات المسلحة بدلا من الكتيبة ١١٦ فى قوات المرابط أو إلا من الأمن والحراسة عام ١٩٥٥ عندما نقلت إليها دون سبب. واختيارى لإدارة التعبئة.

وتذكرت أيضا الحديث الذى دار مع جمال عبد الناصر منذ أسابيع عندما أبلغه أحمد فؤاد أننى أشعر بضيق فى روزاليوسف.

ووعد جمال عبد الناصر بحل المشكلة ولم يكن الاختيار أو القرار سهلا. وطلبت مهلة اللتفكير إصلاح الخطأ يتم دون طلب منى.

لم أشأ أن أصر على البقاء فى روزاليوسف، فقد كان الجو فيها قد تغير.. وطالت مدة عمل بها سبع سنوات تقريبا.. ورأيت الاختيار الأفضل فى أن أعمل كاتبا لا يتحمل مسئولية رئاسة التحرير فى وقت لم نكن نعرف فيه ماذا سوف يحمل لنا المستقبل.

فكرت كثيرا.. وأهتديت إلى أن أنسب مكان لى يمكن أن يكون فى جريدة الأخبار التى كان يرأس تحريرها موسى صبرى وتضم عددا من روساء التحرير الذى يكتبون فقط ولا يتدخلون فى العمل اليومى وهم محمد زكى عبد القادر وجلال الحمامصى وحسين فهمى.

وكانت تربطنى بموسى صبرى علاقة وثيقة بدأت فى جريدة الجمهورية عام ١٩٥٩ عندما عينه صلاح سالم رئيسا لتحريرها مع كامل الشناوى وناصر الدين النشاشيبى واسماعيل الحبروك.

لم تكن علاقة زمالة فقط.. ولكنها كانت صداقة عائلية.. نلتقى فيها أكثر من مرة فى الأسبوع الواحد.

وجدت أن العمل فى الأخبار كاتبا بدرجة رئيس تحرير هو خير لى من العمل رئيسا للتحرير فى روزاليوسف.. حيث تقل المسئولية واتفرغ لفكرة كانت تراودنى ولا أجد وقتا لتنفيذها وهى كتابة (قصة ثورة ٢٣ يوليو).

وأبلغت شعراوى جمعه أننى اخترت العمل فى جريدة الأخبار.. وأخذته الدهشة متسائلا.

مع موسى صبرى.

نعم.. فهو يمارس مسئولية رئاسة التحرير.. وتربطنى به علاقة طيبة.

استجاب شعراوى جمعه، وأبلغ محمد فايق وزير الإعلام.. ورفع الاثنان الأمر إلى أنور السادات الذى كان قد أصبح رئيسا للجمهورية، فأبدى موافقته.

وكنت قد أبلغت موسى صبرى حتى لا يبلغه الأمر من جهة أخرى.. وأثناء ابلاغي له فى منزلى بما تم، وجدت أنه قد سرح قليلا..وعندما سألته..

ـ أين كنت؟

قال موسى صبرى ونظرته مازالت سارحه.

ـ كنت أفكر فى المكتب الذى سوف تجلس فيه.

لم أتصور أن هناك مشكلة يمكن أن تثار حول هذ المسألة بعد أن وافق الجميع.

ومضت أيام.. ولم يصدر أمر التعيين.

وسألت محمد فايق عن أسباب التأخير.. فقال لى بأدبه الجم.. أننا ننتظر.

وسافر موسى صبرى إلى السويد رحلة صحفية.. ولم يصدر القرار.. وبعد عودته فوجئت به يقول لى أنه يرجو منى معاودة النظر فيما اخترت من عمل فى جريدة الأخبار.

أخذتنى دهشة بالغة.. فقد كان حديث موسى صبرى آخرما توقعت. واردت أن أبعث فى قلبه الاطمئان على موقعه رئيسا للتحرير فابلغته أننى لن أسهم فى أى مسئولية بجريدة الأخبار..ولكنى وجدت منه إصرار على موقفه بدعوى أنه لا يريد أن يخسرنى كصديق نتيجة خلافات فى العمل.

ما تصورت لحظة أن علاقة الصداقة التى كانت تربطنى بموسى صبرى أكثر من عشر سنوات يمكن أن تنتهى إلى مقاومته لعملى فى دار الأخبار.

واذكر اننى ذهبت معه إلى الصديق عبد الرءوف نافع أحد الضباط الأحرار، الذى تولى بنجاح كبير مسئولية العمل عضوا منتدبا فى دار التحرير ودار الهلال،

وتربطه علاقات صداقة بكثير من الشخصيات التى ترتاح إلى قيمة، وصراحته، وسلامته أحكامه، وبعد جلسة طويلة معه تصارحنا فيها جميعا قال لى عبد الرءوف نافع (أنصحك ألا تذهب إلى دار الأخبار، فأنك لن تلقى الجو الهادئ الذى تتطلع إليه).

لم يترك هذا الموقف أثرا سلبيا على من ناحية العمل.. ولكنه ترك أثرا سلبيا على من ناحية العلاقة مع موسى صبرى.

استعدت مواقف كان الكثيرون فيها تدهشهم علاقات الصداقة القائمة بيننا رغم اختلافات حادة فى بعض وجهات النظر.

أذكر خلال جلسة مع محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام أنه سألنى عما إذا كانت الصداقة التى تربطنى بموسى صبرى يمكن أن تجمعنا فى جلسة واحدة، لاستمع إلى خلافات فى الرأى كانت قائمة وقتها بين هيكل وموسى صبرى على أن أكون حكما يرتضى الاثنان رأيه.

وكان موسى صبرى يهاجم محمد حسنين هيكل فى أسلوب تعامله معه عندما عين رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم.. بينما أوضح محمد حسنين هيكل أنه أعطى موسى صبرى صلاحيات كاملة، ومنحه أكبر علاوة وحصل عليها كاتب فى أخبار اليوم وقدرها خمسون جنيها وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت.

وعرضت الأمر على موسى صبرى متصورا أنه لن يرفض، ولكنى صدمت برفضه للمواجهة دون سبب. ولم ارتح لموقف موسى صبرى وصارحته وقتها بذلك.

وأذكر المتاعب التى تعرض لها موسى صبرى من بعض المساعدين الذين عملوا مع خالد محيى الدين عندما عين رئيسا لمجاس إدارة أخبار اليوم، ووقوفى إلى جانبه فى محاولة لدفع الضيق عنه.. واعترافه بذلك ممتنا ونحن نجلس مع الشهيد عبد الخالق محجوب فى نادى السيارات وقطرات من الدموع تتساقط من عينيه.

مواقف كثيرة فى إطار الصداقة مع موسى صبرى.. ما كنت أتصور مطلقا أن تثمر مثل هذا الموقف.

وعلمت فيما بعد أن موسى صبرى وإحسان عبد القدوس وقاسم فرحات العضو المنتدب لدار الأخبار قد ذهبوا جميعا إلى أنور السادات فى استراحة القناطر الخيرية على غير موعد وأنهم ألحوا فى مقابلته إلى أن استقبلهم، واستجاب لمطلبهم الذى اعترضوا فيه على ذهابى لدار الأخبار كاتبا.

....

....

طويت هذه الصفحة وبقيت رئيسا لتحرير روز اليوسف.

وحرصت ألا تنقطع العلاقات مع الزملاء الذين اسهموا فى بناء علاقات مع العناصر المناصرة للتحرر والسلام فى مصر وإسرائيل.. واتصلت بسامى شرف الذين كان مازال فى موقعه مع السادات كما كان مع عبد الناصر.

وسافرت إلى باريس وقابلت ناحوم جولدمان الذى كان قد أسفر عن مواقفه بصورة أوضح خلال ثلاث مقالات نشرها فى جريدة الموند بتاريخ ٢٩، ٣٠، ٣١ مايو ١٩٧٠ قال فيها (لم أكن اعتقد حتى بعد الانتصار الساحق فى حرب الأيام الستة أن هذا النصر يمكن أن يؤدى إلى تسوية الصراع العربى الإسرائيلى.. وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسائل التى يلجأ اليها المسئولون عن السياسة الخارجية فى إسرائيل، ومع هذا فقد امتنعت لمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملتزمة حتى لا أعقد مهمة الحكومة التى انتسب إليها).

قام ناحوم جولدمان بدور أكثر ايجابية تعبيرا عن اقتناعه بأهمية السلام.. وإيمانا بما رواه عن حييم وايزمان الذى كان يرى أن الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم وانما بين حقين.

قال جولدمان فى إذاعة برلين الغربية أن مناحم بيجين ديماجوجى، مسعور، ماكر، ينتهج سياسة لا تعرض إسرائيل للخطر فحسب، بل لكارثة، وقال أيضا أن (ما هو حق لليهود هو حق للفلسطينيى).

وأخيرا صرح ناحوم جولدمان بأنه كان على استعداد لمقابلة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لأنه على ثقة من أنه لا يمكن إحلال السلام دون إجراء مباحثات مع الطرف الآخر.

....

....

وكانت هناك طلة جديدة قد نشأت بين عناصر فلسطينية وعناصر إسرآئيلية فى باريس أيضا .... لعب فيها هنرى كورييل وتنظيم (تضامن) دورا نشطا وإيجابيا.

خلال إحدى الزيارات إلى باريس، قمت بزيارة أحد الأصدقاء من اليهود المصريين، وعلمت أن له صلة صداقة مع الدكتور عصام الصرطاوى..ولم أكن قد سمعت به من قبل.. ولكنى عرفت أنه كان عنصرا منتقى لعب دورا هاما فى عقد صلات مع بعض العناصر الإسرائيلية المؤمنة بحق شعب فلسطين فى تقرير المصير.. واستمر يواصل هذا الدور بشجاعة إلى أن لقى حتفه برصاصة أطلقت من فلسطينى فى تنظيم إرهابى متطرف خلال مشاركته فى مؤتمر الأحزاب الاشتراكية فى برشلونة ممثلا لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٠ أبريل ١٩٨٣ .

لم يكن الدكتور عصام الصرطاوى وحده هو الذى اقتنع بأهمية الاتصال مع عناصر السلام فى إسرائيل.. ولكن كان هناك سعيد حمامى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن، والذى كان مقبلا على الحياة بحيوية نادرة، نبعت من هوايته للرياضة والثقافة. . ولعب هنرى كورييل دورا فى عقد اجتماع بينه وبين يورى افنيرى عضو الكنيست ورئيس تحرير مجلة (هاعولام هازيه) أو هذا العالم.. اغتيل سعيد حمامى أيضا يوم ٤ يناير ١٩٧٨ فى لندن.

ولحقت رصاصات الاغتيال عددا من الفلسطينيين الذين اقتنعوا بأهمية هذه الاتصالات.. عز الدين قلق فى باريس أول أغسطس ١٩٧٨ ونعيم خضير فى بروكسل يوم أول يونيو ١٩٨١ .

قام هؤلاء الفلسطينيون بدور الريادة فى معركة الصراع العربى الإسرائيلى، وشقوا طريقا صعبا، أصبح اليوم هو الطريق الذى تتحرك فيه منظمة التحرير الفلسطينية.

لم تكن الاتصالات مع عناصر السلام فى إسرائيل بعد وفاة جمال عبد الناصر مشابهة للاتصالات التى تمت فى حياته.. فقد كانت بعد وفاته تتحول إلى كلمات على الورق بلا حوار ولا صدى.. فلم تكن هناك صلة مباشرة مع أنور السادات.

....

....

كان أنور السادات قد أصبح رئيسا للجمهورية باستفتاء شعبى عام .. وتم اختياره لهذا المنصب بترشيح من المجموعة التى أحاطت جمال عبد الناصر خلال السنوات الأخيرة من حكمه.. وأصبح الدكتور محمود فوزى أول رئيس وزراء مدنى فى عهد ثورة يوليو بعد على ماهر...

وكان هذا الاختيار توفيقيا.. اذ قبل جميع الأطراف أن يكون فى هذا الموقع.. وكنت قد طلبت من شعراوى جمعه أن يرشح نفسه رئيسا للوزراء ثقة فى وطنيته، ولأنه كان المسئول الفعلى فى الاتحاد الاشتراكى بصفته أمينا لطليعة الاشتراكيين. ولكنه همس لى بأن ذلك لن يرضى بعض الوزراء، وضرب مثلا بحمدى عاشور وعزيز صدقى.. وكان أمين هويدى أيضا قد اعتذر عن عدم دخول الوزارة، ولما سألت شعراوى جمعه عن سبب ذلك أبلغنى أنه لا يعرف لذلك سببا وتمنى أن أقنع أمين هويدى بتغيير رأيه.. وقد ذهبت إليه فى منزله، وحاولت، ولكنه رفض دون أن يصارحنى بسبب معين.

أيقنت بعد تشكيل الوزارة أن هناك خلافات قد بدأت بين المجموعة التى أحاطت بجمال عبد الناصر.. وأشفقت أن ينفرط عقدها.. وأن يتعرض النظام بعد ذلك إلى مخاطر مجهولة.

وفى ليلة عشرة مايو ١٩٧٠ زارنى الصديق أحمد كامل أحد الضباط الأحرار والزميل فى المدفعية، والذى كان قد عين رئيسا للمخابرات العامة، ووجدت أنه ثائر وفى حالة نفسية سيئة. وصارحنى بأنه قد توفرت له معلومات مزعجة بحكم منصبه عن جميع المسئولين فى المراكز القيادية الكبيرة وأنه يفكر فى الاستقالة.

لم أحاول معرفة المعلومات التى أثارت غضبه وضيقه.. ونصحته بأن يلتزم الصبر والهدوء، فالموقف لا يحتمل، وكانت بعض الأخبار قد تسربت عن خلافات بين أنور السادات والمجموعة التى وقفت وراء ترشيحه رئيسا للجمهورية.

كان الجو مليئا بالأخبار والشائعات والتربص أن صح التعبير.

وفى مساء يوم الأربعاء ١٢ مايو ١٩٧١ تلقيت مكالمة من شعراوى جمعه يطلبنى فيها للحضور إلى مقابلته.. وذهبت إليه فى مكتبه بوزارة الداخلية.. وكنت مشحونا بما سمعته من أحمد كامل وما سمعته من أخبار وشائعات وبادرته قائلا.

ـ ايه الحكاية.. ماذا يدور فى البلد؟

وقال شعراوى جمعه.

ـ نحن نحاول التهدئة مع أنور السادات.. ولكن حسين الشافعى لا يجعل الأمور تجنح إلى الهدوء.

وصارحت شعراوى جمعه بقولى أنه لو خرج أى مسئول فى الاتحاد الاشتراكى، فأنه لن يتحرك كرسى فى أى مقهى.

وفوجئت بشعاوى جمعه يقول.. بل لو حل الاتحاد الاشتراكى كله فلن يتحرك أحد.

وعندما حاولت الاطمئنان منه قال لى اطمئن فأننا لا نرسل له تقارير المخابرات ولا المباحث.

وأثناء المقابلة تلقى شعراوى جمعه مكالمة تليفونية تبلغه أن أنور السادات لن يقوم بزيارة دمنهور.. وهى زيارة كانت مقررة فى اليوم التالى.. واكتسى وجهه بوجوم ملحوظ.

خرجت من عند شعراوى جمعه بقلب ثقيل.. وتوقعت أمرا مجهولا لا أعرف أبعاده.. فقد كانت صلتى بقلب الحركة السياسية فى أمانة طليعة الاشتراكيين قد انتهت منذ توقفت دعوتى لاجتماعاتها مع أمين هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيلى.

وفى اليوم التالى الخميس ١٣ مايو تلقيت مكالمة تليفونية بأن استقالة شعراوى جمعه قد قبلت.. واستبدت بى الدهشة فما توقعت أن تكون هذه هى الخاتمة.. وأسرعت أتصل بالصديق أحمد كامل رئيس المخابرات العامة فى منزله فابلغنى أنه لم يعلم إلا من الاذاعة، وأن عنده خالد فوزى الذى كان قد انضم إلى الحرس الحديدى الذى شكله يوسف رشاد الياور البحرى للملك فاروق، ثم ارتبط بالضباط الأحرار.. وكان على علاقة طيبة مع أنور السادات.

وفى المساء زارنى أحمد فؤاد وسفير السودان محمد سليمان وجلسنا إلى ما بعد منتصف الليل نسمع أخبار الاستقلات الجماعية، ونقلب وجهات النظر، ويسيطر علينا الضيق والتشاؤم.. وفى الأعماق توتر وقلق.



●●● الفصل الثامن عشر ●●●

- أنور السادات يتصل بى بعد منتصف ليلة انقلاب هاشم العطا فى السودان.
- السفر إلى الخرطوم على طائرة خاصة مندوبا عن أنور السادات لمقابلة قادة الانقلاب.
- سلطات السودان ترفض التصريح بهبوط الطائرة فى الخرطوم.. ثم تصرح بعد نصف ساعة!
- ماذا دار فى لقائى مع هاشم العطا؟
- آخر لقاء مع عبد الخالق محجوب قبل إعدامه.. من فندق السودان إلى المطار.
- أنور السادات يتحدث مع عن روزا ليوسف قبل أن نتحدث عن نتائج زيارة الخرطوم!!
- أنور السادات يطلب منا الجلوس أنا وأحمد فؤاد حتى يتأخر فى مقابلة بوريس بونا ماريف العضو الاحتياطى فى المكتب السياسى السوفيتى.
- قال لى أنور السادات.. كنت سأعينك فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لولا..!
- آخر لقاء مع أنور السادات امتد ساعتين ونصف قال بعده (أنت تعبتنى يا أحمد.. أنت تعبتنى يا أحمد)

تغيرت صورة المسئولين عن الحكم فى سرعة خاطفه.

استطاع أنو السادات أن يدبر خطته، وأن يعتقل فى ليلة واحدة كلا من على صبرى نائب رئيس الجمهورية وسامى شرف وزير رئاسة الجمهورية والفريق أول محمد فوزى وزير الدفاع، وشعراوى جمعه وزير الداخلية، وأحمد كامل مدير المخابرات العامة، ومحمد فايق وزير الإعلام، والدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة، وضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا.

دخل الجميع السجون.. وبدأت الصحف تتحدث عن مؤامرة ١٥ مايو.. وبدأت التحقيقات مع الوزراء السابقين، وظهر أنور السادات على شاشة التليفزيون يهدد ويتوعد بأنه سوف يفرم كل من يقف فى طريقه!

رؤساء التحرير فى جميع الصحف لم يتبدلوا.. ولكن لهجة الصحف تغيرت.. وأخذت تطارد المسئولين السابقين بالاشاعات والأكاذيب.

وبدأت أشعر أنى غريب عن الجو الجديد.

وقرأت تحقيقا صحفيا فى جريدة أخبار اليوم على صفحة كاملة يقول أن عضوا فى مجلس إدارة نادى الجزيرة كان من مراكز القوى.

كان الدكتور عبد القادر حاتم قد أعاده أنور السادات نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاعلام مرة أخرى.. بعد أن كانت مسئولياته قد تقلصت وعين مسئولا اعلاميا عن شئون اليمن.

وذهبت إليه فى مكتبه. وطلبت منه معرفة السبب الذى من أجله نشر هذا التحقيق، وعن اسم الكاتب.. فقد كان صادرا من وكالة أنباء الشرق الأوسط، وهى جهاز تابع للوزير مباشرة.

ولم يجد الدكتور عبد القادر حاتم اجابة على التساؤلات التى وجهتها له سوى القول بأن محمد سعيد سكرتير سامى شرف قد قال فى أقواله وهو معتقل بأن الدكتور حاتم كان على اتصال مع سامى شرف!

ازداد شعورى بالغربة.. وأخذت أتابع ما ينشر عن حركة ١٥ مايو، وفى صدرى تساؤلا لا يخمد عن الوسيلة التى استطاع بها أنور السادات أن يدخل كل هؤلاء المسئولين إلى السجن وهم فى جميع هذه المراكز الحساسة.

وحرصا منى على توضيح الاتصالات التى كنت أقوم بها فى عهد جمال عبد الناصر بصورة رسمية رغم شعور جارف فى النفس بعدم الرغبة فى متابعة هذه الاتصالات بعد أن غاب الزعيم الذى احتضنها. قابلت مستشار الأمن القومى حافظ اسماعيل ورويت له القصة من بدايتها، وطلبت منه اجابة عما يجب أن أفعل، وخلال زيارتى له قابلت اللواء محمد الليثى ناصف رئيس الحرس الجمهورى وكان صديقا لى من شبرا حيث كنا زملاء فى المدرسة، وتربط أسرتينا صلات عائلية.. وروى لى أن أنور السادات قد أبلغه أن سامى شرف يقترح نقله محافظا بناء على طلبه.. ولم يكن قد طلب ذلك من سامى شرف، فقال ذلك للسادات، وبدأ يتعاون معه كرئيس للجمهورية بعد أن شعر أن هناك خطة لانتزاعه من موقعه.

....

....

مضت الأيام بطيئة ثقيلة، يخيم عليها ما تنشره الصحف من أخبار مثيرة.. وأصبحنا فجأة نطالع ما لم نكن نتوقع.

وفى ليلة ١٩ يوليو ١٩٧١ كنت أتناول العشاء فى دار الصديق المرحوم أمين الشبلى فى دار كان يسكنها قريبا من نادى الصيد ويطلق عليها اسم (فيلا مايو) .. عندما أذيع أن انقلابا وقع فى السودان تحت قيادة الرائد هاشم العطا ومعه بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله من مجلس قيادة حركة ٢٥ مايو إلى جانب أعضاء جدد.

تدبرت الأمر مع أمين الشبلى.. ورأينا أنه من الواجب أن نبلغ رئيس الجمهورية بذلك، حرصا على علاقات الصداقة بين مصر والسودان.

لم يكن هناك مسئول اتصل به ليبلغ رئيس الجمهورى.. فجميع من أعرف كانوا خلف السجون.

وطلبت نمرة سامى شرف القديمة، ورد على صوت ذكرت له اسمى، ووجدته يعرفنى، وإن اسمه هو الدكتور العمرى وابلغته بما سمعت عن أنباء الانقلاب وطلبت منه أن يبلغ رئيس الجمهورية بذلك.

وعندما وصلت منزلى بعد منتصف الليل ابلغتنى ابنتى التى لم تنم انتظارا لعودتى بأن أنور السادات قد اتصلى بى ثلاث مرات، وترك نمرة تليفون، طلبتها فجاء رده من مرسى مطروح.. وسألنى عما أعرفه عن الحركة العسكرية فى السودان.. فابلغته أننى أعرف هاشم العطا معرفة شخصية وأننى أثق فى وطنيته، وحرصه على وجود علاقات طيبة بين مصر والسودان.. وهنا سألنى أنور السادات ولم أكن قد التقيت به منذ عين رئيسا للجمهورية، عما إذا كان ممكنا لى السفر إلى الخرطوم لأن الأخوة فى ليبيا وسوريا تساورهم المخاوف من ناحية الحركة العسكرية فى السودان ـ على حد تعبيره ـ وأنهم يضغطون عليه.

ولما أبديت له استعدادى للسفر، أبلغنى بأن اللواء أحمد اسماعيل مدير المخابرات العامة سوف يتصل بى لأخذ الإجراءات الضرورية للسفر ـ وأحمد إسماعيل كان مدرسا لى فى كلية أركان الحرب ـ وانتهت المكالمة حوالى الساعة الواحدة والنصف صباحا، دون أن أى توجيه مطلقا ودون ذكر لاسم جعفر نميرى.

وبعد دقائق اتصل بى أحمد اسماعيل وأبلغنى أنهم فى سبيل أعداد طائرة حربية خاصة للسفر إلى السودان.

وبعد دقائق اتصل بى عبد القادر حاتم وأبلغنى أن الرئيس أنور السادات يطلب أن يسافر معى أحمد فؤاد، زميلى السابق فى رحلة السودان لمقابلة قادة حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩، ورحبت بذلك.

وبعد فترة بسيطة اتصل بى اللواء أحمد اسماعيل وابلغني أن السلطات فى السودان رفضت التصريح بهبوط طائرة مصرية فى الخرطوم.. فطلبت منه أن يبلغهم بأننى سوف أكون فى الطائرة.. وانتظرت الرد.

وبعد نصف ساعة اتصل بى أحمد اسماعيل وابلغنى أن سلطات السودان قد صرحت للطائرة بالهبوط وأن الطائرة جاهزة فى مطار ألماظة الحربى.. وأن على التوجه إلى هناك.

لم يعرف النوم طريقه إلى جفونى.. فقد اختلطت الأفكار فى رأسى مع رنين التليفون الذى لم ينقطع.

أى فارق بين هذه المأمورية التى يكلفنى بها أنور السادات.. والمأمورية السابقة التى كلفنى بها جمال عبد الناصر.

إننى على وشك السفر.. ولست أحمل رسالة لقادة الحركة العسكرية الجديدة. وليس عندى من حافز سوى الرغبة فى الاحتفاظ بجسر الصداقة بين القاهرة والخرطوم.

لم يتحدث أحد معى عن جعفر نميرى.. ولم يذكر السادات اسمه.. ولم أكن أحمل له فى قلبى الشماعر السابقة التى صاحبت حركة ٢٥ مايو، فقد تنكر لبعض أفكاره وأصدقائه، وأثر غياب جمال عبد الناصر على حركته فأطلقها فى اتجاهات متناقضة مع الأهداف التى بشر بها.

كان قد مضى على أكثر من عام لم أزر فيه السودان.. وكان عاما مليئا بالأحداث الكبيرة..

....

....

حضرت لنا عربة حملتنى مع أحمد فؤاد حيث كان اللواء على بغدادى قائد القوات الجوية قد أعد العدة لكل شيئ.

أقلعت الطائرة ظهر يوم ٢٠ يوليو وهبطت فى مطار الأقصر، حيث تم اتصال جديد مع الخرطوم للتأكد من التصريح للطائرة بالهبوط فقد كان المجال للسودان مغلقا.

وبعد أن تم التأكد من كل شىء أقلعت الطائرة الحربية الخاصة فوصلت مطار الخرطوم بعد أن غربت الشمس وعم الظلام المطار.

وما أن نزلت من الطائرة حتى وجدت بعض الضباط والجنود السودانيين يحيطون بنا وقد حملوا أسلحتهم وطلبوا منا التوجه إلى قاعة الاستراحة.. ولكنى طلبت منهم أن نتجه مباشرة لمقابلة الرائد هاشم العطا.. وكان الصمت هو الجواب.

وبعد فترة حضر لنا أحد الضباط مندوبا عن القيادة مرحبا.. وطلب منا أن نذهب إلى الفندق لنستريح على أن نلتقى بالرائد هاشم العطا صباح يوم ٢١ يوليو.. ولكنى طلبت منه أن نتوجه إلى القيادة فورا فقد كنت مشوقا لمعرفة الأخبار.. ولم يكن سهلا أن أدام فى الخرطوم وأنا لا أعرف شيئا عن الأحداث التى وقعت وحظر التجول لا يسمح بالخروج.

ولم يجد مندوب القيادة بدا من أن نذهب أحمد فؤاد وأنا إلى مبنى القيادة.. نفس المبنى الذى استقبلنا فيه جعفر نميرى منذ سنتين وشهرين فقط.. بعد أن وثب إلى السلطة.

لم يكن هاشم العطا موجودا.. وتعرفت على بعض أعضاء مجلس القيادة الجديد.. الذين قابلتهم فى القاهرة خلال السنوات الماضية حيث كانوا يدرسون.. وقالوا لى أن الحركة قد نجحت تماما فى مدة لا تزيد عن ٤٥ دقيقة.

....

....

وصل هاشم العطا قبيل منتصف الليل.. كنت قد عرفته فى القاهرة عندما زارنى فى مكتبى بروزاليوسف قبل حركة ٢٥ مايو موفدا من عبد الخالق محجوب للتعرف على طبيعة عمل الضباط الأحرار فى مصر وأسلوب حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..والتقيت به بعد ذلك فى السودان بعد أن أصبح عضوا فى مجلس قيادة الثورة لحركة ٢٥ مايو عقب استدعائه من عمله ملحقا عسكريا فى بون.

كان هاشم العطا شابا مليئا بالحيوية، مثاليا فى أخلاقه وسلوكه، يأخذ الأمور بجدية وصرامة قد تكون بعيد نوعا ما عن الطبيعة السودانية السخية بالعواطف والمجاملات.

وعندما وجدنا نستقبله فى غرفة قيادته أقبل علينا مرحبا ومعتذرا بأنه كان عند (الأخ الرئيس جعفر نميرى).

كان يتحدث عن جعفر نميرى فى احترام.

وعندما أبديت لهاشم العطا بعض القلق من أن بيانهم الأول لم يتحدث عن علاقة مصر بالسودان، سارع إلى التأكيد بأن أول وفد من مجلس قيادة الثورة سوف يتجه إلى القاهرة، ولعله يلحق الاحتفال بعيد ٢٣ يوليو.

وأكد لى هاشم العطا أنه يؤمن بطبيعة العلاقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التى تربط شعبى مصر والسودان.. وأن حركة ١٩ يوليو لم تقم إلا احتجاجا على الممارسات الفردية لجعفر نميرى التى أفقدت حركة ٢٥ مايو مضمونها.

وكان جعفر نميرى قد أصدر قرارا أعفى فيه هاشم العطا وبابكر النور وفاروق عثمان حمد الله من عضوية مجلس قيادة الثورة.

وبعد اجتماع طويل حرص فيه الحاضرون على معرفة توجهات مصر بعد ما حدث فى ١٥ مايو اتفقنا على لقاء آخر مع هاشم العطا لابلاغنا بقرار مجلس قيادة

الثورة مجتمعا. فقد كان هاشم العطا حريصا أثناء حديثه على التأكيد بأنه لا يريد أن ينفرد برأيه.

وعند الخروج فى الثانية صباحا سألت هاشم العطا عن عبد الخالق محجوب فقال لى أبحث عنه أنه مطلق السراح.

....

....

أمضينا الليلة فى فندق السودان.. وخرجنا فى الصباح الباكر إلى منزل عبد الخالق محجوب فى أم درمان.. لم يكن هناك.. خرجت معنا زوجته نعمات للبحث عنه.. وذهبنا إلى أكثر من صديق.. لم نعثر عليه.

كانت شوارع الخرطوم هادئة.. تسير الأمور فيها بطريقة عادية.. لا يلفت النظر سوى بعض مدرعات تتأثرت هنا وهناك.

وشاهدت هاشم العطا فى حيويته المعروفة، يمر على أطقم الدبابات يصافحهم.. ولوحنا له من بعيد.. فقدم لمصافحتنا.

توجهنا إلى القيادة العامة للقوات المسلحة للاجتماع فى الموعد المحدد. الحادية عشرة صباحا.. وهناك وجدنا المجلس مجتمعا بكامل تشكيله.. وقال لنا هاشم العطا أنه يؤكد ما ذكره لنا أمس من حرص على استمرار العلاقات الطيبة مع مصر. وأنهم لا يطلبون شيئا سوى تسليم الأشخاص المسئولين الذين سيقدمون إلى محاكمة علنية جزاء ما اقترفوا من أخطاء خلال الفترة السابقة.. وأكد أيضا أن أول وفد سودانى يمثل مجلس قيادة الثورة سوف يتجه إلى القاهرة.

ذهبنا إلى فندق السودان، وأبلغنا الطيارين بالاستعداد للسفر.

وأثناء استراحه فى بهو الفندق قبل دقائق من التحرك إلى المطار غفوت قليلا.. واستيقظت على يدى شخص تحيط بعيلى.

كان عبد الخالق محجوب.. علم أنا نبحث عنه فأسرع بالحضور.. وروى لنا قصة اعتقال جعفر نميرى وقصة خروجه من المعتقل.

كان جعفر نميرى محدد الاقامة فى القصر الجمهورى.. وكان عبد الخالق محجوب هاربا فى منزل مدير الحرس الجمهورى.

واصلت الحوار مع عبد الخالق محجوب الذى أصر أن يودعنا بنفسه فى المطار.. وتيقنت خلال الطريق من الفندق إلى المطار أن العلاقات بين مصر والحركة العسكرية الجديدة فى السودان يمكن أن تكون فى أحسن حال لولا شكوك كانت تغمر صدرى من الأسلوب الذى يمكن أن ينتهجه أنور السادات.

....

....

وعندما وصلت الطائرة الحربية الخاصة إلى القاهرة فى التاسعة مساء وجدنا مندوبا من أنور السادات يبلغنا أنه سوف يقابلنا غدا.

لم نذهب إليه مباشرة من المطار كما اعتدنا مع جمال عبد الناصر الذى كنا نجده ينتظرنا فى شوق وترقب.

ذهبت إلى المنزل حيث استغرقت فى النوم بعد تعب شديد طوال يومين، ورحلة بالطائرة استغرقت سبع ساعات فى الذهاب ومثلها إلا أقل قليلا فى الأياب.. وفى الصباح كان عندى بالمنزل الصديق الصحفى اللبنانى فؤاد مطر الذى حضر يتحرى ما هو دائر فى السودان وكان وقتها يعمل فى جريدة النهار اللبنانية.

ذهبت لمقبلة أنور السادات فى استراحة القناطر مع الصديق أحمد فؤاد.. وصلنا العاشرة صباحا.. ولم يكن أنور السادات فى انتظارنا. وجلسنا فى الحديقة تحت احدى الأشجار العتيقة التى تتميز بها هذه الاستراحة.. وعندما طال تأخير أنور السادات أكثر من نصف ساعة قلت لأحمد فؤاد لعله من الأفضل أن نكتب له ورقة بما حدث بدلا من الحديث الشفوى.. وطلبنا من أحد الياوران ورق سجلنا عليها صورة الاستقرار التى

شاهدناها والمطالب التى تقدم بها هاشم العطا من رغبة فى تسليم بعض المسئولين الذين سيقدمون للمحاكمة.

وعندما حضر أنور السادات تصورت أننا سندخل فى الموضوع الدقيق الحساس مباشرة.. ولكنى وجدته يفتح موضوعات أخرى عن روزاليوسف والفساد (المعشش) فيها ـ على حد تعبيره ـ وانتخابات نقابة الصحفيين التى سقط فيها موسى صبرى فى منافسته لمنصب النقيب ضد على حمدى الجمال.. وقد قال لنا أنور السادات فى بساطة أنه نصح موسى صبرى بعدم الترشيح لأنه لن ينجح لأنه قبطى.

هكذا ببساطة كان يتحدث أنور السدات، دون أن ندخل فى الموضوع الذى ذهبنا إليه فى السودان.. وأردت أن أضع حدا لهذا الحديث المتشعب، فقدمت له الورقة التى كتبتها عن مطالب الأخوة فى السودان.. ولكنه لم يقرأها ووضعها على المائدة واعدا بأن يقرأها.

وفوجئت أنا وأحمد فؤاد مفاجأة هائلة عندما قال لنا أنه يبدو أننا لا نعلم أن بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله قد هبطت الطائرة التى تقلهما من لندن إلى الخرطوم فى ليبيا وانهما رهن الاعتقال هناك.

ولم أتمالك نفسى من القول (يا نهار أسود.. ده السودانيين حيثورو أكثر ضد اللى حصل.. أرجوك تكلمهم علشان يفرجوا عنهم بدل ماتتعقد الأمور).

ولكن أنور السادات استقبل انفعالى بهدوء.. وقال طيب لما نشوف.

وأثناء جلوسنا معه تحت هذه الشجرة العتيقة التى يمتد عمرها مئات السنين دخلت قافلة من العربات، وقفت عند سلم الاستراحة.. وكانت تقل بوريس بوناماريف العضو الاحتياطى فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى.

وحاولت أنا وأحمد فؤاد أن ننهى الجلسة حتى يتفرغ الرئيس لمقابلة ضيوفه فى الموعد المحدد. ولكنه طلب منا الجلوس.. وكأنه متعمد أن يتركهم فترة من الوقت قبل أن يذهب لمقابلتهم.

وبعد برهة.. تصافحنا وأنا أقول له أرجو ألا تنسى فى خطاب ٢٣ يوليو أن تلقى كلمة تأييد للحركة فى السودان.

....

....

ولكن يبدو أننى كنت أحلق بعيدا عن الواقع الذى كان يختمر.. فما أن غادرنا استراحة القناطر الخيرية حتى كدت أقول إذا وأحمد فؤاد فى نفس واحد (مش معقول).

نعم.. لم يكن معقولا أن يركز أنور السادات اهتمامه على اليسار فى روزاليوسف، وأن تشغله انتخابات نقابة الصحفيين، وأن يضع الورقة التى كتبناها له عن رحلتنا على المائدة دون أن يقرأها، وأن يتعمد الإساءة إلى ضيفه السوفييتى.

وما أن وصلت إلى روزاليوسف حتى كانت أنباء إجبار طائرة الخطوط الجوية البريطانية على الهبوط فى مطار طرابلس قد أذيعت، وتلاحقت الأنباء فى سرعة عما تم فى الخرطوم من حركة مضادة، أدت إلى عودة جعفر نميرى إلى الحكم مرة أخرى.

تلاحقت الأنباء من الخرطوم عن أحداث أدت إلى مصرع عدد من الضباط، واعتقال هاشم العطا وزملائه، واعتقال قادة الحزب الشيوعى عبد الخالق محجوب سكرتيره العام، والشفيع أحمد الشيخ رئيس اتحاد نقابالت عمال السودان وغيرهما.

غمر التوتر المشاعر.. وخطب أنور السادات ليلة ٢٣ يوليو، وبدلا من تحية الحركة العسكرية التى قامت يوم ١٩ يوليو، أعلن فشلها، قائلا أنه قد ثبت أن الاتحاد العربى الذى يجمع مصر وليبيا وسوريا قد ولد وله أنياب!

وبعد أسبوع من العودة طلبنى أنور السادات فى مكتبى بروزاليوسف وطلب منى الحضور لمقابلته فورا فى استراحة القناطر الخيرية.

وصلت الاستراحة حوالى الواحدة ظهرا، وقابلته فى الساعة الثانية إلا ربع تقريبا.. وكان الياور المناوب قد ابلغنى أنه يستقبل لطفى الخولى.

كانت المقابلة فى عوامة ترسو فى النيل مواجهة لاستراحة القناطر.. وكان أنور السادات يجلس جلسة هادئة والى جواره راديو صغير.. وما أن صافحنى حتى قال لى:

ـ أنا كنت حاعينك فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى لولا تقريرك عن السودان.

وكان أنور السادات قد قام بعملية تغيير شاملة فى الاتحاد الاشتراكى.

سألت.

ـ أى تقرير؟

وأجاب.

ـ تقريرك عن السودان.

وقلت له.

ـ تقصد الورقة التى كتبتها أنا وأحمد فؤاد ونحن ننتظر حضورك، وذكرنا فيها مطالب أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين التقينا بهم.

ولم يكن أنور السادات قد قرأ الورقة فى حضورنا.. ولم يكن قد قرأها أيضا بعد ذهابنا كما علمت فيما بعد من حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية والذى كان قد حول عليه هذه الورقة لمعرفة ما جاء فيها.

وقلت له.

ولكنها ليست تقريرا.. إنها مطالب أبلغت لنا فحملناها إليك.

وهنا سألنى.

ـ وما رأيك الشخصى فيما حدث فى السودان.

ورأيت أنى أخوض موضوعا شائكا فقلت له.

ـ ليس لى رأى غيرها يرتضيه شعب السودان.

وهذا بدأ حوار بينى وبينه طلبت منه فيه أن يتدخل لإنقاذ المعتقلين من الاعدام حتى لا يغرق السودان فى بحر من الثأر والدماء... ولكنه استمع وهو يهز رأسه فيما يشبه عدم الاكتراث.

وانتقل الحوار فجأة إلى قوله بأن السوفييت لا يمدونه بالسلاح المتطور، وأن ذلك يضعهم فى مستوى واحد مع الأمريكيين. وكا ن الرأى مفاجئا لى تماما فى وقت كان الجميع فيه يتحدثون عن الصداقة السوفيتية ويعلنون إنهم المصدر الرئيسى لامدادنا بالسلاح الذى وصل بنا إلى حد المواجهة فى حرب الاستنزاف . وتساءلت مندهشا عن سبب هذا الموقف فقال أن السوفييت لم يقدموا له الطائرة ميج ٢٣ وأخذ يعدد لى قدراتها.. وإنهم بذلك يعطلون دخوله المعركة.

وفوجئت به يواصل حديثه قائلا إنه يفضل التعامل مع الأمريكيين الذين يطلبون ثلاثة أمور هى وقف التعامل مع السوفييت ووقف خطوات السيرة فى طريق الاشتراكية وعدم الهاب مشاعر القومية العربية.. وهى أمور مقدور عليها ـ حسب قوله.

واستطرد قائلا إن تعاونه مع السوفييت لم يصل بنا إلى حل الشملكة خاصة بعد ترددهم فى تقديم السلاح المتطور، وأنه يكفى ما أخذناه فى طريق تطبيق الاشتراكية من خطوات، وأن لا مجال لالهاب المشاعر القومية فى مثل هذا الوقت الذى تستعد فيه للمعركة.

كان أنور السادات يتحدث بانفعال هادئ عما يطويه صدره من أفكار وآراء.. وكنت استقبل حديثه بجزع، فما تصورت أنه يمكن ونحن نستعد لدخول المعركة أن تكون هذه أفكار القائد الأعلى للقوات المسلحة والرئيس الذى يقبض على ناصية الأمور.

وجادلت طويلا حول ضرورة كبت هذه الآراء وعدم اعلانها ومحاولة الوصول إلى حلول مع السوفييت حتى لا تجمح بنا الأمور إلى طريق مجهول.. مشيرا إلى مواقف العداء الأمريكية التى لم تكن تخفى على أحد.. ورويت له ما قاله لى جمال عبد الناصر خلال لقاء معه من أن السوفييت يحاولون منعه من إطلاق النيران شرق القناة حتى لا يستفز الإسرائيليين فيواصلون هجومهم وهم يملكون السيادة الجوية.. ولكنه ظل يحاورهم حتى أقنعهم بضرورة استمرار حرب الاستنزاف.. وأن هذا الحوار

كان يتم فى جلسات مغلقة لا تصل خارج قاعة الاجتماع حرصا على الصداقة المصرية السوفيتية سندنا الرئيس فى المعركة.. وذكرت له المثل الذى يقول إنه لا يجوز استبدال الحصان ونحن فى المعركة ويبدو أن حديثى لم يجد صدرا رحبا عند أنور السادات الذى كان يتحرك بأفكار جديدة بعد أن مضى عام تقريبا على قبول مبادرة روجرز ووقف اطلاق النار يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠.

وامتدت جلستنا حتى الرابعة وربع.. دون أن استسلم لحديث السادات الذى وقف مرددا ثلاث مرات.

أنت تعبتنى يا أحمد.. أنت تعبتنى يا أحمد.. أنت تعبتنى يا أحمد.

وغادرت استراحة القناطر وأنا فى دهشة غامرة من هذا التحول السريع فى فكر رئيس الجمهورة.. أحمل فى صدرى ثقل وطأة الحديث الذى أدلى به.. ولا أجد الجرأة على اعادته مع أحد مطلقا.

وذهبت إلى لطفى الخولى الذى قابل السادات قبلى.. ولمحت له دون تصريح عما إذا كان حديث السادات معه مرضيا.. فلابد وأنه قد فتح معه الحديث فى هذه القضايا وخاصة بعد أن كان قد أصدر قرارا بتعيينه عضوا فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وفوجئت به يقول.

ـ كان مرضيا جدا فقد منحنى ثقته ولمست ذلك خلال الحديث.

خرجت واجعا، أحمل فى صدرى ما لم استطع أن أصرح به.

ومنذ ذلك اليوم.. لم أقبل أنور السادات مطلقا.

•••الفصل التاسع عشر•••

● قال لى أنور السادات أنه يفضل أمريكا على الاتحاد السوفيتى...

● إيريك رولو يقول لى بعد حضوره محاكمة عبد الخالق محجوب قبل إعدامه أنه واجه الموقف بشجاعة.. ولم يفقد اتزان تفكيره.

● اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثانى يدعونى لزيارته فى منطقة قناة السويس ليسألنى (لماذا لا نحارب ونحن نملك جميع الأسلحة اللازمة للهجوم؟

● أنور السادات يصدر قرارا بإبعادى عن رئاسة تحرير روز اليوسف وتعيين عبد الرحمن الشرقاوى...

● وزارة الشباب تعترض على ترشيح الأندية الرياضية لى رئيسا لاتحاد الكروكيه بالإجماع!

● رددت نكتة فى نادى الجزيرة طلب منى أحمد إسماعيل مدير المخابرات العامة بعدها أن أبطل تنكيت!!

● كتبت لمحمد نجيب كتابة (كلمتى للتاريخ) بعد لقاء معه فى منزلى مع ياوره السابق محمد رياض.

● نقلت إلى مصلحة الاستعلامات مع ١٠٤ صحفى يوم ٤ فبراير ١٩٧٣ وفوجئنا بالعودة فى خطاب لأنور السادات يوم ٢٨ سبتمبر فى الذكرى الثالثة لوفاة عبد الناصر

- قبل أيام من حرب أكتوبر القلم يسقط من يد هيكل عندما قال له اللواء حسن البدرى أن الهزيمة لابد وأن تلحق بنا إذا حدث أى هجوم

- اقتياد ابنى علاء وهو رئيس لاتحاد طلبة مصر فجرا للذهاب إلى الجيش.

عندما غادرت استراحة القناطر الخيرية بعد اللقاء الأخير مع أنور السادات، تيقنت أن شيئا جديدا يختمر فى الحياة السياسية، وأشفقت على المصير الذى يمكن أن ينتهى إليه الأصدقاء فى السودان... وتوقعت تغيرات حادة فى مسار السياسة المصرية.

كنت قد آثرت الصمت، وحبست فى صدرى ما سمعته من أنور السادات... فلم يكن معقولا أن أقول لأحد أن بداية الحديث مع أنور السادات كانت أنه يفضل أمريكا على الاتحاد السوفيتى لأن أمريكا تهيئ له حلا إذا استجاب لثلاثة أمور.

أولا... وقف التوجه الاشتراكى وكأن الأمر فى رأيه أن هذا ممكن.

ثانيا... عدم ربط مصر بالدول العربية فى مشكاكلها وكأن هذا أيضا ممكنا فى رأيه لأن مصلحة مصر أولا.

ثالثا... عدم التورط فى مزيد من العلاقات مع السوفيت... وكان هذا فى رأيه ضروريا.

لم يكن معقولا أن يتصور أحد أن هذا الفكر كان يختمر فى ذهن أنور السادات وأنه أعلنه لى فى هذا الوقت المبكر.

ولم تقف التعاسة عند هذا الحد الذى صدمنى بأفكار غريبة ومثيرة.

توالت الصدمات المحزنة من السودان، حيث صدر الحكم بإعدام عبدالخالق محجوب وهاشم العطا والشفيع أحمد الشيخ وبابكر النور وفاروق عثمان حمدالله وغيرهم بعد محاكمات عاجلة، وتم الإعدام فعلا رغم النداءات التى وجهت إلى جعفر نميرى من عدد كبير من الدول والهيئات والمنظمات الشعبية.

التقيت مع الصديق إيريك رولو الكاتب الصحفى الفرنسى الذى ذهب من باريس لتغطية أخبار المحاكمات، وروى لى قصة لقائه مع عبدالخالق محجوب أثناء المحاكمة... وقال لى والدموع تلمع فى عينيه والكلمات تتحشرج بين شفتيه (كان رجلا شجاعا... لم يفقد اتزان تفكيره).

وبعد أيام من صدور الآحكام كان عيد ميلادى الخمسين... وكنت فى حالة نفسية كئيبة... لا تكاد تأتى سيرة السودان، أو أقرأ ما تنشره بعض الصحف المصرية حتى تنهمر الدموع من عينى... وحاولت الأسرة أن تخرجنى من هذه الحالة بمناسبة عيد ميلادى... ولكننى غادرت القاهرة وحدى إلى قريتى الخوالد... كنت أريد أن أكون وحيدا مع أفكارى وذكرياتى... ولكننى وجدت أقاربى وأصدقائى فى القرية يعيشون فى مأتم... يترحمون على عبدالخالق محجوب، ويتذكرون أياما قليلة عاشها ضيفا، يتحدث إليهم ويتناقش معهم.

ماذا حدث فى مصر؟

وماذا حدث فى السودان؟

وماذا حدث فى المنطقة؟

وتمضى الأيام... أمارس عملى فى روز اليوسف برتابة... محتفظا بالقيم والمواقف التى كنا ندافع عنها.

وفوجئت يوما بحضور الزميل عبدالمنعم السباعى ابن دفعتى فى الكلية الحربية يبلغنى أن زميلنا وابن الدفعة أيضا اللواء عبدالمنعم خليل قائد الجيش الثانى يدعونى لمقابلته فى مقر قيادة الجيش بالاسماعيلية.

كانت الدعوة غريبة ومفاجئة... فقد انقطعت صلتى بالقوات المسلحة منذ ١٥ عاما تقريبا... ولم أقابل اللواء عبدالمنعم خليل إلا مرات قليلة، واحدة منها كانت بعد حصوله على ترقية استثنائية خلال حرب اليمن حيث كان يعمل رئيسا للعمليات منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.

وذهبت إليه فى الموعد المحدد... وجال بى جولة سريعة فى رئاسة الجيش... وقال لى وهو يبتسم ابتسامة ذات مغزى.. إننا سعدنا منذ أيام بزيارة السيدة جيهان السادات التى ركبت مع زميلاتها عربة روسية مدرعة برمائية ونزلت بها مياه ترعة أبوصوير... وأشار إلى أن الفريق محمد صادق رئيس الأركان كان قد استدعاه لتقابلته فى القاهرة حتى لا يلتقى بالسيدة جيهان فى مواقع الجيش ولكنه لم يستقبله.

وفى المساء صحبنى إلى استراحته الخاصة، وجلسنا وحدنا، وأغلق الباب، ثم قال بلهجة جادة وهو يجلس فى مواجهتى.

- لقد دعوتك هنا لتجيبنى على سؤال واحد... لماذا لا نحارب ونحن نملك جميع الأسلحة والمعدات والخطط اللازمة للهجوم والعبور؟ أرجو أن تجيبنى لأنى فى حيرة... وثقتى فيك كما تعرف كبيرة.

كان السؤال حاسما... واستفسرت منه عن حقيقة إمكانيات القوات التى يقودها.. فروى لى ما سبق أن ذكرت من رفع العلم المصرى لمدة ثلاثة شهور شرق القناة، وعبور كتيبة كاملة كداورية، خلال حرب الاستنزاف، وقيام الإسرائيليين بغارات جوية متصلة طوال اليوم ثم لم يسفر الأمر عن عدم سقوط جندى مصرى واحد وقلت للصديق الذى كان يتفجر وطنية وحماسة. أن القتال قرار سياسى.

وامتدت سهرتنا نقلب الأمر من كافة الوجوه.

وفى الصباح تناولت طعام الغذاء معه ومع بعض القادة... أذكر منهم الفريق عبدالغنى الجمسى الذى كان يمر بصفته قائد العمليات... والعميد عادل سوكه قائد لواء مدرعات بالجيش الثانى... وتبادلت الحديث مع بعض الضباط فأبدوا جميعا الاستعداد والشوق للعبور شرقا وكان موجودا أيضا سيد مرعى الذى كان وقتها أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى... وكانت تربطنى به صلة أعتز بها.

دهش سيد مرعى من وجودى فى قيادة الجيش... ودهشت أيضا من وجوده

ومضت الأيام... ولحقت أحكام الإعدام التى صدرت يوم ٨ ديسمبر ١٩٧١ من محكمة حافظ بدوى وبدوى حموده وحسن التهامى على كل من على صبرى وشعر

وشعراوى جمعه وسامى شرف وفريد عبدالكريم بأحكام الإعدام التى صدرت فى السودان فى أواخر شهر يوليو.

أحكام الإعدام فى مصر لم تنفذ واستبدلت بالأشغال الشاقة.

وأحكام الإعدام فى السودان نفذت... ولم يعرف أحد للمعدمين قبرا.

وأصبحت روز اليوسف فيما يبدو للنظام نغمة نشاذ لا تتوافق مع نغمات الإشادة والتطبيل التى بدأت فى تمجيد الجديد، ومحاولة الإساءة إلى كل قديم.

وفوجئت يوما بأن الصديق عبدالرحمن الشرقاوى يدخل مكتبى فى روز اليوسف ليبلغنى أنه قد عين رئيسا لمجلس إدارة روز اليوسف ورئيسا لتحريرها أيضا... وقلت له أن تعاقدى مع المؤسسة أن أكون رئيسا للتحرير... وطلبت منه أن يرجع لمن أصدر القرار ويبلغه تمسكى بالمنصب الذى عينت فيه وإلا سألجأ للقضاء.

لم يكن ذلك عن رغبة الاستمرار فى موقعى... فقد كنت زاهدا فيه فعلا... منذ طلبت أن أعمل كاتبا فى الأخبار قبل أحداث ١٥ مايو... ولكننى أردت أن أتمسك بحق قانونى لأرى رد الفعل على ذلك.

وذهبت إلى صديقين من رجال القانون أحدهما كان رئيسا لمجلس الدولة (على محسن)، والآخر كان رئيسا لإدارة قضايا الحكومة قبل أن يطلق عليها اسم قضايا الدولة كما هو الحال الآن (سمير البيومى) ونصحنى الاثنان بأن أتخلى عن فكرة رفع قضية لو صدر القرار رغم حقى الثابت فى أن أبقى رئيسا للتحرير... فالأمر فى رأيهما قرار سياسى يمكن أن يفجر الحوار حوله فى المحكمة أقوالا لها حساسية تضر ولا تنفع.

وفى اليوم التالى حضر لى عبدالرحمن الشرقاوى وأبلغنى إصرار النظام على أن أترك موقعى رئيسا لتحرير روز اليوسف وكذلك صلاح حافظ نائب رئيس التحرير وفتحى خليل مدير التحرير... وأصبح عبدالرحمن الشرقاوى بعد ذلك رئيسا لتحريرها منذ يناير ١٩٧٢.

اختلطت فى نفسى مشاعر الضيق مع الراحة... الضيق من التغيير فى ذاته... والواحة لأنى بدأت أتفرغ لكتابة موضوع لطالما فكرت فيه (قصة ثورة ٢٣ يوليو).

وفى اليوم التالى مباشرة... بدأت أجمع كل ما كتب عن جمال عبدالناصر وثورة يوليو من كتب، عربية أو أجنبية... واشتريت كشكولا لتسجيل أقوال أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار والسياسيين الذين عملوا مع الثورة أو أضيروا منها.

وبدأت مرحلة جديدة استعدت فيها أحداث وذكريات ٢٠ عاما من حياة مصر...

ولم يكن سهلا أن يغير أنور السادات طريق الحركة السياسية فى مصر دون معارضة أو مقاومة... ولذا شكل لجنة لإعادة الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى برئاسة الدكتور عزيز صدقى.

أجريت انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة إلى القمة... وتقرر إجراء انتخابات أيضا فى جميع النقابات المهنية والعمالية ومجالس إدارة الشركات.

ولم يقف التغير عند هذه الحدود التى تمت تبعا لجدول زمنى سريع، ولكنه تجاوزها أيضا إلى مجالس إدارة الأندية والاتحادات الرياضية... وكنت وقتها رئيسا منتخبا لاتحاد لعبة (الكروكيه) والتى كانت قاصرة على ثلاث نواد فقط فى القاهرة والإسكندرية، زدت عددها حتى بلغت عشرين ناديا... وفوجئت باعتراض من وزارة الشباب على ترشيحى لرئاسة مجلس إدارة الاتحاد رغم إجماع الأندية على ذلك.

وتقبلت الأمر بهدوء... فهو قرار صادر ولابد من جهات الأمن.

تشكل الاتحاد بدون رئيس... وامتنعت الأندية عن ترشيح شخص آخر... وبعد فترة قدم مجلس الاتحاد استقالته... ورشحتنى الأندية مرة إخرى.

الحصار ينتقل من الصحافة إلى الرياضة.

ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد.

كان عام ١٩٧٢ من الأعوام التى حفلت بالاضطرابات والمظاهرات والتناقضات.

تبع إبعادى عن روز اليوسف مذبحة إعلامية قام بها الدكتور عبدالقادر حاتم عندما أصدر قرارا فى فبراير ١٩٧٢ بإبعاد سعد لبيب وصلاح زكى وسميرة الكيلانى وطاهر أبو زيد وعبدالوهاب قتاية وإبراهيم عبدالجليل وغيرهم.

وقدم عبداللطيف البغديدى وكمال الدين حسين مع عدد من الوزراء السابقين عصام الدين حسونة وأحمد الشرباصى ودكتور مصطفى خليل والمهندس عبدالخالق الشناوى والمحافظين السابقين أيضا صلاح دسوقى وأحمد كمال أبو الفتوح... قدموا مذكرة إلى أنور السادات يطالبون فيها بتشكيل جمعية تأسيسية لإقرار أسلوب وقواعد جديدة للحكم كما تضمنت المذكرة دعوة إلى عدم تجاوز الحدود فى التعامل مع الاتحاد السوفيتى.

ذهبت إلى الصديق عبداللطيف البغدادى أتساءل عن فكرة تقديم المذكرة فى هذا التوقيت بالذات... فأجاب بأن الفكرة نبتت قبل لقاء قمة برجنيف ونيكسون الذى تم فى مايو ١٩٧٢ رغبة فى اتخاذ موقف يعيد لجبهة القتال حرارتها، وتحاشيها لعدم حدوث اتفاق بين الدولتين العظميين يعطل تحرير الأرض المحتلة... وأكد لى أنه لم يكن هناك أى اتجاه لتغيير علاقة الصداقة الوثيقة مع الاتحاد السوفيتى، خاصة وأن الأرض مازالت محتلة.

وأصدر توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض ويوسف إدريس وعباس الأسوانى وثروت أباظة وعدد من شباب الكتاب بيانا نقدوا فيه موقف الجمود دون قتال، وأصدر مجلس نقابة الصحفيين بيانا أيدوا فيه حق الطلبة المشروع فى التعبير عن رأيهم فى المطالبة بحرية الرأى والديموقراطية.

أذكر أننى رددت نكتة تقول أن أنور السادات ركب أتوبيسا ولما قال لى الكمسارى أنه ذاهب إلى (التحرير) نزل مسرعا وقال (لا أنا ذاهب العتبة)... وكان المقصود بميدان التحرير هو تحرير الوطن، والعتبة لم تكن تعنى العتبة الخضراء وإنما عتبة

الأمريكان... وقابلنى أحمد إسماعيل مدير المخابرات العامة فى مناسبة اجتماعية فقال لى هامسا (مابلاش نكت عن التحرير والعتبة).

العيون والآذان كانت تلاحقنى... نظرا لاتصالاتى الواسعة فى استجواب الضباط الأحرار والسياسيين الذين كنت أحصل على شهادتهم من أجل (كتاب قصة ثورة ٢٣ يوليو)... كما عملت ذلك فيما بعد.

وخلال فترة التحضير لإصدار الجزء الأول اتصل بى الصديق محمد رياض الذى كان ياورا لمحمد نجيب وخرج من مصر بعد أزمة مارس ١٩٥٤ ولجأ إلى السعودية ثم استقر فى قطر... وكانت علاقتى به قد بدأت عندما كنت معه فى فرق (قتال المدن) أثناء حرب فلسطين وانضم بعدها إلى الضباط الأحرار... وطلب منى أن ألتقى مع اللواء محمد نجيب الذى زارنى بالمنزل وطلب منى أن أكتب له مذكراته... ووجدت فى ذلك فرصة تثرى معلوماتى بآراء وأفكار أخرى... وعكفت على حوار طويل معه وقراءة لما كان قد دونه فى نوت صغيرة... وكانت النتيجة هى صدور كتاب محمد نجيب (كلمتى للتاريخ) الذى كتبته له ووافق عليه.

وضاقت حلقة المسار العام على المفكرين والمثقفين.

وصدر يوم ٤ فبراير ١٩٧٣ قرار بنقل ١٠٤ صحفيا إلى الاستعلامات والوزارات الأخرى كنت واحدا منهم وشطب أسماء ٦٤ صحفيا من الاتحاد الاشتراكى.

كانت الأسماء لا تمثل اتجاها واحدا فقد جمعت بين اليمين واليسار. واعتقل أيضا عدد كبير من الطلبة.

ولكن... لم تتوقف المظاهرات والاجتماعات فقد كان الجميع يطالبون بالتحرير.

منحنى هذا النقل فرصة تفرغ هائلة، عكفت فيها على التحضير لكتابه (قصة ثورة ٢٣ يوليو) والتى ما كدت أنتهى من كتابة جزئها الأول (مصر والعسكريون) حتى زارنى الصديق رجاء النقاش وطلب منى نشر الكتاب لصالح (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) التى كان يملكها الشهيد الفلسطينى عبدالوهاب الكيالى فى بيروت.

لم أتردد فى القبول... فلم يكن نشر الكتاب سهلا فى مصر لما تحريه صفحاته من حقائق لا يرحب بها القائمون على أمر النظام فى ذلك الوقت.

عكفت خلال عام ١٩٧٣ على إعداد أجزاء هذا الكتاب الذى أتاح لى فرصة استعادة كثير من الحقائق التى ارتبطت بثورة يوليو.

وفوجئنا نحن رجال الصحافة والإعلام والثقافة الذين أبعدوا عن الاتحاد الاشتراكى أو نقلوا إلى مصلحة الاستعلامات بأن أنور السادات يعلن أثناء خطابه يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاة جمال عبدالناصر... فوجئنا بقراره بعودتنا إلى أعمالنا.

كنت أستمع إلى الخطاب وقتها فى قريتى الخوالد بين أفراد الأسرة... وما أن أذيع قرار أنور السادات حتى عم الابتهاج جميع الحاضرين. وتسائلنا جميعا عن السر وراء هذا القرار المفاجئ.

ولم يطل بنا التساؤل.

كانت القاهرة قد امتلأت بأخبار عن موعد الحرب والمعركة.

وحضر لى الزميلان محمود المراغى وعبدالله إمام فى نادى الجزيرة مساء يوم ٥ أكتوبر يحملان لى خبرا بأن المعركة سوف تكون فى صباح الغد... وتصادف أن كان هناك موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار، والذى قال ليلتها أنه لا تتوفر عنده معلومات أكثر مما نشر فى الأخبار صباح ذلك اليوم.

وفى الساعة الثانية والربع بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر سمعت البلاغ الأول يعلن فى صوت هادئ.

(قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا فى منطقتى الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربى من الخليج وتقوم قواتنا حاليا بالتصدى للقوات المغيرة).

تابعنا أخبار الإذاعة فى شوق وشغف... وأدرت المؤشر إلى المحطات الأجنبية أيضا... وتأكدت من صحة أخبارنا التى تميزت أصوات مذيعيها بالهدوء والثقة.

وفى الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة مساء ٦ أكتوبر أُذيع البلاغ المصرى رقم ٧ الذى جاء فيه.

(نجحت قواتنا المسلحة فى عبور قناة السويس على طول الجبهة وتم الاستيلاء على معظم الشاطئ الشرقى للقناة، وتواصل قواتنا حاليا قتالها مع العدو بنجاح كما قامت قواتنا البحرية بحماية الجانب الأيسر لقواتنا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وقد قامت بضرب الأهداف الهامة للعدو على الساحل الشمالى لسيناء وإصابتها مباشرة).

ارتفعت روحنا المعنوية إلى السماء... وزالت من الصدور كل الحساسيات التى نبتت من تصرفات أنور السادات.

كان جنود مصر يحاربون وينتصرون.

وكان ابنى علاء واحدا منهم يمضى خدمته فى القوات المسلحة، بعد أن تم اقتياده من المنزل فجر أحد الأيام عام ١٩٧٣ وهو رئيس للاتحاد العام لطلبة مصر، لأنه كان مؤيدا للمظاهرات التى قامت تطالب بالتحرير... وكان وقتها صحفيا تحت التمرين فى جريدة الأهرام.

كنا ننتظر حضور علاء من وحدته العسكرية لنسمع منه أخبار القتال.

ولم يكن علاء هو الابن الوحيد فى القوات المسلحة... كان هناك ابن عديلى الطيار مدحت هنداوى الذى كان ضمن الفوج الأول للطائرات التى هاجمت القواعد والمطارات الإسرائيلية فى سيناء... والذى أسقطت طائرته وهبط منها بالباراشوت... واجتمعنا حوله فى المساء وهو يروى لنا قصة الهجوم المصرى الكاسح... ويؤكد لنا أن القوات البرية لابد وأن تصل إلى المضايق بعد يوم على الأكثر.

كل شئ كان يبعث على الثقة.

وتحركت مشاعر زملاء أنور السادات، وعلمت من زكريا محى الدين عضو مجلس قيادة الثورة الذى جنح إلى العزلة والصمت أنه كتب خطابا إلى السادات مشجعا يهنئه فيه بالنصر، ويتمنى له التوفيق حتى تتحرر الأرض المحتلة.

وتابعت من بعد الأحداث التى صاحبت الحرب.

حضر إلى منزلى زمل دفعتى فى كلية أركان الحرب اللواء حسن البدرى وروى لى قصة معرفته بهذه الحرب عندما استدعاه الزميل محمد حسنين هيكل يوم ٥ أكتوبر وهو وقتها كان مدرسا فى أكاديمية ناصر، وباحثا فى مركز الدراسات بالأهرام وسأله عن رأيه فيما لو هاجمت القوات السلحة المصرية فى محاولة لعبور القناة.

وقال لى اللواء حسن البدرى أنه أجاب دون تردد بأن الهزيمة لابد وأن تلحق بها... وهنا سقط القلم من يد هيكل.

وعندما حاول اللواء حسن البدرى معرفة السر فى هذا السؤال... قال هيكل أنه مجرد خاطر عابر.

ولكن اللواء حسن البدرى شعر أن مثل هذا السؤال لا يمكن أن يكون عابرا، وخاصة إذا كان من شخصية مثل هيكل قريبة من مركز الأحداث... ولذا فقد ذهب إلى زملائه فى أكاديمية ناصر وأبلغهم أنه حلم فى الليلة الماضية حلما لا يعرف مدلوله بعد أكلة ثقيلة... وروى لهم أنه حلم بأن القوات المسلحة المصرية قد قامت بهجوم على سيناء.

وأجمع زملاء اللواء حسن البدرى من كبار الضباط على أن ذلك يمكن أن يؤدى إلى كارثة وقالوا له (فأل الله ولا فألك).

ولكنه قبل أن يغادر الأكاديمية فوجئ هو وزملاءه بصوت المذيع يعلن البيان الأول... وسمع أخبار الانتصارات التى كانت تمثل عنده معجزة.

وكنا نجتمع تقريبا كل ليلة مع الأصدقاء خالد محى الدين وفؤاد مرسى نقلب وجهات النظر حول سير الحرب... ونتابع الأخبار والتعليقات التى تنشرها الصحافة الأجنبية ونحاول استخلاص أسباب زيارة كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى... ويعمر تفاؤل غامر... ونحن نحاول معرفة وافية عن الأسباب التى لم تصل بقواتنا إلى الممرات فى وسط سيناء... أو عدم قبول وقف إطلاق النار ونحن منتصرون.

ولكن القلق بدأ يتسرب إلى قلوب الناس جميعا عندما سمعوا بيانا عن تسرب بعض الدبابات الإسرائيلية يوم ١٦ أكتوبر وهو نفس اليوم الذى خطب فيه أنور السادات أمام مجلس الشعب.

أذكر أننى ذهبت إلى فندق هيلتون لمقابلة إيريك رولو وزوجته روزى وكانا قد وصلا إلى القاهرة لتغطية أخبار الحرب... وسألتهما عن اقتراح السلام الذى تقدم به أنور السادات فى خطابه... وفوجئت بروزى تقول أن ذلك يتوقف على ما تسفر عنه المعركة فى الشاطئ الغربى.

صدمت من الحديث... فلم أكن أتصور من البيانات التى سمعتها أن تسرب عدد من الدبابات يمكن أن يؤدى إلى قتال حقيقى قرب القناة.

وشاعت أخبار الثغرة... ثم قبول قرار مجلس الأمن بعد أن عبرت قوات إسرائيل إلى الضفة الغربية للقناة وحاولت دخول مدن القناة.

وكانت الصدمة المفاجئة هى بيان أنور السادات يوم ٢٣ أكتوبر الذى استصرخ فيه الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة للتدخل من أجل وقف إطلاق النار ويستنجد فيه بالمقاومة الشعبية للدفاع عن الوطن.

كان البيان يعطى صورة عن الموقف الحرج الذى تردت إليه الأمور... كما تضمن أول طلب علنى للنجدة من الولايات المتحدة.

وبدأت صفحة السياسة بعد أن طويت صفحة الحرب عندما استجابت إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ بوقف إطلاق النار.



●●● الفصل العشرين ●●●

●● أنور السادات يختارنى عن بعد للذهاب إلى مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣

●● قصة مصادرة الجزء الأول من (قصة ثورة ٢٣ يوليو) ثم الافراج عنه

●● أول لقاء مع صدام حسين

●● هوارى بومدين يوجه لى دعوة لزيارة الجزائر.

●● بومدين غاضب من حملة الهجوم على جمال عبدالناصر

تلاحقت الأحداث بعد وقف إطلاق النار وفشل القوات الإسرائيلية فى دخول مدينة السويس للمرة الثالثة رغم صدور قرارات مجلس الأمن ٣٣٨ و ٣٣٩.

تم الاتفاق على أن يعقد مؤتمر جنيف تنفيذا لقرار مجلس الأمن ٣٣٨ يوم ٢١ ديسمبر ١٩٧٣.

وفى هذه الفترة كنت قد عدت للعمل كاتبا فى روز اليوسف، وفوجئت باختيار عبدالرحمن الشرقاوى لى لتمثيل روز اليوسف فى هذا المؤتمر الدولى... وهو ما لم أكن أتوقعه بعد سلسلة الملاحقات والإبعادات التى تعرضت لها.

سافرت إلى جنيف والقوات المصرية والإسرائيلية مازالت متداخلة ومتشابكة.

حضر جلسة الافتتاح إلى جانب كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة وفد سوفيتى برئاسة أندريه جروميكو، ووفد أمريكى برئاسة هنرى كيسنجر، ووفد مصرى برئاسة إسماعيل فهمى، ووفد أردنى برئاسة عبدالمنعم الرفاعى، ووفد إسرائيلى يرأسه أبا إيبان. وغاب وفد سوريا.

وضعت جلسة الافتتاح تحت حراسة مشددة إلى الحد الذى كان يعاود فيه تفتيش الحاضرين إذا ذهبوا إلى دورة المياة.

كان جروميكو فى هذه الجلسة حريصا على إظهار الموقف المبدئى الثابت للاتحاد السوفيتى وهو يعلم أن أنور السادات قد بدأ يدير عجلة القيادة إلى اليمين

ويقترب من أمريكا... وهو فى ذلك كان يواصل السياسة السوفيتية الحريصة على عدم حدوث استفزاز يؤدى إلى مزيد من جنوح السادات إلى واشنطن.

وكان فلاديمير فينوجرادوف سفير الاتحاد السوفيتى بالقاهرة خلال حرب أكتوبر قد أوضح لنا خلال جلسة مع عدد محدود من المثقفين المصريين فى دعوة على الغداء بنادى السيارات أن أنور السادات كان يتصل به صباح كل يوم أثناء القتال، وأظهر لنا الدور الذى قام به كوسيجن لإقناع السادات بقبول وقف إطلاق النار بعد أن كانت المعلومات قد توفرت لدى السلطات السوفيتية باستعداد القوات الإسرائيلية للعبور إلى غرب القناة.

جروميكو كان يستشعر الخطر الذى يهدد علاقة الاتحاد السوفيتى بمصر وكيسنجر كان يستشعر احتمالات المستقبل التى سوف تقرب الولايات المتحدة من مصر.

لم يعقد مؤتمر جنيف جلسات عامة أخرى... فقد اقتصر بعد الجلسة الافتتاحية على محادثات اللجنة العسكرية المنبثقة عن المؤتمر والتى لم ينجح المشاركون فيها من التوصل إلى فض الاشتباك.

ما إن أعلن عن تعثر مفاوضات جنيف لفض الاشتباك حتى أعلن كيسنجر عن رحلته الثالثة للمنطقة يوم ١٠ يناير ١٩٧٤.

عدت إلى القاهرة مدركا أن أمرا جديدا يختمر فى المنطقة، تعد خطته الولايات المتحدة ومندوبها النشيط هنرى كيسنجر.

كانت أجهزة الإعلام تلعب دورا متناسقا فى تمهيد وتغطية أى خطوات سياسية تتخذ معاكسة أو متناقضة مع الدور البطولى العظيم الذى قام به جنود القوات المسلحة.

وتحقق ذلك سريعا ففى أعقاب زيارة كيسنجر للمنطقة ومقابلته للسادات فى أسوان يوم ١٦ يناير ١٩٧٤ أذاع السفير تحسين بشير المتحدث الرسمى بأن قد تم

التوصل إلى اتفاق لفض الاشتباك يوقعه كل من رئيس أركان حرب القوات المسلحة لمصر وإسرائيل يوم الجمعة ١٨ يناير.

وتم الاتفاق على البدء في تعمير مدن القناة الأمر الذى كان بمثابة تأكيد بأنه لن يكون هناك قتال.

وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة يوم ٢٨ إبريل.

وقام الرئيس ريتشارد نيكسون بزيارة مصر يوم ١٢ يونيو ١٩٧٤ وهى زيارة كانت غير متوقعة وبعيدة عن التصور لأن الولايات المتحدة لم تكن قد قدمت لمصر شيئا نافعا... ولأن نيكسون كانت تطارده وتلاحقه اتهامات قضية ووترجيت.

كانت الزيارة وما صاحبها من ضغوط وإغراءات لخروج الجماهير الى الشوارع لاستقباله فى ترحيب وهو المطارد فى بلده نقطة تحول لا يمكن تجاهلها.

لم يعد الصمت مقبولا... وفى كل يوم تلاحقنا الأخبار التى يصنعها أنور السادات لتغيير مسار الحياة السياسية فى مصر... خلف ستار الدعاية المكثفة.

وكان الجزء الأول من كتاب (قصة ثورة ٢٣ يوليو) الذى صدر باسم (مصر والعسكريون) قد صدر فى بيروت ولكنه صودر فى مصر.

وطلبت من الدكتور أحمد كمال أبو المجد الذى كان وزيرا للإعلام أن يوضح لى أسباب المصادرة... ووعد بقراءة الكتاب والإجابة... ولكنه لم يجب ولم يبق فى موقعه وزيرا للإعلام... وخلفه يوسف السباعى الذى كررت معه ما سبق أن طالبته به، وأكدت له أننى سوف ألجأ إلى القضاء.

وعلمت أن الكتاب كان مصادرا لأننى كتبت فيه أن أنور السادات كان على صلة بالألمان وبالراقصة حكمت فهمى التى استضافت فى عوامتها جاسوسان ألمانيان تربطهما صلة بالسادات... وكانت القصة منشورة فى كتاب للماجور سيمبسون مسئول الأمن فى السفارة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية بعنوان (تجسست على الجواسيس)... وأننى ذكرت أيضا أنه كان عضوا فى (الحرس الحديدى) وهو التنظيم

الذى شكله يوسف رشاد الياور البحرى للملك للدفاع عن السراى والملك والقيام بعمليات إرهابية كان منها محاولة الاعتداء على مصطفى النحاس.

ومع ذلك تم التصريح بتوزيع الكتاب حرصا - فيما يبدو - على عدم ذكر هذه المسائل الحساسة فى ساعة القضاء.

وكانت قد توفرت فى هذه الفترة حرية نسبية تسمح للصحافة بالنقد... وتمنع الاعتقال.

وكانت سياسة أنور السادات قد بدأت تنكشف وتلاقى نقدا ومعارضة من الدول العربية، وخاصة التى كانت تنهج نهجا قوميا وتقدميا.

وكانت العراق فى ذلك الوقت قذ أصدرت اتفاقية لإنشاء الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، وقع عليها كل من الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية وأمين عام حزب البعث العربى الاشتراكى، وعزيز محمد سكرتير عام الحزب الشيوعى العراقى.

كان ظهور هذه الجبهة فى العراق يحمل عبيرا جذابا للمؤمنين بفكرة الجبهات الشعبية.

وسافرت إلى بغداد لأول مرة بعد عدوان يونيو عام ١٩٦٧ .... ولم أكن قد زرتها منذ كان عبدالرحمن عارف رئيسا للجمهورية عام ١٩٦٦.

غادرت القاهرة وقد صدرت فيها ورقة أكتوبر التى قدمها أنور السادات لمجلس الشعب يوم ١٨ إبريل ١٩٧٤ وهى التى أثمرت بعد استفتاء عام أجرى عليها يوم ١٥ مايو ١٩٧٤ قانون الانفتاح رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ والذى صدق عليه مجلس الشعب فى يوليو ١٩٧٤.

وصلت بغداد فوجدت أنه صدر قرار بتأميم النفط وتذكرت تأميم قناة السويس.

فرق بين القاهرة كما غادرتها... وبغداد كما أقبلت عليها... الردة على توجهات ثورة يوليو كانت قد بدأت فى القاهرة... والمد الثورى كان قد بدأ فى بغداد.

وأتاحت الظروف مقابلة الأستاذ طارق عزيز وكان وقتها رئيسا لتحرير جريدة الثورة... ووجدت فيه مثقفا وطنيا وقوميا... يؤدى دورا سياسيا إلى جانب عمله الصحفى.

مهد لى الأستاذ طارق عزيز مقابلة نائب رئيس مجلس الثورة صدام حسين... وكان معروفا أنه الشخصية القوية الصاعدة... وكان سفيرنا فى بغداد عبدالمنعم النجار أحد ضباط الجيش المصرى السابقين قد أبلغنى أنه مؤهل لكى يواصل دور جمال عبدالناصر فى الوطن العربى.

ومنذ اللقاء الأول مع صدام حسين أيقنت أن عنده حب شديد لمصر وشعب مصر.

وخلال حوار وأحاديث صحفية تكررت أكثر من مرة حاولت أن أقيم جسر صداقة بين القاهرة وبغداد، تماما كما حاولت الاحتفاظ بجسر الصداقة بين القاهرة والخرطوم.

وكتبت فى روز اليوسف عدة تحقيقات صحفية تحت هذا العنوان (جسر الصداقة بين القاهرة وبغداد).

توثقت علاقتى مع كثير من الأصدقاء فى العراق... سواء فى حزب البعث أو فى الحزب الشيوعى... وتعرفت على الكثيرين منهم... وكنت سعيدا بهذه العلاقة التى جمعت بينهم فى هذه الجبهة... وتذكرت أدوارا قام بها الحزب الشيوعى السودانى قبل أن تلحق به كارثة الاعدامات والاعتقالات.

وكنت قد طالعت فى الصحف صورة صدام حسين يحضر مع عدد من قادة حزب البعث العربى الاشتراكى احتفال الحزب الشيوعى بعيده الثانى والأربعين وقرأت أنه قد بقى فى الحفل حتى نهايته... وسألته فى مقابلة تمت بعد ذلك بيومين عما إذا كان التحالف الجبهوى يزداد توثقا وعمقا.

وقال صدام حسين يومها.

– ثق أننا نعتبر أن تعميق التحالف الجبهوى هو الانتصار الاستراتيجى... والظروف الموضوعية المتطورة تفرض علينا مصالحات تستهدف مزيدا من التقارب والتلاحم... وفى كل يوم تزداد القناعة عند أطراف الجبهة بأنها ضرورة سياسية حيوية لمواجهة المستقبل وبناء المجتمع الاشتراكى فى العراق.

الحياة فى العراق جذبت كثيرا من المصريين... سواء من المثقفين أو العمال والفلاحين.

وخلال زيارتى للعراق فى مارس ١٩٧٥ كان عدد المصريين فى العراق عشرة آلاف فقط... وصل خلال سنتين إلى نصف مليون... واستمرت الزيادة بعد ذلك.

وإذا درسنا العوامل المؤدية إلى ذلك من تزايد فى صعوبة الحياة بمصر مع ارتفاع الأسعار وتراجع عن التسهيلات والخدمات الاجتماعية التى تقدم للعاملين من أصحاب الدخل المحدود... فإن سببا رئيسيا من أسباب الاندفاع إلى العراق كان موقف صدام حسين شخصيا الذى عبر عنه خلال حديث معه عام ١٩٧٥ بقوله (إن العراق يفتح ذراعيه للوافدين من مصر بإيمان نابع من أن العراق ينتمى للأمة العربية، وأن المصرى إنما يقبل على قطعة أرض من وطنه الكبير... أليسوا هم شعبنا؟ ألسنا شعبا واحدا... إننا نعتبر العمق العربى حلا من جملة حلول الانفجار السكانى فى مصر، ونحن لا نضع حدا لتدفق الأخوة العرب المصريين، فإن بلدنا قادر على أن يستوعبه).

كان كثير من المثقفين الذين لحقتهم قرارات الفصل أو الإبعاد أو الحصار فى العمل، قد ذهبوا إلى العراق حيث أتيحت لهم فرص عمل كاملة فجرت طاقاتهم، وأراحت نفسياتهم.

كنا نلتقى هناك مع الأصدقاء الأعزاء الذين حرمنا منهم فى مصر... عبدالرحمن الخميسى وسعد الدين لبيب ومحمود السعدنى وأحمد عباس صالح وإبراهيم عبدالجليل وغيرهم من الذين فتح لهم العراق ذراعيه... بينما أغلقت السلطة فى وجوههم الأبواب.

وتذكرت قول صدام حسين لى (سيحتضن دجلة والفرات أبناء النيل بكل الحب الذى نحمله للنيل ذاته.

أنت فى بغداد خلال هذه الفترة لا تشعر بالغربة مطلقا... ونسيج الصداقة يلتحم بالشخصيات المصرية والعراقية... ونمضى سهرات تجمع بين الشعراء محمد مهدى

الجواهرى وعبدالرحمن الخميسى ويوسف العانى وسعد لبيب ودكتور مهدى الحافظ وغيرهم.

ولم تقف الصلة عند حدود العراق فقط... ولكنها امتدت إلى الجزائر أيضا.

زارنى فى شهر نوفمبر ١٩٧٥ الصديق العزيز عبدالمجيد فريد الذى كان أمينا لرئاسة الجمهورية، وأمينا لأمانة القاهرة بالاتحاد الاشتراكى، وزميلا فى طليعة الاشتراكيين والذى حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات فى قضية ١٥ مايو... ليبلغنى أنه قادم من الجزائر يحمل لى رسالة من الرئيس هوارى بومدين.

وكان الرئيس هوارى بومدين ق عرض على عبدالمجيد فريد بعد الإفراج عنه أن يعمل فى رئاسة الجمهورية بالجزائر... واستشارنى فى ذلك وقتها فنصحته بالقبول لأنه لم يعد له فى مصر دور يمكن أن يقوم به يتناسب مع قدراته وطاقاته المتميزة.

كان الرئيس هوارى بومدين قد طلب من عبدالمجيد فريد أن يتصل بى، ويدعوتى لزيارة الجزائر حتى نذير حوارا حول الأسباب التى أدت إلى ظهور وتصاعد الحملة على جمال عبدالناصر وهو الزعيم العظيم الذى لعب دورا خالدا فى حياة أمته.

كان هوارى بومدين قد قرأ الأجزاء الثلاثة التى صدرت حتى ذلك الوقت من كتابى (قصة ثورة ٢٣ يوليو) وهى (مصر والعسكريون - مجتمع جمال عبدالناصر - عبدالناصر والعرب) وفاضت به الحيرة لمعرفة حقيقة الأسباب التى أدت إلى ظهور هذه الموجات المتعاقبة من الهجوم على جمال عبدالناصر.

وكنت قد تعرفت على هوارى بومدين عندما ذهبت مع المسرح القومى إلى (وجدة) بالمغرب عام ١٩٦١ أثناء الثورة الجزائرية حيث كان يعسكر ثوار الجزائر... والتقيت به بعد حركته التى قام بها فى ٢٥ يونيو ١٩٦٥ عندما أطاح بأحمد بن بللا، وكنت قد وصلت إلى الجزائر عندما كنت رئيسا لتحرير روز اليوسف لتغطية أخبار أول مؤتمر لقمة الدول الآسيوية الإفريقية، الذى لم تشأ له ظروف الانقلاب أن ينعقد... وبقى شوان لاى وقتها فى القاهرة عدة أيام ينتظر انقشاع الظروف التى عطلت المؤتمر.

عندما وصلت مطار الجزائر كان محمود رياض وزير الخارجية وعبدالمجيد فريد أمين الرئاسة يستعدان للعودة إلى القاهرة... والتقيت مع السفير على كافى الذى كان سفيرا للجزائر بالقاهرة ثم فى بيروت، والذى كان على صلة وثيقة ببومدين هيأت لى فرصة مقابلته فى هذا الظرف الدقيق.

والتقيت مع هوارى بومدين بعد ذلك خلال (ندوة الاشتراكيين العرب) التى دعا إيها فى شهر مايو ١٩٦٧ ثم فى سراى القبة بعد عدوان ١٩٦٧ وكان مشحونا برغبة جارفة فى ضرورة استمرار القتال ورغبتة فى البقاء بمصر.

سافرت إلى الجزائر فى بداية عام ١٩٦٧ واستقبلنى الرئيس هوارى بومدين فى مكتبه.

وما رأيت هوارى بومدين غاضبا مثلما رأيته فى ذلك اليوم وهو يتحدث فى مرارة عن أسلوب الهجوم الذى بدأ فى مصر ضد جمال عبدالناصر، مستغربا أن يتم ذلك فى عهد أنور السادات زميله ونائبه.

كان يردد بعض ما نشرته الصحافة المصرية فى ذلك الوقت مستغربا ومندهشا ومحتجا.

وأوضحت للرئيس هوارى بومدين وجهة نظرى من أن أسباب انطلاق الحملة ضد جمال عبدالناصر لم تبدأ بعد وفاته... وإنما بدأت فى حياته... فإنه رغم كل ما كان يتمتع به من تأييد شعبى جارف لم ينظم ذلك بطريقة ديموقراطية... ولم يوفر التنظيمات والمؤسسات الديمقراطية التى تتبنى وتعتنق أفكاره ومبادئه التى سجلتها مواثيق ثورة يوليو وتدافع عنها.

دار أكثر من حوار مع الرئيس هوارى بومدين... الذى يبدو أنه تأمل هذه الأفكار، فاعلن إجراء ثلاث انتخابات ديموقراطية فى عام ١٩٧٦... فى حزب جبهة التحرير الجزائرية، وفى المجالس المحلية، وفى البرلمان.

كانت ظروف مصر تضيق بأبنائها الأحرار... ولم يكن هناك من سبيل أمام زحف إجراءات الردة المتصاعدة والثورة المضادة... إلا التجمع فى حلقات للمعارضة والمقاومة لمن اختاروا البقاء فى مصر... أو السفر إلى الخارج لمعارضة النظام بحرية أكبر.

وكنت واحدا من الذين اختاروا البقاء فى مصر... رغم كل شئ.



●●● الفصل الواحد والعشرين ●●●

كنت عضوا مؤسسا فى حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى... وعرض على البعض أن أكون عضوا فى محاولة لإحياء حزب شيوعى مصرى... ولكنى آثرت الابتعاد وعدم الاستمرار فى الانتماء لأحزاب أو تنظيمات بعد ابتعاد استمر ٢٠ عاما.

- محاولة لتشكيل (تحالف) معارض لسياسة أنور السادات مع عبد اللطيف البغدادى.

- بعد شهور من زيارة أنور السادات للقدس قدمنى للتحقيق أمام المدعى العام الاشتراكى مع محمد حسنين هيكل ومحمد سيد أحمد وصلاح عيسى وأحمد فؤاد نجم.

- علمت بخبر دعوتى للتحقيق فى لندن... قررت العودة وأبلغت السفير سميح أنور.

- حرصت على عدم زيارة الدول العربية حتى لا أعطى أجهزة الأمن فرصة توجيه اتهام بالاتصال بجهات معادية.

- قرار بمنعى من الكتابة فى روز اليوسف خلال رئاسة مرسى الشافعى لمجلس إدارتها.

لم يعد هناك من سبيل للتعامل مع نظام الحكم الذى يقوده أنور السادات إلا باتخاذ موقف المعارضة... فلم تعد خطوات النظام مقبولة.

ورغم أن الفرصة كانت متاحة نظريا للمعارضة عن طريق حرية التعبير النسبية إلا أن كل شئ كان محكوما بما يجعل الديموقراطية شكلية وغير ذات مضمون.

ولم يكن العمل السياسى خارج إطار النظام أمرا يسيرا... فطليعة الاشتراكيين التى ارتبطت بها خلال السنوات العشر السابقة، أصبحت محظورة ومطاردة، وتطلق عليها أجهزة الإعلام اسم (الجهاز السرى) وكأنه كان تنظيما معاديا لثورة يوليو، ورغم أن معظم القيادات التى أصبحت فى مواقع المسئولية كانت منتمية إليه... مثل رؤساء الوزارات دكتور عزيز صدقى وممدوح سالم وحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب ومعظم الوزراء والمحافظين.

كان هناك تشكيل سياسى يفرضه أنور السادات بعد أن أصبح له رصيد سياسى خاص بعد حرب أكتوبر.

واقتضى الأمر وقتا استغرق ثلاثين شهرا بعد حرب أكتوبر لتغيير الاتحاد الاشتراكى إلى أن أعلنت المنابر فى اجتماع مشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية يوم ٢٩ مارس ١٩٧٦.

وكان قد سبق الإعلان عن المنابر ظهور قانون الانفتاح رقم ٤٣ لعام ١٩٧٤... الذى جعل الحرية السياسية لأزمة للحرية الاقتصادية.

وتطورت الأمور بصورة طبيعية... وأصبحت المنابر الثلاث أحزابا بقرار صدر من أنور السادات يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٦ وأصبحت هناك أحزاب هى حزب مصر

العربى الاشتراكى ويرأسه ممدوح سالم وحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ويرأسه خالد محى الدين وحزب الأحرار الاشتراكى ويرأسه مصطفى كامل مراد.

وكان موقعى الطبيعى فى حدود الشرعية السياسية أن أكون عضوا فى حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى... فأصبحت عضوا فى جمعيته التأسيسية... ولكن بعد ما لاحظت من تنافس بين بعض المجموعات اليسارية جعلنى لا أتحمس لبذل نشاط قد لا يقابل بالتأييد من مجموعات أخرى.

وكان بعض الأصدقاء والزملاء السابقين قد اتصلوا بى من أجل الانضمام لتنظيم جديد يتشكل باسم (الحزب الشيوعى المصرى)... وكانت صلتى بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى قد انقطعت قبل ذلك بأكثر من عشرين عاما (عام ١٩٥٣).

ولم أستطع الرفض مسبقا... فقد كانت الحالة السياسية تدفع إلى المعارضة أو المقاومة... ولكنى لم أكن متحمسا لتجربة العودة للانتماء إلى تنظيم واحد، فى وقت لم تحقق فيه تجربة التنظيم الواحد نجاحا... ومع ذلك حاولت التعرف على ما قد يكون هناك من جديد.

وتبينت من الوهلة الأولى أن الخلافات بين التنظيمات القديمة قد تسللت إلى التنظيم الجديد... وأن البداية لم تكن توحيدا بقدر ما كانت تدشينا للانقسام.

ولم يكن الجو السياسى فى النصف الثانى من السبعينيات مشابها للجو فى الأربعينيات... وكثير من الظروف والزملاء تغيرت... بل والعمر أيضا.

ولم يكن أسلوب التنظيم السرى الواحد، هو الأسلوب الأفضل والأمثل.

ولذا آثرت أن أكون بعيدا ومستقلا عن الانتماء لتنظيم ما.

قامت الحكومة بحملة اعتقالات للشيوعيين بصورة عامة عقب مظاهرات قامت فى القاهرة فى بداية عام ١٩٧٥ استبدلت بعدها وزارة الدكتور عبدالعزيز حجازى بوزارة رأسها ممدوح سالم.

ومع ذلك كان لابد من المعارضة...

لم تكن المعارضة لتوجيهات أنور السادات قاصرة على الشيوعيين الذين حاولوا تجميع أنفسهم فى حزب واحد... ولكنها كانت ممتدة وعريضة.

كان عبداللطيف البغدادى من أقرب الأصدقاء الذين أثق فى وطنيتهم ونزاهتهم... وكانت معارضته واضحة وحاسمة لكل ما يقوم به أنور السادات... وسرعان ما التقينا على ضرورة وجود نوع من التنظيم الجبهوى العريض الذى يضم كل الوطنيين الذين يستشعرون الخطر على مصر من خطوات أنور السادات.

وأصبح هناك تحالف وليد يضم عددا من الشخصيات البارزة.

وتشكلت قاعدة وطنية عريضة لا تمزقها الخلافات الحزبية... ولا يجمعها إلا رغبة مشتركة فى استقلال مصر الوطنى والاقتصادى، دون منازعات وخلافات عقائدية أو نظرية.

ولا يمكن القول بأن التحالف قد وصل إلى الدرجة التى يستطيع فيها أن يلعب دورا قياديا للجماهير... فلم يكن له منبر علنى، وهو فى النهاية كان يتم باجتماعات شبه علنية، ومحادثات شبه سرية.

وكانت جماهير الشعب أسرع فى التعبير تلقائيا عن آرائها... وتجسد ذلك فى الانتفاضة الشعبية التى امتدت من الإسكندرية إلى أسوان يومى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ الأمر الذى دفع الحكومة إلى إنزال الجيش والتصادم المسلح مع المتظاهرين الذين حاولوا الاعتداء على أنور السادات فى أسوان.

وأدى صدام الجيش مع الجماهير التى رفضت تنفيذ أوامر منع التجول إلى مصرع ٨٤ شخصا.

وكان من سخرية الأقدار أن أطلق أنور السادات على هذه الانتفاضة الشعبية اسم (انتفاضة الحرامية) رغم أن وزارة ممدوح سالم كانت قد تراجعت فورا عن رفع الأسعار.

التهبت المشاعر فى مصر... وأصبح التعبير عنها صعبا فى أجهزة الإعلام المصرى.

وخلال هذه الفترة هاجر كثير من الكتاب والمثقفين... عبدالرحمن الخميسى، محمود أمين العالم، محمود السعدنى، ألفريد فرج، ميشيل كامل، سعد الدين فؤاد أديب ديمترى، أمين الغفارى وغيرهم كثيرون ليؤدوا دورا سياسى مقاوما للنظام خارج الحدود.

وفتحت الصحافة الأجنبية صفحاتها لكتاب مصر... سواء كانوا فى داخل أو خارج الحدود.

وأتيحت لى فرصة الكتابة فى جريدتى (الوطن) ثم (السياسة) فى الكويت بعد دعوة من أصحابها محمد مساعد الصالح وأحمد الجار الله.

وبعد شهور من الانتفاضة الشعبية كان أنور السادات يدبر أمرا.

وفوجئ الشعب المصرى بخطاب أنور السادات أمام مجلس الشعب الذى أعلن فيه استعداده للذهاب إلى الكنيست إذا كان فى ذلك مصلحة للسلام.

وبعد أيام فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ... كان أنور السادات يهبط من الطائرة المصرية فى مطار بن جوريون... وكنت أشاهد الموقف على شاشة التليفزيون.

كان المشهد مثيرا وحزينا... وكنت فى حالة نفسية أقرب إلى الاكتئاب.

لم أكن ضد السلام ولكننى ما تصورت مطلقا أن يأتى السلام الشامل العادل بمثل هذا الأسلوب... الذى يسبق فيه أنور السادات كل الإجراءات الخطوات والأبحاث الواجبة ليخطب فى الكنيست دون أن يكون معه عرض نهائى لاتفاقية سلام.

ولم يكن متوقعا أن تجذب هذه الخطوة التى غيرت مسار السياسة بدعوى كسر الحاجز النفسى بين العرب والإسرائيليين أحدا من الدول العربية... أو ملكا أو رئيسا غير أنور السادات.

وما أن انتهى العرض التليفزيونى حتى وجدت شبكة سوداء رقيقة أمام عينى لا تتحرك ولا تضيع.

ذهبت إلى أطباء العيون فقالوا أن العين سليمة وأنها ستمتص بعد أسابيع أو

ومضت الشهور، والشبكة السوداء لا تضيع من أمام عينى... ولم يكن فى الأخبار ما يبهج النفس، فيرفع عن العين هذه الغاشية.

ورأيت السفر إلى لندن لعرض نفسى على أحد الأطباء.

وقبل يومين من السفر قرأت فى صحيفة الأهرام أنه سوف يتم اليوم تحقيق مع عدد من كبار الصحفيين.

وتوقعت شرا... وقررت أن أتصرف بسرعة... وذهبت إلى شركة الخطوط الجوية البريطانية وسألت عما إذا كان ممكنا لى تقديم موعد السفر ليكون اليوم بدلا من بعد يومين.

وقال لى موظف الشركة... معنى ذلك أن تكون فى المطار بعد ساعة ونصف.

– نعم سوف أكون.

وفى انتظار الطائرة كنت أقرأ تحقيقا فى جريدة الأهرام للزميل مكرم محمد أحمد بعد لقاء مع ناحوم جولدمان... وكانت صورتى منشورة ضمن التحقيق الذى تحدث فيه جولدمان... عن معارضته لسياسة حكومة إسرائيل وحرصه على إقرار السلام بين العرب وإسرائيل.

أقلعت الطائرة، وما أن وصلت إلى لندن حتى اتصلت بالصديق محمد وهبى الذى عرفته فى الهند مستشارا صحفيا، وكان وقتها يعمل فى مكتب الجامعة العربية بلندن، وإذا به يسألنى فى دهشة.

– من أين تتكلم؟

– من لندن.

وصاح محمد وهبى.

– غير معقول... ده لسه مندوب جريدة التايمز بيسألنى عنك – ليه.

- إنت ماتعرفش؟

- أعرف إيه؟

وروى لى محمد وهبى أن وكالات الأنباء قد طيرت خبر تقديمى مع محمد حسنين هيكل ومحمد سيد أحمد وفؤاد نجم وصلاح عيسى إلى المدعى العام الاشتراكى.

ورويت له قصة الخبر الذى قرأته فى الأهرام هذا الصباح... وحرصت على السفر إلى لندن لعرض نفسى على طبيب للعيون.

وقررت أن أتصل بالسفارة حتى لا يتصور أحد فى مصر أنى لن أعود.

قابلنى السفير سميح أنور فى مكتبه بالسفارة... وهو شخصية متميزة كنت قد التقيت به فى عدة مناسبات بموسكو حيث كان يعمل، وفى لندن قبل عام خلال رحلة سياحية... وهو ابن خالة الصديق أحمد فؤاد... وطلبت منه أن يبلغ الجهات المختصة أننى سأعود فور الاطمئنان على عينى... وطلبت منه بالمناسبة أن يختار لى طبيبا معروفا للعيون... كما قدمت له رسالة رجوت منه أن يرسلها لعل حمدى الجمال نقيب الصحفيين أبلغه فيها أيضا بأننى سأعود لحضور التحقيق.

وخلال الأيام التى قضيتها فى لندن شعرت بمعنى الصداقة لما قام به نحوى الصديق السفير الأخضر الإبراهيمى سفير الجزائر فى بريطانيا... لم يكن يمضى يوم دون لقاء... وكان حريصا على مشاهدة مباريات العالم فى كرة القدم فى تليفزيون الفندق المتواضع الذى أقيم فيه... كما قدمنى إلى عدد من الصحفيين البريطانيين الذى كانت تربط بين بعضهم ومحمد حسنين هيكل علاقات شخصية سابقة.

وما التقيت بمصرى مصادفة فى أحد شوارع أو متاجر لندن إلا وسألنى عما إذا كنت سأعود إلى مصر، وعندما يسمع الجواب بالإيجاب والتأكيد، كانت تأخذه الدهشة من هذه المغامرة.

وفى كل صباح كانت الصحف البريطانية تظهر حاملة لمقالات وكلمات وتحقيقات حول تقديمنا للمدعى العام الاشتراكى مدافعة فى مجملها عن حرية الرأى.

وبعد أسبوع... وكان الطبيب البريطانى قد شخص لى الحالة بأنها ليست من العين ذاتها... وإنما هى غالبا حالة نفسية.

بعد أسبوع عدت إلى مصر.

وفى نفس الليلة حضر لى الصديقان موسى صبرى وعبدالرحمن الشرقاوى وأمضينا جميعا سهرة عائلية... واتفقنا على أن يترافع عنى الدكتور عبدالمنعم الشرقاوى الذى تفضل بقبول ذلك متواضعا.

لم أكن أعرف الاتهام.

ولم أكن قد واجهت محققا منذ فبراير ١٩٥٣ عندما حقق معى زكريا محى الدين فيما سمى وقتها بقضية ضباط المدفعية، وأصدر أمرا بالإفراج عنى كما سبق أن ذكرت بعد حوار لم يستمر أكثر من دقائق محدودة.

التحقيق يقوم به قاضى شاب هو الأستاذ محمود هانى... وهو يسألنى فى حضور الدكتور عبدالمنعم الشرقاوى، والزميل الصديق جلال عيسى عضو مجلس إدارة نقابة الصحفيين ومندوبها فى التحقيق ونائب رئيس تحرير جريدة الأخبار.

موضوع التحقيق مقالات كنت قد نشرتها خارج مصر فى جريدة السياسة.

لاحظت أن المحقق يسأل حول عبارات وضع تحتها خط.

استمر التحقيق أربع جلسات... لم يكن فيها ما يثير أو ما يستدعى التحقيق.

ومضت الأمور هادئة إلى أن وجه لى المحقق سؤالا أخيرا يقول فيه بدون مناسبة (انت متهم بالإساءة لسمعة مصر).

واندفعت الدماء فى رأسى، وجرفنى غضب شديد... وقلت بصوت مرتفع.

– من الذى يجرؤ على توجيه ذلك... وهل أصبحت...

وهنا تدخل بسرعة الدكتور عبدالمنعم الشرقاوى ومنعنى من مواصلة الحديث قائلا للمحقق فى هدوء.

– أود أن ألفت نظر السيد المحقق إلى ما كتبه الأستاذ... عن ثورة يوليو ودفاعه عنها وعن مصر.

وسجل المحقق هذه الكلمات... والغضب مازال ثائرا في صدري يريد أن ينطلق... ولكن ابتسامة هادئة ارتسمت على وجه المحقق دفعتني إلى الصمت حتى خرجنا من قاعة التحقيق، وبادرني الدكتور عبدالمنعم الشرقاوي إلى القول.

– انت كنت حتضيع كل الدفاع بكلماتك الغاضبة.

لم نقدم للمحاكمة بعد تحقيق المدعي العام الاشتراكي... لأنه لم يكن هناك موضوع يمكن أن يتحول إلى قائمة اتهام إلى الحد الذي دفع محمد حسنين هيكل إى إصدار كتاب عن وقائع التحقيق... لأن المعارضة التي قامت بها الصحافة وأجهزة الإعلام العالمية ضد أنور السادات كانت أقوى مما يتحمله النظام وهو يمهد لاتفاقه مع الإسرائيليين والذي تم فعلا في شهر سبتمبر ١٩٧٨ عندما وقع اتفاقيات كامب ديفيد.

كان أنور السادات يستهدف من هذا التحقيق وقف صوت المعارضة لخطته التي كان يدبرها سرا لتغيير اتجاه السياسة المصرية... ولكنه لم يفلح في ذلك.

كانت اتفاقيات كامب ديفيد نقطة تحول بالنسبة للمعارضة المصرية التي التقت مع المعارضة العربية في سائر أرجاء الوطن العربي.

وكانت هناك صلة سياسية مع الصديق عبدالمجيد فريد الذي كان مازال يتنقل بين الجزائر وبغداد... وكنا نلتقي حسب مواعيد سابقة في لندن بطريقة سرية... كما نشأت صلة مع الفريق سعد الشاذلي الذي كان يقيم في العاصمة الجزائرية ويتعاون مع القيادة الليبية.

حرصت خلال هذه الفترة على ألا أمنح أجهزة الأمن المصرية فرصة توجيه اتهام لي بالاتصال بجهات معادية لمصر فتوقفت عن زيارة الدول العربية التي كانت قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع القاهرة بعد مؤتمر قمة بغداد، وأصبحت في عرف أنور السادات أنظمة معادية.

كانت المعارضة داخل مصر قد أخذت تنمو وتتبلور... وتأخذ شكل امتداد للتحالف.

وكانت روز اليوسف قد أصبحت ساحة للرأى الآخر الذى لا يطبل أو سصفق لكل ما يتخذ من إجراءات... ولكنها تؤيد فى هدوء.

وكان عبدالرحمن الشرقاوى قد استعان بصلاح حافظ وفتحى غانم كرئيسين لتحرير روز اليوسف... ووجد القراء فى المجلة صوتا مختلفا عن الأصوات الأخرى فارتفع توزيع المجلة ارتفاعا كبيرا.

ولكن استمرار المجلة فى أداء دورها كان صعبا، فلم تكن المعارضة لاتفاقيات كامب ديفيد مقبولة وخاصة بعد أن أصبحت الموافقة عليها شرطا لقيام الأحزاب حسب نص القانون.

ومع الوقت كان التأييد الذى ظهر نتيجة للحملة الإعلامية التى صاحبت رحلة السادات إلى القدس قد انحسر... وبدأت تتكشف المتاعب الحقيقية.

ونقل عبدالرحمن الشرقاوى أمينا عاما للمجلس الأعلى للفنون والآداب... وأصبح مرسى الشافعى المحرر بدار الهلال رئيسا لمجلس إدارة روز اليوسف... وكان صريحا معى إذ أبلغنى فى وضوح أن أنور السادات لا يرتاح لقراءة ما أكتب.

وكانت هذه هى المرة الرابعة التى أبلغ فيها قرار بمنعى من النشر.

ولم تكن المعارضة تتجمع خارج إطار السلطة فقط... ولكنها كانت قد تفجرت داخل قمة السلطة أيضا... بدأت عندما استقال إسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اعتراضا على سفر أنور السادات القدس... واستقال بعده محمد رياض وزير الدولة للشئون الخارجية ثم الدكتور مراد غالب الذى كان قد عاد إلى منصب سفير مصر فى يوغوسلافيا بعد إخراجه من وزارة الدكتور عزيز صدقى عندما كان وزير دولة للشئون الخارجية.

الاتجاه الوطنى كان واضحا فى وزارة الخارجية... وعندما قبل الدكتور محمد إبراهيم كامل سفير مصر فى بون منصب وزير الخارجية بعد استقالة إسماعيل فهمى، وهو الرجل المعروف بوطنيته وصلابته والذى كان زميلا لأنور السادات فى قضية

اغتيال أمين عثمان، أخذتنا الدهشة وتناثرت الأسئلة... ولكن أكد لنا بعض زملائه وأصدقائه أنه لا يمكن أن يتهاون فى أى موقف وطنى، وأن قبوله للمنصب إنما يستهدف دفع أخطاء يمكن له من موقعه أن يدفعها... وهو ما ظهر لنا بعد ذلك واضحا من استقالته أثناء محادثات كامب ديفيد، وما كشفه بعد ذلك من أسرار فى كتابه الممتع والمفيد (السلام الضائع).

حرص عبداللطيف البغدادى ونحن معه على الاتصال بجميع الوطنيين مهما اختلفت آراؤهم السياسية أو مواقفهم الاجتماعية طالما هم يعارضون انحدار أنور السادات بالسياسة المصرية... وحرصنا أيضا على أن ينشط كل فرد فى موقعه إذا أتيحت له الفرصة لذلك.

أذكر أن عبداللطيف البغدادى قد ذهب ليلا إلى منزل فؤاد سراج الدين على غير موعى للمناقشة حول ما يجب عمله فى هذه الظروف المتردية... الخطر المشترك على الوطن جمع بينهما رغم أن فؤاد سراج الدين وقف فى قفص الاتهام أمام عبداللطيف البغدادى فى محكمة الثورة.

واتسع التحالف ليشمل عددا من الشخصيات البارزة، التى رحبت بهذا الموقف خارج إطار التنظيمات الشرعية أو داخلها... وتم الاتصال مع الدكتور محمود القاضى، وممتاز نصار والدكتور مراد غالب. والدكتور فؤاد مرسى، لطفى الخولى... كما كانت هناك صلة وثيقة مع خالد محيى الدين الأمين العام لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، وصلة مستمرة ومتصلة مع إبراهيم فرج وفتحى رضوان.

تبلورت فكرة التحالف وأصبحنا نناقش مختلف القضايا مناقشة جماعية لاتخاذ موقف موحد... وكان أنور السادات شديد التسرع والاندفاع فى تنفيذ أهدافه... فقد عقد المعاهدة المصرية الإسرائيليةرغم كل شئ فى مارس ١٩٧٩، وفتح أبواب مصر لسفارة ترفع العلم الإسرائيلى، وتدفقت البضائع والمنتجات الإسرائيلية على الأسواق المصرية بتشجيع من الحكومة فامتلأت المحلات بالفواكة والشيكولاتة والبيرة والمواد

الغذائية التى تحمل نجمة إسرائيل التى ارتفعت فوق علمهم فى سفارة بشارع محى الدين أبوالعز بالدقى.

أذكر أن أستاذا أمريكيا فى جامعة فرجينيا كان يحاضر لإبنى هانى فى الجيولوجيا هناك عند دراسته للدكتوراة، وكان فى زيارة لمصر وسألنى فى دهشة (لماذا تبيعون البرة الإسرائيلية فى عربات النوم إلى الأقصر بدلا من بيرة ستلا التى أحبها جدا)... ولم يكن عندى جواب سوى نشر هذه الواقعة فى روز اليوسف.

وأذكر أن الأضواء قد أضاءت وسط القاهرة ولم نكن نعرف السبب... وتصادف أنى التقيت مع سحفى فرنسى يعمل فى وكالة الأنباء الفرنسية التى كنت أقيم فى الشقة المجاورة لها بشارع قصر النيل، وعلمت أن مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل سوف يزور فى هذه الليلة المعبد اليهودى الواقع فى شارع عبدالخالق ثروت المجاور.

مظاهر وأخبار مستفزة كثيرة كانت تبعث فى النفس الإحباط والمقاومة معا.

كانت حلقة التأييد لأنور السادات تضيق كل يوم... وحلقة المعارضة تتسع كل يوم.

●●● الفصل الثانى والعشرين ●●●

- عبدالرحمن الشرقاوى يدعونى للعمل نائبا له فى منظمة التضامن الافريقى الاسيوى بعد أن أصبح سكرتيرا عاما بعد استشهاد المرحوم يوسف السباعى
- هاجمت كامب دافيد فى أول رحلة لى لحضور اجتماع رئاسة المنظمة فى هانوى ووفود سوريا ولبنان وغيرها من الدول العربية تصفق فى حرارة.
- اعتمدت على سيد مرعى فى اعادة تشكيل اللجنة المصرية للتضامن بصفته رئيسا للجنة بعد أن كان أنور السادات رئيسا لها منذ شكلت فى أغسطس ١٩٥٧ إلى انتخب رئيسا للجمهورية.
- دور اللجنة المصرية للتضامن فى التصدى للجان العربية التى حاولت نقل مقر المنظمة من القاهرة
- استقال سيد مرعى، فأصبحت سكرتيرا عاما للجنة المصرية للتضامن ثم رئيسا لها بعد استقالة عبدالحمن الشراوى
- تلقيت خبر مصرع انور السادات وانا استحم فى البحر بالاسكندرية

وقفت الدول العربية موقفا مضادا من اتجاهات أنور السادات وكان مؤتمر بغداد قد اتخذ قرارا بتجميد عضوية عضوية مصر فى الجامعة العربية ونقل مقرها من القاهرة إلى تونس.

ونقلت الاتحادات المهنية والعالمية مقارها من مصر فى سرعة متعجلة ... ولم يبق سوى اتحاد المحامين العرب.

وكانت منظمة التضامن الافريقى الاسيوى التى نشأت وتكونت فى مصر فى مطلع عام ١٩٥٨ قد تعرضت لما ساة عندما اغتيل سكرتيرها العام يوسف السباعى فى فبراير ١٩٧٨ أثناء مؤتمر لها فى قبرص بعد زيارة السادات للقدس... وتم الاتفاق على أن يحتل موقعه عبدالرحمن الشرقاوى.

ولم تكن لى صلة سابقة بهذه المنظمة... لم أدخل بابها منذ أنشئت، وانما كنت أتابع نشاطها من موقع الكاتب الصحفى.

وطلبنى عبدالرحمن الشراوى للقاء معه، وعرض على أن أذهب رئيسا لوفد مصر فى اجتماع هيئة رئاسة المنظمة الذى سيعقد فى هانوى فى يناير ١٩٧٩ .

كان الطلب غريبا... فلم تكن لى صلة بالمنظمة كما قلت... وكانت تتوفر عندى معلومات بانه ما من اجتماع شعبى أو رسمى يعقد الا وتوجه كلمات النقد والسباب لاتفايات كامب ديفيد ولانور السادات شخصيا.

وتساءلت عن السبب الذى يدعو لاختيارى وأنا الممنوع من الكتابة .. فقال لى عبدالرحمن الشراوى أن المنظمة شعبية وهى ليست ملتزمة بمواقف الحكومة .

كنت قد استشرت عبداللطيف البغدادى والاصدقاء.. فشجعونى على ذلك. .. وجدوا فيها فرصة لاعلاء صوت الذين يعارضون اتفاقيات كامب ديفيد من المصريين فى الخارج... وكنت فى شوق لزيارة فيتنام التى سبق ان زرتها مع الصديق محمد عودةعام ١٩٦٨ خلال الغارات الجوية الامريكية القاسية.

قبلت بعد تردد.

كان الجو مثيرا... واتصلت برؤساء الوفود العربية جميعا، وطلبت منهم أن ينتقدوا اتفاقيات كامب ديفيد بكل الاساليب التى يرتضونها مع تجنب الهجوم الشخصى على رئيس جمهورية مصر أنور السادات منعا.لاحراج اتعرض له... ولان السباب ليس هو الاسلوب الصحيح لادانة الخصوم

وافق الاخوة العرب جميعا... وفوجئوا بخطبة رئيس وفد مصر الذى ضم انجى رشدى وعبدالمجيد أبو زيد تدين اتفاقيات كامب ديفيد أيضا... إلى الدرجة التى وقف فيها مندوب سوريا يصفق بحماس بعد انتهائى من الكلمة التى عبرت بها عن ضميرى.

وعندما عدت إلى القاهرة، وجدت أن تقارير قد سبقتنى تقول أننى هاجمت مصر كما قيل لعبد الرحمن الشرقاوى ... والذى أوضحت له أن هذه فيما أعلم كانت المرة الإولى التى لم يوجه فيها سباب صريح لانور السادات فى مؤتمر عام.

أعتقد أن صلتى بمنظمة التضامن الافريقى الاسيوى قد انتهت بعد هذه الزيارة... ولكن حدث شيئ مثير.

....

....

طلبنى عبدالرحمن الشرقاوى إلى لقاء معه... والتقينا فى نادى الجزيرة.. وعرض على أن أكون نائبا له... أى نائبا للسكرتير العام.

كان الطلب مفاجئا... رغم أن علاقتى السياسية كانت قد توطدت به منذ عملنا فى روز اليوسف، رغم عزلى من رئاسة تحرير روز اليوسف وحاولنا خلال جهد مشترك أن نجعل أبواب حزب التجمع تفتح عريضة لاستقبال وضم كل الاتجاهات والشخصيات اليسارية.

وبعد استشارة البغدادى والزملاء وافقت على العمل واشترطت شرطا واحدا هو أن يكون ذلك دون أجر ولا مكافأة.

وبدأت ممارسة العمل فى جو غريب لم تكن لى به صلة سابقة... وأجبرت على الاهتمام بتنظيم العمل الادارى الذى وجدت أنه كان متسيبًا إلى حد كبير.

كان عبدالرحمن الشرقاوى قليلا ما يحضر إلى مقر السكرتارية الدائمة للمنظمة فى مقرها بشارع عبدالعزيز آل سعود بالمنيل... وكان الممارس الفعلى لكافة الامور هو نورى عبدالرزاق العراقى الجنسية والذى كان وقتها عضوا باللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى.

وبعد التعرف على طبيعة العمل، وجدت أن اللجنة المصرية للتضامن التى تشكلت بقرار من جمال عبدالناصر بصفته الامين العام للاتحاد القومى فى أغسطس ١٩٥٧، والتى احتضنت تشكيل المنظمة فى مؤتمرها الاول الذى عقد بالقاهرة فى أواخر ديسمبر والذى أثمر اعلان المنظمة فى مطلع عام ١٩٥٨.. اللجنة المصرية للتضامن كانت موجودة شكلا ولكنها ذائبة فى المنظمة الدولية، حيث كان يوسف السباعى سكرتيرا عاما لكل من المنظمة واللجنة... ولذا لم يضع بينها حدودا فاصلة، ولم يضم بناء وهيكلا تنظيميا للجنة المصرية للتضامن.

ووجدت أن طبيعة العمل الذى أوكل لى لن يخرج عن اطار السكرتارية الدائمة ... ولن يكون له مردود فى الحياة السياسية المصرية.

وعرضت الامر على عبدالرحمن الشرقاوى... وطلبت منه أن نبدأ معا فى تشكيل تنظيم خاص للجنة المصرية يكون مرتبطا فى عمله بالسكرتارية الدائمة، وتحت مظلة المنظمة.

وافق عبدالرحمن الشرقاوى ... وأتاح لى مسئولية العمل.

ووجدت في ذلك فرصة لاختيار العناصر الوطنية التى ارتبطت بها خلال السعى لتشكيل التحالف أو طليعة الاشتراكيين ... ورأيت أن يكون ذلك في هدوء وبغير عجلة... فلن يكون النظام سعيدا بهذا الحشد فى اللجنة المصرية للتضامن التى تحصل على ميزانيتها من وزارة الخارجية.

وبدأت الاستعانة بالمهندس سيد مرعى، وكانت تربطنى به علاقة خاصة محورها التقدير والثقة فى نظرته المتفتحة.

كان سيد مرعى وزيرا للزراعة فى عهد جمال عبدالناصر ، ثم أصبح أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى فرئيسا لمجلس الشعب فى عهد أنور السادات... ولكنه لم يكن مؤيدا خطوات أنور السادات فى حماس فقد كانت له علاقات طيبة مع قادة منظمة التحرير الفلسطينية.

واستقر رأى أنور السادات على ابعاده عن رئاسة مجلس الشعب بطريقة مفاجئة رغم ارتباطهما بصلة النسب فقد تزوج ابنه بنت السادات ... وروى لى شقيقه مرعى أحمد مرعى أنهما كانا معا فى سهره حتى الثالثة صباحا فى استراحة الرئاسة بالهرم ولم يبلغه بترشيح الدكتور صوفى أبو طالب رئيسا لمجلس الشعب إلى أن فوجئ بالخبر فى اليوم التالى.

وخلال قراءة ملفات التضامن وجدت أن عبدالناصر قد عين أنور السادات رئيسا للجنة المصرية للتضامن ولكنه لم يكن رئيسا ممارسا فقد كان يوسف يقوم بكل العمل بصفته سكرتيرا عاما... وأن أنور السادات قد فوض سيد مرعى فى هذا المنصب الذى لم يمارسه عمليا وانما احتفظ به شرفيا.

واتصلت بسيد مرعى الذى حصلت على موافقته بضم كافة العناصر الشخصيات التى رشحتها له ... لم يعترض على أحد مطلقا.

وبدأت اللجنة تأخذ كيانا وشكلا تنظيميا.

وكانت العناصر التى انضمت إلى اللجنة تمثل وجهات نظر وطنية مختلفة.

أصدرنا نشرة شهرية لاول مرة ظهر عددها الاول فى سبتمبر ١٩٨٠ وصدر فيه أول تشكيل للجنة جمع بين القدامى والجدد فى نسيج واحد ونص على أن المهندس سيد مرعى هو رئيس اللجنة وعبدالرحمن الشرقاوى سكرتيرها العام وأنا نائب السكرتير العام مع مجموعة من الاسماء التى تشمل كافة الاتجاهات والمدارس الفكرية.

....

....

ولم تقف حركتنا لبناء اللجنة المصرية للتضامن عند حدود القاهرة ... امتدت إلى الإسكندرية حيث شكلت لجنة حضر اجتماعها الاول يوم ٦ سبتمبر ١٩٨٠ المهندس سيد مرعى وعبدالرحمن الشرقاوى والدكتور محمد الغراب والدكتور عبد المجيد صادق الاستاذان بكلية الطب وعبدالحليم الاعسر أحد الضابط الاحرار والدكتور هشام صادق بكلية الحقوق، والدكتور محمد دويدار، وعبدالحميد والى المحامى

كانت الارضية الوطنية التى تشكلت فوقها اللجنة حافزا لنا على العمل المشترك وادانة المواقف التى حاول النظام فرضها... فالى جانب ادانة اتفاقيات كامب ديفيد المعلنة فى كافة البيانات، صدرت بيانات تدين التطبيع مع اسرائيل، ومحاولة مد مياة النيل إلى إسرائيل.

ومع ذلك كانت هناك لجان تقدير تضامن عربية تسعى وتلح فى نقل مقر منظمة التضامن من الاهرة، دون تقدير للدور الذى تؤديه كجسر للعلاقات بين الحركة الوطنية فى مصر والقوى والنظم الوطنية خارج مصر.

تصدينا لذلك مستندين إلى مواقفنا المعلنة والمعارضة لنهج كامب ديفيد... معتمدين على تاريخ ووطنية الشخصيات التى بدأت تشكل نسيج اللجنة المصرية للتضامن.

وذهبت مع وفد من اللجنة المصرية إلى كولومبو عاصمة سيريلانكا للاحتفال بالعديد الخامس والعشرين لمؤتمر باندونج ضم كلا من : الدكتور خالد عبدالناصر والسيدة هدى عبدالناصر نجلى الزعيم جمال عبدالناصر... وقد حرصنا على هذا التشكيل تقديرا لدور الزعيم العصرى فى حركة التضامن الافريقى الاسيوى، ومحاولة لاظهار أن القوى الوطنية المصرية مازالت موجودة وممثلة فى أبناء الزعيم رغم الخطوات السياسية التى كان يتخذها أنور السادات وتعتبر ردة عن خط ثورة يوليو.

وقد استقبل الوفد المصرى استقبالا كريما، واصر رئيس الجمهورية على أن يكون الدكتور خالد والسيدة هدى فى ضيافته الشخصية... رغم أنه لم يكن على علاقة مع جمال عبدالناصر مثل مسزباندرانيكا التى أصبحت فى المعارضة واستقبلتنا فى منزلها.

وكان لتشكيل الوفد أثر كبير على الوفود التى شاركتا فى هذا المهرجان.

وقف مع اللجنة المصرية للتضامن فى اصرارها على بقاء مقر المنظمة فى مصر عدد محدود من لجان التضامن العربية، مثل لجنة التضامن الفلسطينية ولجنة اليمن الديمقراطية ووقفت معنا أيضا اللجنة السوفيتية للتضامن التى كانت تمثل ثقلا حقيقيا فى المنظمة.

واتيحت لنا فرصة الخروج من مصر فى غير اطار الاجتماعات

التنظيمية لمنظمة التضامن عندما تلينا دعوة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى احتفالات العيد السادس عشر للثورة الفلسطينية فى أول يناير ١٩٨١ بيروت.

شكلنا وفدا يمثل مختلف الاتجاهات السياسية والدينية والفكرية ... ضم عبدالرحمن الشرقاوى رئيسا للوفد والانبا جريجوريوس اسقف عام الدراسات اللاهوتية والثافة القبطية والدكتور عبدالله عبدالشكور وكيل أول وزارة الاوقاف والاستاذ المحاضر بجامعة الازهر والدكتور حسن صبرى الخولى والدكتور فؤاد مرسى والكتاب مصطفى

بهجت بدو وسعد كامل ولطفى الخولى وحامد زيدان الذى كان يرأس وقتها تحرير مجلة (الشعب) الصادرة عن حزب العمل الاشتراكى.

وصلنا إلى بيروت فوجدنا حرس شرف من الفدائيين الفلسطينيين فى استقبالنا بالمطار، والتقينا مع ياسر عرفات وأبو اياد وأبو جهاد وأبو اللطف وأبو الهول، ونايف حواتمه، وياسر عبدربه، وتيسير قبعة الذين يمثلون مختلف تنظيمات المنظمة.

كانت العلاقات مقطوعة تماما بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين القاهرة... فقد تنكرت اتفاقيات كامب ديفيد للمنظمة فلم تذكرها مطلقا، وارتضت ما يسمى بالحكم الذاتى كحل للقضية الفلسطينية.

كانت الرؤية متنافرة تماما بين أنور السادات وقادة المنظمة... ومع ذلك فقد صدر بيان مشترك بين منظمة التحرير الفلسطينية واللجنة المصرية للتضامن تضمن الاتفاق على عشرين موقفا سياسيا بين الطرفين.

......

......

المثير ان هذه الزيارة التى اعتبرناها خطوة وطنية هامة لدعم الصلة بين الشعب المصرى والشعب الفلسطينى قد استقبلت خطأ من بعض القوى السياسية.

الموجودون فى بيروت من (الحزب الشيوعى المصرى) هاجموا الزيارة واعتبروا أنها وفد من السادات... وأبو صالح أحد قادة فتح كتب مقالا ضد الزيارة باعتبارها تقاربا من فتح للنظام المصرى.

لم نركن إلى الصمت ... ولم نهمل هذا التصرف الذى يصل إلى حد العبث... بل أصدرنا بيانا يتضمن ردا على كل ما نشر.

وانبرت بعض الاقلام المصرية والعربية المخلصة تفسر الرأى الصحيح لهذه الزيارة وأبعادها القومية.

عانينا من هذه الاتجاهات القاصرة عن رؤية الصورة الشاملة المحدود بقيود لاتسمح للفكر بالإنطلاق مرة أخرى عندما ذهبنا فى وفد إلى عدن فى الفترة من ٢٠ إلى ٢٦ مارس ١٩٨٥ لحضور اجتماع مجلس المنظمة الذى كان قد تم فيه الاتفاق على أن يصبح عبدالرحمن الشرقاوى رئيسا للمنظمة، ونورى عبدالرزاق سكرتيرا عاما لها ... فوجدنا مقالات تهاجم الوفد المصرى فى جريدة ١٤ اكتوبر لسان حال الحزب الحاكم.

واجتمع الوفد المصرى الذى كان مشكلا منى ومن الدكتور فؤاد مرسى ورفعت الشهاوى ولطفى الخولى واتخذنا قرارا بمقاطعة الاجتماعات إذا لم يصدر لنا اعتذار رسمى لانه كان معروفا أنه ما من جريدة فى اليمن الديمرقراطية يمكن أن تكتب رأياً يعبر عن وجهة نظرا كاتبه وحده.

وحدث فعلا ... أن دعانا على ناصر محمد رئيس الجمهورية إلى لقد خاص مع الوفد المصرى حضرة ياسر عرفات الذى كان موجودا فى عدن، ازال ما كان فى القلوب من حساسيات.

كانت اللجنة المصرية تعانى من ضغوط داخلية يشنها بعض الذين لايسعدهم أن تعمل فئة من الوطنيين بحرية نسبيه ... وضغوط خارجية يشنها أيضا بعض الذين لايدركون طبيعة العمل داخل مصر أو الفرص المتاحة لنا للحركة السياسية.

كانت اللجنة المصرية تزداد عددا وتأثيرا ... ويتفاعل نشاطها مع نشاط التحالف الذى كانت تتسع قاعدته لتشمل كل اقوى والتنظيمات السياسية والثقافية.

اصبح للمعارضة وزن وثقل فى المجتمع.

ومن أسف أن اللجنة المصرية للتضامن قد تلقت استقالة رئيسها سيد مرعى فى خطاب وجهه بتاريخ ١٨ مايو ١٩٨١ بعد التعديلات التى أقرها المجلس فى عدن وجاء فيه:

السيد السكرتير العام للجنة جمهورية مصر العربية لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوية

تحية طيبة وبعد

لعل السادة أعضاء اللجنة يقدرون مدى ما أتحمله من أعباء ومسئوليات فى الوقت الحالى وهو الأمر الذى يكاد يستوعب كل وقتى ونشاطى خصوصا بعد انشاء هيئة مستشارى رئيس الجمهورية.

واننى إذ أشكر للسادة أعضاء اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوسة صادق تعاونهم معى خلال فترة رئاستى للجنة فاننى أرجو ابلاغهم باعتذارى واستقالتى من اللجنة سالفة الذكر.

ارجو أن تتفضلوا بقبول وافر تحياتى

مساعد رئيس الجمهورية

مهندس سيد مرعى

....

....

وكانت سمعة النظام قد أصبحت سيئة بما يتنقالة الناس عن اخبار الانحرافات والسرقات وتهريب المخدرات ، وكان أنور السادات يلجا دائما للاستفتاءات التى يصدر بها قوانين جائرة جائرة، تهدد الديمرقراطية حتى اطلق عليها اسم (الوانين سيئة السمعة).

أصبح استمرار الحال من المحال كما يقول المثل.

وحدث تغيير فى الولايات المتحدة ... سقط جيمى كارتر عراب اتفاقيات كامب ديفيد فى انتخابات رئاسة الجمهورية... ونجح رونالد ريجان... وسافر أنور السادات إل واشنطن ... وعاد يبشر بتغييرات كبيرة.

أذكر اننى كنت أمارس لعبة الجولف فى نادى سبورتنج بالاسكندرية عندما اقترب منى أحد المدربين وسألنى عن الزميل محمد حسنين هيكل... وكان هيكل ومازال مواظبا على لعبة الجولف كل صباح.

ودهشت من السؤال ... وقلت

ـ لماذا تسال؟

ـ لانه كان على موعد للعب، وهو لم يتأخر أبدا عن موعده

وقلت فى ببساطه.

ـ ربما يكون متعبا.

ولكن الممرن فيما يبدو لم يقتنع... فما كان أسهل على هيكل من الاتصال تليفونيا والاعتذار.

وسألت عن ممدوح سالم مساعد رئيس الجمهورية الذى كان من لاعبى الجولف المواظبين والمقيم بالاسكندرية... ولكنه لم يكن موجودا أيضا.

وأخذت الامر ببساطه... إلى أن شاهدات أحد الاصدقاء من أهل الاسكندرية يقبل على قائلا.

ـ الحمد لله... انت عرفت أيه اللى حصل امبارح؟

ـ لا.

ـ تمت فى اسكندرية حركة اعتقالات كبيرة... ويقال إنها شملت الجمهورية كلها.

وأسرعت للاتصال بعبد اللطيف البغدادى واتفنا خلال مكالمة عادية أن نلتقى.

وكانت الاسرة قد أعدت لى احتفالا بعيد ميلادى الستين فى كابنة المنتزة... وسهرت مع بعض الاصدقاء... احمل الخبر فى قلبى إلى أن ظهر أنور السادات على شاشة التليفزيون.

وجلسنا نستمع إليه ونسمات الليل لاتخف من حرارة الانفعالات التى نقلها الينا فى خطابه الذى أعلن فيه حملة الاعتقالات التى نشرتها الصحف وتبين منها اعتقال ١٥٦٣ شخصية دينية وسياسية وفكرية من مختلف الاتجاهات.

ومن غريب أن بعض الكتاب قد بشروا بثورة سبتمبر.

وصلت حملة الاعتقالات إلى اللجنة المصرية للتضامن فاعتقل منها عشرون ... وفصل أو نقل من أعمالها ٢٨ كنت واحدا منهم.

وبقيت فى الاسكندرية ... الصلة أصبحت مقطوعة بروز اليوسف ولجنة التضامن.

....

....

وفى صباح ٦ أكتوبر ١٩٨١ كان البحر هادئا بما يغرى على السباحة ونزلت إلى البحر شاطئ كليوباترا بالمنتزة .... عندما شاهدت زميلا لى فى القوات البحرية بملابسه الرسمية يقف على الشاطئ ويشير لى بالخروج.

لابد أن فى الامر شئ... فالمفروض أن ينزل هو معى إلى البحر ... ولكنى خرجت... واقبل على يقول.

ـ الظاهر حصل حاجه فى العرض العسكرى... التليفزيون قطع الارسال بعد صوت رصاص.

وعملنا ما يشبه غرفة العمليات .. راديو العربة يذيع من مصر ... وراديو ترانزستور يحمل أخبار لندن... وراديو عمر سيد أحمد شفيق محمد سيد أحمد يحمل أخبار مونت كارلو . فى كابينته القريبة.

أنور السادات أصيب بالرصاص.

ماذا حدث؟

هل الاصابة خفيفة أم قاتلة؟

ما هى التفاصيل؟

لم أعش فى حياتى لحظات ترقب مثل هذه التى عشتها فى انتظار الخبر اليقين.

وفى الرابعة مساء أعلنت اذاعة لندن أن أنور السادات قد قتل.

مات أنور السادات.

وبعد أيام شيعت جنازته فى مدينة نصر... ولم يشترك فيها من المصريين إلا قلة.. بينما شارك فيها مناحم بيجين ومن الرؤساء الامريكيين نيكسون وفورد وكارتر.

هكذا طويت صفحة أنور السادات لتفتح صفحة جديدة.

••• الفصل الثالث والعشرين •••

- رفضنا الذهاب إلى طرابلس من لارناكا للمشاركة فى اجتماع هيئة رئاسة المنظمة لرفض ليبيا استقبال وفد منظمة التحرير الفلسطينية
- الوفد المصرى يرفض الاقتراح السوفيتى بعقد اجتماع دون حضور أى وفد فلسطينى... والوفود الاخرى تستجيب معه ويلغى الاجتماع نهائيا رغم التحضيرات التى اعدها السوفييت.
- بقينا فى لارناكا ثلاثة ايام والحقائب فى الطائرة الليبية.
- السكرتارية الدائمة للمنظمة بدعم من موسكو ترشح عدن لعقد اجتماع لجان التضامن العربية بدلا من القاهرة... ولكن اللجان العربية تصر على عقده فى مصر
- الرئيس محمد حسنى مبارك يقابل وفود لجان التضامن العربية فى مايو ١٩٨٦ فى وقت كانت العلاقات الدبلوماسية فيه مقطوعة بين القاهرة والعواصم العربية
- أول ندوة دولية تقيمها اللجنة المصرية للتضامن عن ٣٠ عاما بعد حرب السويس يحضرها الوزير البريطانى انتونى ناتنج.
- الدكتور بطرس غالى يشارك فى ندوة دولية للجنة عن (أفاق السلام فى الشرق الاوسط).
- اللجنة السوفيتية ترشح جوليوس نيريرى رئيسا للمنظمة بعد وفاة الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى... على خلاف دستورها الذى ينص على أن تقوم اللجنة المصرية بترشيح من تراه

بعد أسابيع من مقابلتنا للعقيد معمر القذافى فى سبها.. ومقابلتنا لحسنى مبارك فى القاهرة... أصبح الباب مفتوحا للقاء بين الزعيمين يتم فيه التفاهم من أجل تحسين العلاقات بين الدولتين والشعبين... وهو أمر لم يكن سهلا فى هذه الظروف التى ارتبطت فيها مصر بالمعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وارتبطت ليبيا بالتنظيمات التى جعلت من كامب دافيد هدف تصويب لسهامها الثورية... وما صاحب ذلك من تعيدات ومصالح شخصية.

تحركنا إلى طرابلس مرة أخرى بعد شهر واحد وخمسة عشر يوما من لقائنا مع معمر القذافى لحضور اجتماع هيئة رئاسة منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية فى بنغازى يوم ٢٥ مارس ١٩٨٥.

كانت آمالنا تحلق فيما يمكن أن يسفر عنه هذا الاجتماع من دعم للتضامن العربى، ومن أمل فى ازالة الجفوة التى تقف عقبة أمام لقاء شعبى مصر وليبيا فى ظروف حضارية تنقذ ما يتعرض له أبناء الشعبين من تعب واستغلال فى السفر بين البلدين عبر اليونان أو قبرص أو مالطة حيث الحدود مغلقة.

وكان الاتفاق أن نتحرك من لارناكا فى قبرص على متن طائرة خاصة تقل الوفود التى جلبتها طائرة سوفيتية من أسيا... ووصلنا إلى المطار بعد ساعات أمضيناها فى المدينة الساحلية التى أصبحت مركز الحركة الطيران بعد تقسيم قبرص عام ١٩٧٤ إلى قسمين تركى ويونانى... وركبنا الطائرة الليبية التى سارع المضيفات فيها يقدمن لجميع المسافرين من أعضاء الوفود المرطبات وورودا حمراء مع ابتسامة ترحيب.

وما أن استقر بنا المقام ونحن نستعد للاقلاع فى الثامنة مساء حتى سمعنا صوت الطيار يطالب عددا من الاسماء بالنزول لاستيفاء اجراءات السفر.

وتساءلت ... وعلمت أنهم أعضاء وفد منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ايه الحكاية ؟

لم أطق الانتظار فى الطائرة لمعرفة ما سيدور مع الوفد الفلسطينى فى المطار القبرصى... ونزلت معهم بعد أن صحبنى فاسوس لازاريديس رئيس لجنة التضامن القبرصية ونورى عبدالرزاق سكرتير عام المنظمة وعدد من أعضاء الوفود... وتبين أن اشارة قد وردت من بنغازى بمنع حضور الوفد الممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية حيث كان هناك وفد فلسطينى آخر يمثل التنظيمات المعارضة للقيادة الشرعية للمنظمة برئاسة ياسر عرفات.

كان هذا الموقف بعيدا عن تصورى تماما... ولكنى أدركت عمق الخلافات التى كانت قائمة فى صفوف منظمة التحرير الفلسطينية والتى أدت إلى اعتذار ياسر عرفات فى اللحظة الأخيرة عن المشاركة فى المؤتمر الدولى لنصرة شعب فلسطين من أجل حقه فى تقرير المصير والذى كان مقررا عقده فى القاهرة يوم ٣٠ مارس ١٩٨٤ كما سبق أن ذكرت.

واعتقدت أن هذا الموقف طارئ ولابد أن يزول هذا العائق بصدور الاوامر من بنغازى بالسماح للوفد الفلسطينى بالسفر معنا... خاصة وأن كثيرا من أعضاء الوفود مازالوا فى الطائرة وفيها كل الحقائب والامتعة ... ولكن الامر كان على غير ما توقعت ... ففد طالت المفاوضات وتعذر الوصول فيما يبدو إلى الحل الذى يمكن أن يصدر قرارات بالغاء المنع الذى يبدو أنه قد صدر من معمر القذافى شخصيا

نزلت الوفود من الطائرة وشغلت معظم مقاعد صالة الانتظار فى مطار لارناكا... واستمرت الاتصالات مع بنغازى والسفارة الليبية فى نيقوسيا دون نتيجة... وهنا طلبت تحديد موعد نهائى نغادر فيه المطار حيث يستحيل البقاء ليلة كاملة فى انتظار رأى من بنغازى

وقام فاسوس لازاريدس باتخاذ اجراءات خروجنا من المطار بعد ابقاء الجوازات عندهم باعتبارنا ركاب ترانزيت، وذهبنا إلى فندقين فى لارناكا نملأ غرفها الشاغرة، وليس معنا من الحقائب شيئا .

كان الرأى الجماعى السائد عند الوفود هو الاصرار على سفر وفد منظمة التحرير الفلسطينية معنا... ولذا ظلت الاتصالات مستمرة لانقاذ ماء وجه منظمة التضامن الافريقى الاسيوى التى استعدت لاجتماع هيئة الرئاسة دون الحصول فيما يبدو على تأكيد من السلطات الليبية بسفر جميع الوفود المشاركة... ولم يكن من حق ليبيا الاعتراض على أى وفد من الوفود لانها مضيف فقط... وليس منظما للاجتماع.

وكشفت الاتصالات عن صعوبة فى الغاء القرار.. وظهر اقتراح سوفيتى فى محاولة لانقاذ الموقف وهو عدم سفر الوفد الفلسطينى من لارناكا وعدم مشاركة الوفد الفلسطينى والموجود فعلا فى بنغازى.

ودعت منظمة التضامن إلى اجتماع لرؤساء الوفود، وبادرت بعقد اجتماع للوفد المصرى الذى كان مشكلا من الدكتور فؤاد مرسى والدكتور يحيى الجمل والدكتور مراد غالب، واتفق رأينا جميعا على عدم قبول هذا الاقتراح لانه يخالف دستور المنظمة الذى لايعطى الحق لاية دولة فى التدخل فى وفود الدول الأخرى، ولانه لايمكن الموافقة على المشاركة فى اجتماع هيئة رئاسة منظمة التضامن وتعقد منظمة التحرير الفلسطينية خاليا الامر الذى يفقد التضامن مضمونه وفعاليته.

أذكر أن رئيس اللجنة الالمانية للتضامن وقد استشعر من جانب اللجنة السوفيتية للتضامن ومعها سكرتارية المنظمة رغبة فى عقد الاجتماع عن طريق الحلول الوسط، قال لى فى صراحة اننا لن نشارك فى اجتماع يغيب عنه وفد فلسطين ووفد مصر.

وذهبنا إلى اجتماع رؤساء الوفود... وفوجئت بمندوب الوفد السوفيتى يقف قائلا.

- اريد سؤال الرفيق احمد حمروش شخصيا عن رأيه فى عقد اجتماع هيئة الرئاسة ببنغازى فى حالة موافقة ياسر عرفات على عدم ذهاب الوفد الفلسطينى الممثل للمنظمة، وغياب الوفد الفلسطينى الموجود فى بنغازى.

ظهر ملحق التضامن العربى ضمن صفحات العدد الذى ظهر فى أكتوبر ١٩٨٨ ، ولم تتح فرصة اصدار مجلة خاصة باسم (التضامن العربى) إلا بعد موافقة تمت خلال اجتماع لجان التضامن العربية فى بغداد وقد ظهر العدد الأول فى مارس ١٩٨٩

وهكذا تحقق أمل هام جمع أراء وأفكار العاملين فى مجال التضامن العربى على صفحات مجلة واحدة

وقد وجهت لى دعوة من مجلس السلم والتضامن اليمنى لحضور العيد الرابع والعشرين لثورة ٢٦ سبتمبر فى صنعاء واتيحت لى فرصة لقاء مع الرئيس على عبدالله صالح الذى لمست منه حرصا على اعادة العلاقات بين مصر والدول العربية، وقدرت فيه عروبته ووفاءه لشعب مصر وقواتها المسلحة التى اسهمت بدور بطولى فى مساندة ثورة ٢٦ سبتمبر التى قامت ضد نظام الامامة الرجعى المتخلف... وتكرر استقبال الرئيس على عبدالله صالح فى المناسبات التى زرت فيها اليمن خلال الاجتماع الثانى للجان التضامن العربية الذى عقد فى عدن خلال نوفمبر ١٩٨٦ ، وخلال الندوة الاولى للعلاقات اليمنية المصرية التى تمت بالمشاركة بين اللجنة المصرية للتضامن وجامعتى عدن وصنعاء ... وفى احدى هذه المقابلات حملنى الرئيس على عبدالله صالح رسالة خطية منه الى الرئيس محمد حسنى مبارك وهى ظاهرة جديدة توضح الدور الذى يمكن أن تقدم به الدبلوماسية الشعبية.

واستمر التحسن فى العلاات ينمو ويزدهر بين اللجنة المصرية للتضامن وبين كافة لجان التضامن العربية حتى التى كانت انظمتها ماتزال تأخذ موقفا نافرا من التعاون مع مصر... وأرسلنا وفودا إلى دمشق وبيروت وبغداد والجزائر وطرابلس والخرطوم وصنعاء وتونس الاردن.

واتجهت اللجنة المصرية للتضامن بعد أن ثبتت وجودها المستقل فى اطار منظمة التضامن، ودعمت علاقاتها مع اللجان العربية تتجه وجهة جديدة تلتقى فيها مع اللجان الاخرى فقامت بعقد مقابلات ثنائية مع لجان التضامن فى قبرص والاتحاد السوفيتى وبلغاريا والمانيا الديمقراطية وغيرها... كما دعت أول ندوة دولية حول

واجبت فى هدوء اننى لم أكن لاوافق على الاتصال بياسر عرفات حتى لا يشكل ذلك أى نوع من الضغط عليه وهو رئيس لحركة تحرر وطنى... واننى ووفد مصر نقف تماما ضد هذا الاقتراح... ولن نشارك فى أى اجتماع لهيئة الرئاسة يغيب عنه وفد منظمة التحرير الفلسطينية.

وحسمت هذه الكلمة مع التأييد الذى حظيت به من وفود أخرى الموقف المتردد الذى نبت من العجز عن تغيير قرار القيادة الليبية.. وتقرر الغاء الاجتماع... وكان ذلك صدمة شديدة للجنة السوفيتية للتضامن التى كانت تبغى عقد الاجتماع بأى ثمن حتى لايظهر عجزها السياسى عن السيطرة على المنظمة لاول مرة فى تاريخها... وحتى لاتضيع التكاليف التى صرفت هدرا بلا مردود .

عدنا إلى القاهرة بعد هذه السابقة التى لم تحدث من قبل فى تاريخ منظمة التضاممن، والتى خلقت نوعا من الخلاف بين اللجنة السوفيتية للتضامن واللجنة المصرية للتضامن اضيف إلى الخلاف السابق حول عقد المؤتمر الدولى لنصرة شعب فلسطين وحقه فى تقرير المصير... وظهر اثر ذلك عندما حاولت اللجنة المصرية للتضامن الدعوة لاول اجتماع للجان التضامن العربية وهو الهدف المحورى الذى كنا نتحرك من أجل الوصول إليه ... واخذت السكرتارية الدائمة للمنظمة موقفا عنيدا ورافضا ومعرقلا لمحاولة عقد الاجتماع فى القاهرة، وكان يغذى هذا الاتجاه المندوب السوفيتى الذى كان للغرابة عضوا فى القسم العربى، والذى كان صاحب نفوذ غير منكور باعتبار لجنته هى الممول الرئيسى لتحركات الاعضاء ونفقات المؤتمرات.

وخلال الاجتماعات التشاورية التى تمت بالقاهرة خلال شهر نوفمير ١٩٨٥ ومارس ١٩٨٦ ظهر واضحا اتجاه السكرتارية فى عرقلة عقد الاجتماع بالقاهرة، واصرارهم على ترشيح عدن فى جمهورية اليمن الديموقراطية لتكون مقرا لعقد الاجتماع، وهنا أخذنا موقفا حادا ساندنا فيه اعضاء اللجنة التشاورية الذين وفدوا من عدد من الدول العربية.. الصادق فيالة من تونس وبلقاسم قدور من الجزائر والسفير منصور أبو الخيل من العراق وانتهى الامر إلى قبول عد الاجتماع فى القاهرة فوق كل

الصعوبات وتلقينا برقية من الاخ عبدالوهاب الزنتانى من ليبيا يؤكد حضور اللجنة الليبية فى الاجتماع بالقاهرة.

وخلال هذه الفترة التى تباينت فيها الاراء بين اللجنة المصرية والسكرتارية الدائمة فوجئنا اثناء أحد اجتماعات اللجنة التشاورية بأن عبدالرحمن الشرقاوى رئيس المنظمة والذى كان يأخذ موقفا مؤيدا لعقد الاجتماع فى القاهرة قد أصدر قرارات تحدد اختصاصات نورى عبدالرزاق فى العمل اليومى بالسكرتارية الدائمة ، وكان هذا بداية لظهور التناقضات والخلافات بين الرئيس والسكرتير العام والتى تفاقمت إلى حد ابعاد بعض الموظفين وابلاغ النيابة العامة عن اتهامات وانحرافات كان يمكن أن تكون لها تأثيرات سياسة مسيئة إلى سمعه المنظمة.. الأمر الذى الذى أدى إلى فصل بعض الموظفين، وتطوع احدى الهيئات السياسة العربية بدفع تعويض مادى لهم ... وقد حرصت اللجنة المصرية للتضامن على أن تكون بعيدة تماما عن هذه العاصفة... ومع ذلك لم تسلم اللجنة من تصوير الامر بأن لنا دور فى ذلك لان الاستاذ الشرقاوى هو الذى أبلغ النيابة، ومع ذلك حرصنا دائما وباصرار على نفى أى صلة لنا بهذا الموقف.

عقد أول اتماع للجان العربية للتضامن فى القاهرة خلال الفترة من ٧ إلى ٩ مايو ١٩٨٦ وحضرته وفود من جميع لجان التضامن العربية والغربية التقوا مع الرئيس محمد حسنى مبارك فى لقاء ودى تجاوزت به التنظيمات الشعبية السدود التى كانت تقيمها الانظمة مع القاهرة حتى ذلك الوقت.

توهجت فى هذا الاجتماع روح التضامن العربية، وتأكدت الرغبة فى اعادة العلاقات الشعبية والرسمية مع مصر... وأصبح هذا الاجتماع منطلقا لخطوات أخرى نحو التقارب والتفاهم... خاصة واننا حرصنا على أن يعقد اجتماع بتنظمى للجان التضامن العربية مرة ستة شهور... واتفقنا أيضا على اصدار مجلة للتضامن العربى واجهنا عقبات كثيرة من جانب السكرتارية الدائمة لاصدارها مما دفعنا إلى اصدار ملحق خاص داخل مجلة (التضامن) التى ظهر عددها الاول فى سبتمبر ١٩٨٠ والتى كانت تقدم صورة من النشاط المستمر للجنة.

حدث هام فى تاريخ مصر وهو مرور ثلاثين عاما على تأميم قناة السويس فى الفترة من ٣٠ أكتوبر حتى أول نوفمبر ١٩٨٦ وشارك فيها عدد من الشخصيات الدولية البارزة مثل سير انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى الاسبق والذى استقال من وزارة السير انطونى ايدن الذى دبر وشارك فى العدوان الثلاثى على مصر، ومستر مايكل فوت زعيم حزب العمال السابق، والكاتب الامريكى ستيفن جرين، والصحفى ديمتشنكو عضو مجلس ادارة وتحرير جريدة البرافدا السوفيتية، وكلود جوليان رئيس تحرير الموند ديبلوماتيك الفرنسية، والبروفيسير مارتن رويه رئيس جمعية الصداقة الالمانية المصرية... كما شارك فيها من الجانيب المصرى محمود رياض ومحمد حسنين هيكل إلى جانب عدد من اعضاء مكتب اللجنة المصرية للتضامن .

كانت هذه الندوة الدولية انطلاقه فى مجال عمل اللجنة المصرية للتضامن اسهم فى نجاحها الصديق عبدالمجيد فريد مدير مركز الدراسات العربية فى لندن وعضو اللجنة المصرية للتضامن والذى كان لاخلاصه وصلاته الوثيقة مع الشخصيات السياسية البريطانية أثر كبير فى الارتفاع مستوى الندوة ...

وتواصل التعاون مع عبدالمجيد فريد فى ندوة دولية أخرى هى (٨٠٠عام حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد) والتى عقدت فى يونيو ١٩٨٧ ... والتى استطعنا أن نجمع فيها لاول مرة بين فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الازهر ونيافة البابا شنودة الثالث بطريرك الاقباط والشيخ سيد طنطاوى مفتى مصر ومحمد حسنين هيكل والدكتور محمد حسن الزيات واثنان من العلماء والمؤرخين البريطانيين قام بدعوتهما الصديق عبدالمجيد فريد وهكذا خرجت اللجنة إلى آفاق عمل جديدة كانت تتطلع من خلالها إلى بعث الحيوية حول التضامن والوحدة الوطنية والسلام... ودعت اللجنة لعقد ندوة دولية حول (آفاق السلام فى الشرق الاوسط) فى يناير ١٩٨٩ شارك فيها الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية، وممثلون عن الرأى العام فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة كما شارك فيها الكاتب العربى الفلسطينى اميل حبيبى الذى يحمل جواز سفر اسرائيلى... وقد أثارت هذه الندوة اهتماما دوليا واسعا حاز على تغطيه اعلامية عريضة.. كما عقدت

اللجنة فى القاهرة الجولة الثالثة الحوار العربى السوفيتى التى تمت فى وقت كانت تتناثر فيه عشرات الاسئلة حول مستقبل العلاقات بين العرب والاتحاد السوفيتى.

انطلقت اللجنة فى افاق جديدة للنشاط تثبت كيانها.

وخلال هذه الفترة فوجئنا بخبر مفجع هو وفاة الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوى بعد أيام من عودته من موسكو حيث لحقه المرض خلال زيارة له هناك، وأصر فيها على العودة إلى مصر حيث صحبته عربة آسعاف إلى المطار.

وحضر وفد من اللجنة السوفيتية للتضامن لتقديم العزاء برئاسة فلاديمير توليستيكوف نائب أول رئيس اللجنة والمسئول الفاعل فيها . وفوجئت به يفتح موضوع خلف الاستاذ عبدالرحمن الشرقاوى...

ولما أبلغته أن هناك لائحه تنظم ذلك وتقضى بأن ترشح لجنة المقر رئيس المنظمة ... قال أنهم قد تدارسوا الموضوع فى موسكو وأنهم يرشحون جوليوس نيريرى رئيسا للمنظمة ورغم أن جوليوس نيريرى شخصية أفريقية يدين لها الجميع بالاحترام، ولها دور متميز فى النضال من أجل حركة التحرر الوطنى، وأن استقالته من منصب رئاسة الجمهورية كان أمرا جديدا فى العالم الثالث يبعث على التقدير... إلا أن الترشيح لمنصب رئيس المنظمة لايجوز أولا أن يصدر عن رغبة سوفيتية مخالفة للوائح ولا يجوز أن تكون اللجنة السوفيتية هى مصدر الوحى فيه.

ودار حوار طويل وصريح بينى وبين تولستيكوف استمر عدة ساعات حول سلامة هذا الموقف ... ولكنه أصر عليه اصرارا شديدا.

ومن الاسباب التى دفعت اللجنة السوفيتية ـ فى رايى ـ إلى اتخاذ هذا الموقف هو صدور الصحف المصرية وفيها خبر عن موافقة الرئيس محمد حسنى مبارك على ترشيحى رئيسا للمنظمة ، وكان قد وافق على ذلك فعلا بعد أن رفع إليه الأمر رئيس الوزراء كمال حسنى على... وذلك حتى تأخذ المنظمة صورة مصرية على عكس ما كان متداولا ومعروفا لدى الدول الغربية من أن منظمة التضامن الافريقى الاسيوى هى منظمة موالية للسوفييت.

ولجا الجانب السوفيتي إلى التهديد بنقل المنظمة من مصر... ودارت فى هذا المضمار اتصالات سرية انجلت عن حل وسط هو تراجع الجانب السوفيتى عن ترشيح جوليوس تيريرى وترشيح اللجنة المصرية للتضامن لشخصية مقربة منهم يستطيعون التعاون معها... واستقر الرأى على الدكتور مراد غالب عضو مكتب اللجنة والذى كان سفيرا مصريا بالاتحاد السوفيتى لمدة ١٢ عاما ووزير دولة للشئون الخارجية ثم سفيرا في يوغوسلافيا فى عهد أنور السادات.

وهكذا ظهر بوضوح أن السوفييت د اعترضوا على ترشيحى رئيسا نتيجة تصادمى معهم فى عدة مواقف حرصت فيها على أن يكون لمصر رأى خاص.. كما حدث فى المؤتمر الذى أعددنا له لنصرة شعب فلسطين من أجل حقه فى تقرير المصير وتقاعسهم عن ابداء رأيهم والحوار الخشن الذى دار بينى وبين دز اسوخوف رئيس اللجنة فى برلين... واختلاف المواقف حول المشاركة فى اجتماع هيئة رئاسة منظمة التضامن فى بنغازى فى غياب الوفد الفلسطينى الامر الذى أدى إلى الغاء الاجتماع ... وتصور الجانب السوفيتي خطأ بأنه لنا دور فى الاتهامات التى وجهها رئيس المنظمة لبعض العاملين فيها والذى كان لهم ارتباط وثيق بالسكرتير العام الذى محسوبا عليهم بلا شك.

ومع الوصول إلى هذا الحل الوسط الذى ارتضينا به تقديم اسم الدكتور مراد غالب ليكون رئيسا للمنظمة حرصت على إلا تستمر عملية التداعى تجنبا لمواقف تصادمية وتفاديا لاى تاثير على العلاقات السياسية بين اللجنتين الممثلتين للرأى العام فى مصر والاتحاد السوفيتى... وبدأت صفحة جديدة نتعامل فيها على أساس الندية والتعاون لدفع عجلة التضامن.

وكان الاتحاد السوفيتى قد بدأ يدخل مرحلة (البروسترويكا) والجلاسنوست منذ انتخب ميخائيل جرباتشوف سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى السوفيتى ... وحضر لنا وفد من اللجنة السوفيتية يفسر التوجهات الجديدة لنظام الحكم هناك.

•••الفصل الرابع والعشرين •••

- البروفيسير كابتيزا رئيس لجنة التضامن السوفيتية يحضر إلى القاهرة لتفسير التغيرات الجديدة مع بداية عهد جرباتشوف
- مضيت مع احمد بهاء الدين وزوجتينا اسبوعين فى احدى مصحات الضيافة بالقوقاز... ولاحظنا بداية ظهور المطاعم الخاصة ومحلات ماكدونلد وويمبى وغيرها.
- ذهبت عدة زيارات لموسكو للتعرف على طبيعة المتغيرات ... وفد ضم محمد حسنين هيكل ود. سعد الدين ابراهيم ... ووفد ضم محمد فائق ود. محمد حسن الزيات.
- فوجئنا بوجود السيدة جيهان السادات فى موسكو للمشاركة فى ندوة دعا إليها ملياريرامريكى يسمى (الان مون)
- أخر زيارة لموسكو كانت فى الجولة الثالثة للحوار العربى السوفيتى فى يونيو ١٩٩٠ والتى شارك فيها الكتور عبدالعزيز حجازى والأخضر الابراهيمى والدكتور حازم الببلاوى وغيرهم

كان وصول ميخائيل جورباتشوف إلى منصب سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى بداية لتغير هائل فى الاتحاد السوفيتى . حرصت اللجنة السوفيتية للتضامن على توضيحة، فحضر الينا رئيسها البروفسير ميخائيل كابيتزا ومعه عدد من الخبراء لشرح التطورات التى تدور هناك.

كانت محاولة جورباتشوف ثورة من أعلى... كان يبحث داخل الاشتراكية وليس خارجها ـ حسب قوله ـ عن اجابات لكافة الاسئلة التى كانت مكبوته فى صدور الناس عن القهر والانحرافات ... واعتمد على البيروسترويكا أو اعادة البناء وأصدار كتابا بنفس الاسم نشر بالعربية قال فيه (لسوف ننطلق نحو اشتراكية أفضل بدلا من أن نبتعد عنها ، ونحن نقول ذلك بامانة دون أن نحاول خداع شعبنا أو العالم وأيه آمال بأننا سبق أبناء مجتمع آخر غير اشتراكى وننتقل الى المعسكر الآخر آمال غير واقعية وخاطئة والذين يتوقعون منا فى الغرب أن نتخلى عن الاشتراكية سيصابون بخيبة أمل

ويتساءل جورباتشوف فى كتابه قائلا (كيف يمكن أن نوافق على أن ١٩١٧ كان خطأ وان كل السنوات السبعين من حياتنا ، وعملنا وجهدنا ومعاركنا كانت كذلك خطأ تاما، واننا كنا نسير فى الاتجاه الخاطيئ ؟ كلا فان نظرة دقيقة وغير متحيزة لحقائق التاريخ تنتهى فقط إلى استنتاج واحد... أن الخيار الاشتراكى هو الذى نقل روسيا المتخلفة سابقا إلى (المكان الصحيح) المكان الذى يشغله الاتحاد السوفيتى الان فى تقدم البشرية.

ويلخص جرياتشوف افكاره بالقول أن (البيروسترويكا عملية ثورية لأنها قفزة إلى الأمام فى تطوير الاشتراكية).

وعندما حضر البروفسير ميخائيل كابيتزا رئيس لجنة التضامن السوفيتية لتفسير التغيرات الجديدة... قال بأنه كانت هناك جرائم وانحرافات وفضائح لاتنشرها الصحف وتبقى طى الكتمان لكى يبدو المجتمع طاهرا ونظيفا والحقيقة غير ذلك.

كان حديث القادة السوفييت غريبا عن أسماعنا فهو يمارس اسلوب المصارحة والمكاشفة بطريقة لم تكن معروفة مطلقا فى الاتحاد السوفيتى.. فقد كان محظورا على اى مواطن سوفيتى ان يتحدث مع الاجانب عن طبيعة عمله حتى ولو كان موظفا فى الصرف الصحى... كان كل شئ مغلف بالسرية فى مجتمع مكتوم يحقق انجازات هائلة دون أن يعرف أحد اسرار (الميكانيزم) الذى يدير هذه الدولة التى اصبحت احدى الدولتين العظميتنين والتى يهابها الجميع لما تملك من قوة عسكرية هائلة وترسانة نووية مدمرة.

كان مفروضا ان تكون المكاشفة بداية تغيير فى اسلوب العمل...ولكن التغيير لم يكن سهلاً ...كما انه كان من الصعب جدا انقاص الامتيازات الممنوحة للقيادات الحزبية.

لاحظت عندما ذهبت مع الصديق أحمد بهاء الدين وزوجاتنا فى أغسطس عام ١٩٨٨ الى المصحات فى القوقاز للاستجمام والراحة بناء على اتفاق كان معقوداً ين اللجنتين المصرية والسوفيتية للتضامن تتبادل فيه الزيارات على اساس الاستشفاء فى الاتحاد السوفيتى والتعرف على الحضارة القديمة فى مصر... لاحظت أن رواد المصحة جميعا كانوا من القيادات الحزبية وضيوف الحزب... وأن السيدة المسئولة عن المصحة كانت تتصرف كمضيفة راقية جعلت الصديق بهاء يتنبأ بانها ستكون مسئولة كبيرة فى يوم ما.

ولاحظت خلال هذه الزيارة انتشار المطاعم الخاصة الى الحد الذى دفع جريدة (نيويورك تايمز) الى نشر قائمة باسمائها وعناوينها بمناسبة زيارة الرئيس رونالد

ريجان للاتحاد السوفيتى لاول مرة.... وكانت هذه القائمة هى الدليل الذى ارشدنا الى هذه المطاعم التى كانت فيها لمسة ذوق غربية منمسوجة مع لمسة فن سوفيتية وكانت تختلف في طابعها وطعامها عن المطاعم القديمة التى كان دخولها يحتاج الى مشقة والوقوف فى صفوف طويلة ... أو عن مطاعم الفنادق الكبيرة التى كانت الخدمة فيها نوع من العذاب.

ولاحظنا ايضا افتتاح محلات مكدونالد والايس كريم الامريكى مع ان (الماروجانا) أو الايس كريم الروسى كانت فى مستوى جيد جداً وامضيت مع الصديق بهاء ساعات فى شارع (ارباط) الذى تحول الى معرض للفنانيين التشكيلين السوفييت، واشترينا ببعض اللوحات... وهو أمر كان محظورا فى الماضى

كانت الحياة تتغير فى الاتحاد السوفيتى من ناحية المظهر... ومن ناحية المخبر ايضاً.

وبعد عام واحد فى نوفمبر ١٩٨٩ ذهبت فى وفد للجنة مصرية للتضامن مع الاستاذ محمد حسنين هيكل والدكتور سعد الدين ابراهيم لحضر ندوة عن « الاتحاد السوفيتى والدول النامية »... وكانت الظواهر الجديدة تكتسح الحياة الاجتماعية ...فقد اختار الاستاذ هيكل أن ينزل مع أسرته فى فندق يستخدم الاسلوب الغربى فى ادارته ... بينمانزل بقية الوفد فى إحدى فيلات تلال لينين التى كانت مخصصة لكبار زوار الاتحاد السووفيتى وكان هذا اسلوبا جديداً فى التعامل مع وفد اللجنة المصرية للتضامن .... فى وقت كانت مظاهر الحياة القديمة مازالت راسخةفى الفنادق التى كان الدخول اليها ممنوعاً الا بتصريح!

وبعد ستة أشهر فى أبريل ١٩٩٠ ذهبت مع وفد اللجنة المصرية للتضامن ضم الاستاذ محمد فائق والدكتور محمد حسن الزيارات... وكانت دهشتنا شديدة عندما أبلغنا السفير أحمد ماهر أن السيدة جيهان السادات كانت موجودة فى موسكو للمشاركة فى ندوة دعا اليها مليارديرأمريكى يسمى (الان مون) والذى كان يعمل طوال سنوات تحت شعار (النصر على الشيوعية)... كانت الندوة معقودة فى فندق

الانتركونتننتال الذى بناه المليونير الامريكى هامر الذى كانت تربطه صداقه قويه مع القادة الاتحاد السوفيتى منذ عهد لينين ... وكان العرب المشاركون فى هذه الندوة هم جيهان السادات وأمين الجميل واللواء عبدالرحمن سوار الذهب رئيس السودان فى المرحلة الانتقالية التى أعقبت انتفاضة ابريل ١٩٨٤ التى انهت حكم الرئيس جعفر نميرى

ومن الغريب ان رئيس الوفد الروسى فى هذه الندوة كان دزاسوخوف رئيس لجنة التضامن السوفيتيه السابق والذى كان يعمل وقتها رئيساً للجنة الشئون الخارجية فى مجلس السوفييت الاعلى والذى بادرته بالسؤال عن معنى اقامة وتشجيع هذه الندوة فى موسكو وهى التى تعمل صراحة ضد الشيوعية فقال متسائلا (الا ترى انهم يؤيدون البيروسترويكا) ؟!

كانت أفكار جورباتشوف تفرض نفسها بديلا عن النظام الشيوعى السوفيتى

وفى الجولة الثالثة للحوار العربى السوفيتى التى عقدت فى موسكو خلال شهر يونيو ١٩٩٠ وشارك فيها وفد عربى كبير ضم الدكتور عبد العزيز حجازى والدكتور سعد الدين ابراهيم والدكتور حازم الببلاوى والأخضر الابراهيمى والسيد يسين وسعد. كامل وغيرهم كانت الرغبة فى التغيير الشامل قد أصبحت واضحة ... ومن المثير أن حديث الدكتور حجازى عن محاذير الاندفاع فى طريق الانفتاح وهو الذى أصدر القانون فى مصر عام ١٩٧٤ ... كان موضع اهتمام وزير الاقتصاد السوفيتى والذى عبر عن اتجاههم للتحول نحو نطاق السوق الحرة ...

لاحظت خلال هذه الجولة من الحوار اهتمام واحتفاء السوفييت باحد رجال الأعمال من أسرة بن لادن والذى كان قد سافر إلى هناك لتوزيع مصاحف وبناء مساجد فى منطقة القوقاز وجمهوريات أسيا الوسطى

وفى الندوة الرابعة والأخيرة للحوار العربى السوفييتى التى أقيمت فى عمان عام ١٩٩١ تساءل بعض المتحدثين السوفييت عما إذا كان الموقف السيوفييتى السابق فى

مساندة العرب على طول الخط صحيحا... وعما تحمله الشعب السوفييتى من أعباء دون عائد أو مردود

كانت الثوابت والمسلمات القديمة تهتز بشدة وكانت (اعادة التفكير) قد سبقت (اعادة البناء) أو البيروسترويكا التى بشر بها جورباتشوف... ولاحظنا فى مصر أن الواقع فى الاتحاد السوفيتى قد تغير تماما... وانعكس ذلك على (اللجنة السوفيتية للتضامن) التى كانت تعتبر جهازا من الاجهزة التى تحظى بالرعاية الحزبية، والتى كان يوكل اليها دور هام فى مجال السياسة الخارجية عن طريق الدبلوماسية الشعبية

وادى انطلاق الديموقراطية والحرص على حرية التعبير الى خلق متاعب جسيمة أمام جورباتشوف الذى حاول كما ذكرنا اعادة بناء المجتمع من موقعه سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى... ولكنه فوجئ بتصاعد النقد لكيان الحزب واسلوب قيادته مما اضعف قبضته وقدرته على احداث تغيير محسوب... وانتهت الأمور إلى ماهو معروف من محاولة انقلاب ضد جورباتشوف... اسرع نائب رئيس اللجنة السوفيتية للتضامن تولستيكوف الى تأييدها من كوريا الشمالية التى كان يزورها مطالبا بانزال صور جورباتشوف من على المكاتب... ولكنه عندما وصل إلى موسكو كان الأنقلاب قد فشل وعاد جورباتشوف مؤقتا إلى موقعه وغادر تولستيكوف مكتبه إلى منزله للمرة الأخيرة... وبدأت اللجنة السوفيتية للتضامن تدخل مرحلة المعاناة من نقص الميزانية وانحسار الدعم وتغير التوجه السياسى... وهنا بدأت منظمة التضامن الآسيوى الأفريقى) تدخل مرحلة من المعاناة بعد أن فقدت مصدر التمويل والتوجيه الرئيسى... ولم يعد لها رلا الدعم الذى تقدمه لها وزارة الخارجية المصرية والذى لايعتبر كافيا لمواصلة أسلوب النشاط القديم خاصة وأنه تبين أن معظم لجان التضامن التى كانت مرتبطة بالمنظمة وخاصة فى أفريقيا... تبين أنها كانت لجانا هيكلية معتمدة على الدعم المادى والسياسى للجنة السوفيتية للتضامن

وهكذا حدث ضمور فى الكيان التنظيمى للمنظمة وان بقيت سكرتاريتها الدائمة تواصل عملها من القاهرة فى حدود الامكانيات المتاحة لها.

أما اللجنة المصرية للتضامن فانها لم تتأثر سلبيا بهذه المتغيرات التى اجتاحت العالم وادت إلى انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الأنظمة الشيوعية فى أوربا الشرقية والتى كانت تتبنى أيضا لجان تضامن كانت تسهم ماديا وسياسيا فى دعم منظمة التضامن... فاللجنة المصرية للتضامن لم تعتمد مطلقا على أى تمويل خارجى وكل ميزانيتها رغم محدوديتها هى من الخارجية المصرية... وسياستها الاستراتيجية لم تكن خاضعة لأى هيمنة سوفيتية أو شيوعية بل كانت سياسة وطنية نابعة من رؤية قومية حريصة على الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى والسلام العالمى

وواصلت اللجنة المصرية للتضامن سياستها فى دعم التضامن العربى منذ نجحت كما سبق أن ذكرت فى عقد أول اجتماع للجان التضامن العربية فى مايو ١٩٨٦ واتخذت قرارات بعقد اجتماع لها مرة كل ستة شهور واصدار ملزمة خاصة عن (التضامن العربى) فى مجلتها كان تبادل الوفود والزيارات التى بها لعدد من الدول العربية فرصة للاجتماع مع زعماء الدول العربية فى عواصم دولهم .... معمر القذافى فى ليبيا، الشاذلى بين جديد فى الجزائر وعلى ناصر ثم على سالم البيض فى عدن وعلى عبدالله صالح فى صنعاء، وصدام حسين فى بغداد. وحافظ الأسد فى دمشق.

وهنا أود أن أشير الى بعض المواقف التى يحسن تسليط الضوء عليها لتأكيد الدور الذى يمكن أن تسهم به اللجنة المصرية للتضامن فى تحسين وتوطيد العلاقات بين الشعب المصرى والشعوب العربية.

كان اللقاء مع معمر القذافى فى خيمة صغيرة بقريته حيث كان يعيش قريبا من والده فى مرضه الأخير بعد أن بلغ ١٠٦ عاما... كان هذا اللقاء الذى حضره محمد فائق وسعد كامل وعبد الله امام هو بداية التفهم فى ضرورة تحسين العلاقات مع مصر رغم الضراوة التى واجهت بها ليبيا اتفاقيات كامب ديفيد.. وكان موقف الرئيس حسنى مبارك الذى عرضت عليه نتائج المقابلة مشجعا على عقد لقاء فى اقرب وقت مع الزعيم الليبى فى أى مكان مقترح.. وكان لهذه الزيارة أيضا أثر

عاجل فى اعادة اصوات المقرئين والمطربين المصريين للأذاعة الليبية بعد أن كان قد صدر قرار غير مفهوم يمنع اذاعة القرآن الكريم أو الأغانى بأصوات مصرية!

وعندما التقيت مع على ناصر محمد فى عدن وجدت منه تفهما لضرورة وقف حملات قامت بها صحف اليمن الجنوبية تهجمت فيها على مصر وعلى الوفد المصرى الزائر باعتباره من انصار كامب ديفيد دون تقدير ووعى بحقيقة الموقف.. أما بعد المجزرة التى تمت هناك فى صفوف الحزب فى فبراير ١٩٨٩ فقد التقيت مع على سالم البيض الذى كان قد ورث مأساة بكل المعايير وكان حريصا على اضفاء طابع انسانى لليمن الجنوبية التى كانت تطبق نظاما ماركسيا.

وفى صنعاء وجدت على عبدالله صالح متميزا بوفاء عميق لمصر وحرص شديد على ضرورة واهمية عودة العلاقات الدبلوماسية معها .. وقد حملنى اكثر من رسالة الى الرئيس محمد حسنى مبارك الذى قدر له هذا الموقف وتبادل معه الرسائل التى كانت عاملا من عوامل اعادة العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة والعواصم العربية

وخلال اكثر من لقاء مع صدام حسين الذى قابلته كصحفى قبل العمل فى اللجنة المصرية للتضامن واستمر بعد ذلك الى مايو ١٩٩٠ حيث عقد مؤتمر شعبى عربى كبير لإعلان التضامن مع العراق التى كانت تتعرض لهجمات واتهامات غربية وقد تبع ذلك مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى نفس الشهر واتخذ قدرات عن التضامن العربى لم تصدر عن مؤتمر قمة عربى سابق.

أما الرئيس حافظ الأسد فقد حرص على عقد لقاء خاص مع وفد اللجنة المصرية للتضامن المشارك فى آخر اجتماع لهيئة رئاسة المنظمة والذى عقد فى نوفمبر عام ١٩٩١ بعد غزو العراق للكويت وقبل انفجار الحرب... وكان موقفه واضحا ومشجعا على عدم الاندفاع فى مغامرات غير محسوبة من جانب النظام العراقى مع حرصه على وحدة العراق وحماية شعبه.

وهكذا يمكن القول بأن اللجنة المصرية للتضامن قد اصبحت لها سمعة طيبة فى الدول العربية... واصبحت لها ايضا قدرة على نسج العلاقات الشعبية بين شعب مصر

والأمة العربية فى اقصى الظروف

ولم يتوقف دور اللجنة المصرية للتضامن عند حد التضامن العربى .. بل تجاوز ذلك إلى اقامة علاقات خاصة مع جمعية الصداقة الصينية مع بلدان العالم فتبادلت معها الزيارات الثنائية بعد أن كانت الصين قد انسحبت نهائيا من منظمة التضامن الأفريقى الآسيوى فى الستينيات، والفت لجنة التضامن الصينية.. وكانت صلتها مع االلجنة المصرية للتضامن هى بداية صلتها فى هذا المجال مع أول دولة افريقية وعربية .. وقد انتهى ذلك الى اقامة جولتين من الجوار العربى الصينى عقدت الأولى فى بكين خلال مايو ١٩٩٢ والثانية فى القاهرة خلال اكتوبر ١٩٩٣ وتميزت لأول مرة بانها ظمت الى جانب السياسيين والمفكرين والعلماء عددا من رجال الأعمال الحريصيين على دعم العلاقات الاقتصادية.

كما نجحت اللجنة المصرية للتضامن بالتعاون مع اللجنة اليونانية للتضامن فى تحقيق أول مؤتمر للتضامن والتعاون فى تجميع اقليمى جديد هو البحر المتوسط عقد فى فبراير ١٩٩٢ وعقد المؤتمر الثانى فى مارس ١٩٩٤ بالقاهرة والمؤتمر الثالث فى مدريد عام ١٩٩٥ والرابع فى مالطة والخامس فى مرسيليا والسادس فى قبرص.

وهكذا واصلت اللجنة نشاطها فى مجالات وتجمعات جديدة مسايرة فى حركتها التغيرات العالمية التى أعطت للتضامن مضمونا جديدا يقوم على أساس من التعاون والتفاهم المشترك الحريص على توطيد السلام والتنمية وحماية البيئة وغير ذلك من الأهداف الإنسانية.



الفـهرس



رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٤٥٩ / ٢٠٠٢

I.S.B.N - 977 - 01 - 8037 - 8



لقــــد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عـادة القـراءة، وحب المعـرفـة، وأن المعـرفـة وسيلتها الأساسية هى الكتـاب، وأن الحق في القـراءة يماثل تمامـاً الحق فى التعليم والحق فى الصحـة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

الثمن ٢٠٠ قرش